



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

أمير المؤمنين

عرض ميسر لسيرة

الإمام علي بن أبي طالب (ع)

التحقيق: عبد الزهراء عثمان محمد
(عز الدين سليم)

دار الهدى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أمير المؤمنين عرض ميسر لسيرة الإمام علي بن أبي طالب

كاتب:

عبد الزهراء عثمان محمد (عز الدين سليم)

نشرت في الطباعة:

دار الهادي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	أميرالمؤمنين عرض ميسر لسيره الإمام على بن أبي طالب
١١	اشاره
١١	اشاره
١٥	الأهداء
١٧	المقدمه
٢١	الفصل الأول: وليد البيت العتيق
٢١	اشاره
٢٣	بزوغ الفجر
٢٥	في كفالته رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
٢٧	حصيله الأعداد النبوى
٢٩	في كنف الوحي
٣١	أول المؤمنين
٣٥	الوصى الوارث :
٣٧	مواجهه الجاهليين:
٣٨	ابو طالب يتصدى لأعداء الرساله:
٣٩	ابو طالب ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى الحصار
٤٣	إلى دار الإسلام
٤٥	فى فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
٤٧	الانتظار فى قبا
٤٩	مهمات ما بعد الهجره؟
٤٩	اشاره
٥٠	١- فى معركة بدر:
٥١	٢- وفى معركة أحد:

٥٢	٣- وفى غزوه الأحزاب:
٥٤	٤- وفى غزوه خيبر:
٥٥	٥- وفى غزوه حنين:
٥٧	على فى منظار الإسلام
٦٢	نصوص الإمامه والوصيه -
٦٦	على فى عهد الخلفاء
٦٦	اشاره
٧٠	أ- فى خلافه أبى بكر:
٧٣	ب - فى خلافه عمر بن الخطاب
٧٦	ج - فى عهد عثمان:
٧٩	الفصل التانى: دعونى والتمسوا غيرى!
٧٩	اشاره
٨١	تمهيد
٨٣	الإمام فى موقع المسئوليه!
٨٣	اشاره
٨٥	١- الميدان السياسى:
٨٦	٢ - الميدان الاقتصادى:
٨٨	منهاج الاصلاح
٨٨	اشاره
٩٥	أ- رفق وتعاهد.
٩٨	ب - رقا به دقيقه لوضع السوق:
٩٩	ج - تبني الإمام على (عليه السلام) سياسه نكران الذات لصالح الأمه
١٠٣	د- مساواه أهل بيته بسائر الناس:
١٠٧	سياسه رد الفعل
١٠٩	موقف معاويه:
١١١	خلفيات المطالبه بدم عثمان

- ١١٢ موقف الإمام على (عليه السلام) أيام الأزمه:
- ١١٥ حرب البصره
- ١١٧ الموقف الإنساني الرفيع!
- ١٢١ فتنه صَيِّين!
- ١٢٧ وقعه النهروان
- ١٣١ فى ذمه الله!
- ١٣٧ الفصل الثالث: «.. ما وجد لى كذبه فى قول لاختله فى فعل» أمير المؤمنين (عليه السلام)
- ١٣٧ اشاره
- ١٣٩ توطئه
- ١٤٢ فضائل على من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
- ١٤٥ أمر الأمامه فى النصوص:
- ١٤٩ شخصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال مقوماتها الواقعيه
- ١٤٩ اشاره
- ١٥٠ علاقه على (عليه السلام) بالله عزوجل وأبعادها
- ١٥٠ اشاره
- ١٥٢ علاقه الإمام على بالله تعالى
- ١٥٤ شواهد من عباده أمير المؤمنين (عليه السلام)
- ١٥٤ اشاره
- ١٥٥ صلاه وضراعه:
- ١٥٨ توجه ورهبه:
- ١٥٩ ولع بالصلاه:
- ١٥٩ عباده الشاكرين:
- ١٦١ نسخه من صلاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):
- ١٦١ تعاهدوا أمر الصلاه:
- ١٦٢ المنهج العبادى فى خطوطه الأساسيه
- ١٦٢ اشاره

- ١٦٣ توكل صادق ويقين راسخ:
- ١٦٤ مصاديق من زهد الإمام(عليه السلام) :
- ١٦٩ صدقه الإمام(عليه السلام) :
- ١٧٢ الجهاد في سبيل الله:
- ١٧٧ الأخلاق الاجتماعيّه
- ١٧٧ اشاره
- ١٨٢ أولاً - اشاعه العدل الاجتماعي بين الناس:
- ١٨٢ اشاره
- ١٨٩ وصاياه للولاه:
- ١٩٠ ومن توجيهاته (عليه السلام) لجباه الأموال:
- ١٩٠ ومن تعليماته لجيوشه:
- ١٩١ ثانياً - تواضع الإمام:
- ١٩٨ ثالثاً - حلم الإمام:
- ١٩٨ اشاره
- ١٩٨ وهذه نماذج من عفوه(عليه السلام) :
- ٢٠٢ رابعاً - التورع عن البغى:
- ٢٠٦ خامساً - شواهد من صبر الإمام:
- ٢١٤ في ميدان المعرفة
- ٢٢٥ من أبعاد معرفه وأفاقها؟
- ٢٢٩ نماذج من الفكر العقائدي
- ٢٣١ وحدانيه الله عزوجل
- ٢٣٤ الرسالة والنبوه
- ٢٣٦ خط الإمامه في دنيا الإسلام
- ٢٣٨ صور من الفكر السياسي - الاجتماعي
- ٢٤٢ مصنفات الإمام (عليه السلام) وأعماله العلميه
- ٢٤٢ اشاره

- ٢٤٢ ١- جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول
- ٢٤٤ ٢- صحيفه:
- ٢٤٤ ٣- الجامعه:
- ٢٤٥ ٤- صحيفه الفرائض:
- ٢٤٥ ٥- كتاب الجفر:
- ٢٤٦ ٦- مصحف فاطمه:
- ٢٤٨ المصنفات فى تراث الإمام (عليه السلام) الفكرى:
- ٢٥١ أنباء المستقبل
- ٢٥٧ طرف من مواعظ الإمام
- ٢٥٩ قبس من حكيم الإمام
- ٢٦٢ الملاحق
- ٢٦٢ اشاره
- ٢٦٤ وثيقه رقم (١)
- ٢٦٦ وثيقه رقم (٢) مخطط التخريب الثقافى!!
- ٢٧٠ وثيقه رقم (٣) وليد الكعبه!
- ٢٧٢ وثيقه رقم (٤) وليد الكعبه ايضاً؟
- ٢٧٤ وثيقه رقم (٥) «أول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»
- ٢٧٧ وثيقه رقم (٦) أول هجره فى الإسلام
- ٢٨٠ وثيقه رقم (٧) «دستوره لأداره بلاد مصر»
- ٣٠٨ وثيقه رقم (٨) مصادر المعرفه عند الوصى (عليه السلام)
- ٣٠٨ أصول الكافى ج ١ ص ٢٦٣ ح ١:
- ٣٠٩ أصول الكافى ج ١ ص ٢٦٤ ح ١:
- ٣٠٩ أصول الكافى ج ١ ص ٢٦٤ ح ٢:
- ٣٠٩ أصول الكافى ج ١ ص ٢٦٤ ح ٣:
- ٣١٠ أصول الكافى ج ١ ص ٢٧١ ح ٤:
- ٣١٠ أصول الكافى ج ١ ص ٢٧١ ح ٥:

أصول الكافي ج ١ ص ٢٧٣ ح ١: ٣١٠

..... الفهرس ٣١٢

..... تعريف مركز ٣١٧

أمير المؤمنين عرض ميسر لسيره الإمام علي بن أبي طالب

أشاره

أمير المؤمنين عرض ميسر لسيره الإمام علي بن أبي طالب عليه الصلاه والسلام»

بقلم الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد (عز الدين سليم) للطباعه والنشر والتوزيع جميع الحقوق محفوظه

دار الهادى للطباعه والنشر والتوزيع

ص: ١

أشاره

جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧ / ١ - ٨٩٦٣٢٩ / ٠٣ -

فاكس: ٥٤١١٩٩

ص.ب.: - ٢٨٦ / ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.: ٥٥٠٤٨٧ / ١ - ٨٩٦٣٢٩ / ٠٣

Fax: ٥٤١١٩٩ - P.O.Box: ٢٨٦/٢٥ Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com

URL: <http://www.daralhadi.com>

ص: ٢

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ». (الأحزاب / ٣٣)

« لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق »

رسول الله (صلى الله عليه و آله)

صحيح مسلم ١١:٤١

سنن النسائي ٢٧١:٢

وصحيح الترمذي ١٧٧:١٣

« ما كنا نعرف المنافقين إلا يبغض علي بن أبي طالب »

الصحابي أبو سعيد الخدري (رض)

الصحابي جابر ابن عبد الله الانصاري (رض)

الصحابي عبد الله بن عباس (رض)

الترمذي ١٦٧:١٣

تاريخ بغداد ١٥٣:٣

الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٤٤٤

ص: ٣

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

ص: ٤

الى الوالد العزيز رحمه الله

حيث تمر الذكرى السنويه الأولى، على رحيلك المفجع، فلم أجد خيراً من ثواب هذه الأوراق التي اخترلت في كتابتها، واعدادها ساعات طويله من عمرى، لأهديه إلى روحك الطاهره، التي كانت مفعمه بحب أمير المؤمنين، وآله عليهم الصلاه والسلام، حتى حملك حبك لهم، واعجابك بهم أن تحفظ الكثير الكثير من آدابهم، وقيمهم ومبادئهم، وكان «نهج البلاغه» وردك اليومى الذى لا تفارقه، حتى حفظت منه اكثره عن ظهر قلب..

فالى روحك الطاهره، أهدى ثواب هذا الكتاب المتواضع الذى عكست فيه صوراً مشرقه فى سيره الوصى المظلوم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه الصلاه والسلام.

ولدك

ص: ٥

«مالقى أحدٌ فى هذه الأمه مالمقيتٌ..»(١).

على بن ابى طالب (عليه السلام) .

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على محمد

رسول الله الخاتم، وعلى الهداه المهديين من آله وبعد:

فلم يتعرض عظيم من عظماء التاريخ الإنسانى عبر مراحلها، المختلفه، إلى ما تعرض له وصى الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهارون هذه الأمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه الصلاه والسلام، من ظلم، وعدوان فى حياته، وبعد موته!!

فإذا كان وصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قد عانى، ما عانى أيام حياته المليئه بالمآثر، والأمجاد، من الحاسدين، والظالمين، فإنّ ظلم الأعداء، قد

ص: ٧

ولقد كانت الفترة الأمويه من تاريخ المسلمين التي امتدت بين عام ٤١ هـ حتى عام ١٣٢ هـ من أسوأ مراحل التاريخ الإنساني في ارتكاب أبشع الجرائم بحق الرساله الألهيه، ورموزها الهداه.

فقد أخضعت عدّه أجيال من المسلمين لعملية مسخ ثقافى مخطط طوال تلك المرحله، كان من أبرز مهماتها القذره، أن تشوه الصوره المشرقه لسيره أمير المؤمنين (عليه السّلام)، فى أذهان الأجيال، من خلال سياسه التجهيل، والتعميه، والتشويه، وقلب الحقائق، حتى لاتجد الأجيال من خلال ذلك، أى نصيب لعلى ابن أبى طالب (عليه السّلام) فى بناء الحياه الإسلاميه، وارساء قواعد الإسلام الحنيف.. وتستطيع أن تقدر حجم المأساه اذا علمت أنّ عشرات من السنين قد سخرت فيها المنابر - وهى أكثر الأجهزه التربويه والاعلاميه تأثيراً لدى المسلمين يومذاك - فى سب على (عليه السّلام) وتشويه تاريخه الفذ.. حقدأً على الإسلام، وثأراً لمشركى بدر..

فكانت «خطبه الجمععه فى العهد الأموى - مثلاً - تفتتح بالنييل من الإمام (عليه السّلام)، بكلمات يأبى التاريخ أن تسطر على صفحاته(١) وكانت تسند تلك العمليه قوى، وأجهزه حكم، ورواه ومحدثون مأجورون، ومؤرخون، يعملون تحت إمرة السلطان، و.. و.. محاوله منها لطمس معالم تاريخ إمام الهدى (عليه السّلام) وأمجاده بيد أن تاريخ الإمام على (عليه السّلام)، وان كان تعرض لذلك اللون المنخجل من الطمس والتزوير والتجهيل، فان أحداً،

ص: ٨

١- راجع نماذج من ذلك فى شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج ٤ ص ٥٦٩ وما بعدها ط دار احياء الكتب العربيه ١٩٥٩. انظر الوثيقه رقم (١)، والوثيقه رقم (٢) فى الملحق.

كائناً من كان، ليس بمقدوره أن يطمس معالمه الأساسية، لارتباطها العضوي بالإسلام الحنيف، وقيمه وهداه، ومجده.. فحبل الكذب قصير.. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

وهكذا، فإن الاقلام المأجوره، وتشكيله المرتزقه، التي حاولت أن تكتب لوصى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تأريخاً على هواها، ووفقاً لمصالحها، وما تملك من خلفيات ومرامي منخفضة، قد أخطأت التقدير، وجهلت أن الحق لا يمكن أن يحجب طويلاً، وأن الزبد لا بد أن يذهب جفاء...

وشعوراً منا بالمسؤولية الشرعيه فى توعيه الأمم، وتبصيرها بحقائق دينها وحمله هداها ووقائع تاريخها المجيد، ونفض تراب التعميه والتضليل عن حقائق أحداث المسيره التاريخيه لهذه الأمم منذ بدايات تاريخها.. شعوراً منا بهذه المسؤوليه العظيمه نضع هذه الدارسه حول سيره الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ودوره فى حركه الإسلام التاريخيه بين ايدى المسلمين و عموم الناس.

وللضروره الفنيه قسمت هذه الدارسه إلى فصول ثلاثه:

- سنتناول فى الفصل الأول منها سيره أمير المؤمنين (عليه السلام)، فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعهد الخلفاء الذين سبقوه تاريخيه فى قياده المسلمين.

وفى الفصل الثانى: ينصب البحث على دراسه حياه الإمام (عليه السلام)، بعد ما انتهت إليه «الخلافة» لأداره شؤون المسلمين، ومواقفه البطوليه النبيله، فى مجالات السياسه، والاداره والاقتصاد، والاجتماع، وشؤون الحرب والسلم وامثال ذلك.

أما الفصل الثالث: فيخصص لأبراز الملامح الأساسيه لشخصيه أمير

المؤمنين (عليه السّلام) من حيث علاقته بالله تعالى، وعلاقته بالناس من حوله، وعطاءه الثقافى والفكرى، الذى أسداه للأمم الإسلاميه والناس أجمعين.

والله نسأل التسديد والتأييد، والهدايه والتوفيق للعمل من أجل تكريس كل الطاقات، والامكانيات المتاحة فى إطار الصراع الفكرى القائم بين امتنا الإسلاميه المجاهده، وبين خصومها الألداء، من أجل أن تسود شريعه الإسلام العظيم فى الحياه، واستلهاهم هدى الله عزوجل الذى حمله أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الله عزّ وجلّ انه سميع مجيب.

المؤلف

ربيع الأول ١٤٢١هـ حزيران ٢٠٠٠م

ص: ١٠

الفصل الأول: وليد البيت العتيق

إشاره

ص: ١١

فى يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب المبارك، وقبل بعثه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأثنتى عشره سنه، أشد المخاض على فاطمه بنت اسد (عليها السلام) وهنا يذكر المؤرخون وثيقتين بهذا الشأن:

- تقول أحدهما أن أبا طالب جاء بفاطمه (عليه السلام) وأدخلها إلى الكعبه المشرفه.. ثم خرج عنها فرفعت يدي الضراعه إلى العلى الأعلى سبحانه قائله: «ربى أنى مؤمنه بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وأنى مصدقه بكلام جدى إبراهيم الخليل (عليه السلام) وانه بنى البيت العتيق، فبحق الذى بنى هذا البيت والمولود الذى فى بطنى إلا ما يسرت على ولادتى»^(١).

وتقول الوثيقه الثانيه: أن أبا طالب حين بلغ بفاطمه بنت أسد الكعبه، دعت الله تعالى عندها، فأنشق ظهر الكعبه فدخلت فاطمه فيها من ظهرها، فعلم الناس أن ذلك من أمر الله عزوجل^(٢).

ص: ١٣

١- انظر وثيقه رقم (٣) فى الملحق عن الحافظ ابن المغازلى فى المناقب ص ٥ وغيره.

٢- انظر وثيقه رقم (٤) فى الملحق عن كشف الغمه ١: ٦٠ وغيره.

على أن الوثيقه الثانيه فى نظرى أدل على الواقع من الوثيقه الأولى، لأن الثانيه تعبر عن تدخل الغيب فى هذا الحادث كرامه للوليد المبارك المختار للوصيه ووزاره النبوه الخاتمته، كما فى النصوص الصحیحه، وإلا فإن الروايه للواقع بذلك الشكل الذى سردته الوثيقه الأولى لا يشكل كرامهفرضها الغيب على الواقع، اذ بإمكان أى من النساء بعد هذه الحادثه أن يدخلن إلى الكعبه، عند المخاض، بانتظار الولاده!!

ولذا فإن تسجيل الحادثه المذكوره على انها كرامه لعلی (عليه السلام) ، انما كانت لحدوثها بالشكل الذى روته الوثيقه الثانيه، لا غير!!

و بعد حين من الزمان أعلنت فاطمه بن أسد (عليها السلام) أنها قد ولدت ذكراً، فكان أول مولود ولد فى الكعبه المشرفه ولم يولد فيها بعده سواه تعظيماً له من الله سبحانه واجلالاً (١)، وأسرع البشير إلى أبى طالب وأهل بيته، فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم..

وتقدم من بينهم محمد المصطفى (٢) (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فضمه إلى صدره وحمله إلى بيت عمه أبى طالب، حيث كان الرسول فى تلك الآونه، يعيش مع زوجته خديجه، فى دارهما منذ زواجه منها بعد أن قضى عقدين من عمره الشريف فى دار عمه.

ص: ١٤

١- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٥ والكفايه للحافظ الكنجدى الشافعى وشرح الخريده الغيبه فى شرح القصيده العينيه لشهاب الدين السيد محمود الآلوسى ص ١٥ ونور الابصار للشبلنجى ص ٧٤ ومطالب السؤل ص ١١ لمحمد أبى طلحه الشافعى والمناقب للأمير محمد صالح الترمذى وغيرهم نقلاً عن الغدير ج ٦ ص ٢٢ - ص ٣٨ لعبد الحسين الأمينى ط ٣ سنه ١٩٦٧ بيروت.

٢- الفصول المهمه فى معرفه الأئمه / لابن الصباغ المالکى / الفصل الأول ص ١٣.

وألهم الله أبا طالب (عليه السّلام) ، أن يسمى وليده «عليّاً»، وهكذا كان وأقام أبو طالب وليمه، على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام (١).

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس: قدموا التهاني، وعاشوا ساعات من البهجه، وأبدوا فيها مشاعرهم الفياضه، وأحاسيسهم الساميه، نحو عميدهم شيخ الابطح، ووليدته المبارك..

ومرت الأيام سريعه، والوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه: أبي طالب، وفاطمه، وابن عمه الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، الذى كان دائم التردد على دار عمه، التى نال فيها دفء الموده، وشرب من ينابيع الاخلاص والوفاء الصافيه فيها طوال سنوات صباه وشطراً من شبابه.

أجل كان المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يتردد كثيراً على دار عمه، بالرغم من زواجه من خديجه، وعيشه معها فى دار منفرده، وكان يشمل علياً بعواطفه، وحبه ويحوطه بعنايته: - يناغيه فى يقظته، ويحمله على صدره.. ويحرك مهده عند نومه، إلى غير ذلك من مظاهر العنايه والرعايه.

فى كفالته رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

وبعد مضى ست سنوات على ولاده على (عليه السّلام) تعرضت قريش

ص: ١٥

١- البحار ج ٣٥ ص ١٨.

لأزمه اقتصاديه خانقه، وقد كانت وطاتها شديدته على أبي طالب، اذ كان رجلا كثير العيال وكهفأ يلوذ به المحتاج والفقير، بحكم مركزه الاجتماعى فى مكه... أيرضى المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وبنو هاشم، أن تقسو الحياه على عميدهم؟!

أقبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على عمه العباس بن عبد المطلب، وهو أثرى بنى هاشم يومها، فخاطبه بقوله: «.. ياعم، أن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ماترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله، فتأخذ أنت رجلاً واحداً، وأخذ أنا رجلاً فنكفلها عنه..»(١).

وحظى رأى المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) بالتأييد والرضا من لدن عمه العباس، فأسرعا إلى أبي طالب، وخاطباه بالأمر، فاستجاب لما عرضا عليه قائلاً: «إذا تركتها لى عقيلاً وطالباً، فاصنعا ما شئتاً..»(٢).

فأخذ العباس جعفرأ...

وأخذ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عليأ (عليه السلام) ، وكان عمره يومئذ سته أعوام (٣) وقد أعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن اختار عليه (عليه السلام): «قد اخترت من اختاره الله لى عليكم - عليأ (٤)»

ص: ١٦

١- الفصول المهمه / لابن الصباغ الفصل الأول ص ١٤ وشرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج ١ ص ١٥، والطبرى ٢: ٥٧ - ٥٨.

٢- سيره ابن هشام ج ١ باب ذكر أن على بن أبى طالب أول ذكر أسلم ص ٢٨٤، بحار الانوار ج ٣٥ ص ٤٤ وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

٣- فى رحاب على / خالد محمد خالد ص ٤٦ ط دار الأندلس بيروت وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

٤- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج ١ ص ١٥ نقلاً عن البلاذرى والاصفهانى.

وهكذا عاش على (عليه السّلام) منذ نعومه أظفاره في كنف رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): نشأ تحت رعايته، وشرب من ينابيع مودته وحنانه، ورباه وفقاً لما علّمه ربه تعالى (١)، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، حتى لحق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بربه الأعلى..

حصيلة الأعداد النبوي

أشار الإمام على (عليه السّلام) إلى أبعاد التربيّة والأعداد التي حظى بها من لدن استاذة وقائده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومداهها وعمقها، وذلك في خطبته المعروفه بالقاصعه، اذ جاء فيها مانصه: «وقد علمتم موضعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالقرايه القريبه، والمنزله الخصيصه، وضعى فى حجره، وأنا ولد، يضمنى إلى صدره، ويكنفنى فى فراشه، ويمسنى جسده، ويشمنى عرفه، وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه وما وجد لى كذبه فى قول، ولاخطله فى فعل.

«ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله وسلم)، من لدن آن كان فطياً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرنى بالاعتداء به.

«ولقد كان يجاور فى كل سنه (بحراء) فأراه ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام، غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجه، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرساله، وأشم ريح النبوه» (٢).

ص: ١٧

١- نهج البلاغه: ص ٣٠٠ ط ١ ١٩٧١ بيروت تنظيم الدكتور صبحى الصالح.

٢- نهج البلاغه تبويب صبحى الصالح: ٣٠٠ ط ١٩٧١ بيروت.

والذى يستقرىء هذا النص، يامعان، يتجلى له أن علياً (عليه السّلام) قد حظى برعايه الرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وحده، وإثاره منذ أيام طفولته، فكان يمضغ الشىء ثم يضعه فى فمه، ويضعه فى حجره، ويضمه إلى صدره، ويعامله كما لو كان ولده الحبيب... (١).

أما فى صباه، وشبابه، فقد انصب جهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على تكوين شخصيته: إذ كان يأمره بالافتداء به، وسلوك سبيله، وفى كل يوم يرفع له من أخلاقه علماً وعلماً (عليه السّلام) هو الآخر كان يتبع أثره، أولاً بأول، ويقتفى خطوه كما يصف ذلك فى حديثه.

ولهذا وذاك، فإن من خطل الرأى، أن لا يعتقد امرؤ أن مسأله اختيار على (عليه السّلام) من لدن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كانت هادفه مخطئه ابتداء لكى يأتى صورته مكرره لرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) له فى فكره ومواقفه وشتى ألوان سلوكه، بل حتى فى مشيته (٢) وطريقه حياته، واسلوب عيشه.

فلقد كان الإمام (عليه السّلام) من الصفاء الروحى والاستقامه النفسيه، وفقاً لما علمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وربّاه بحيث كانت تتكشف له الكثير من أسرار الغيب المستور، فهذا هو يقول: «ولقد سمعت رنه الشيطان حين نزول الوحي عليه، صلوات الله عليه، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنه؟ فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا أنك لست بنبى، ولكنك وزير، وانك لعلى خير..» (٣).

ص: ١٨

١- بحار الأنوار ١٠: ٣٥ عن بشاره المصطفى (ص).

٢- على بن أبى طالب (ع): عبد الفتاح عبد المقصود ج ١: ٣٩.

٣- نهج البلاغه ص ٣٠١ (الخطبه القاصعه). تبويب د. صبحى الصالح.

فان الشوط الذى قطعه فى مضمار الهدى والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى وامثال أوامره، وتجسيد متطلبات رسالته، رشحه لأن يكون وزيراً للنبوه، وهو مقام، لا- يناله إلا من ألهمه الله هدايه، وحياه بمعرفته، وحيه، فعاد لم يفصله عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا درجة النبوه، فارتقى منصفه الوزاره بحق وجداره، وهكذا كان على...

فى كنف الوحى

واذا كان الإمام (عليه السلام) قد عاش ست سنوات، فى أحضان والديه واخوته، وكان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دور مميز فى رعايته، طوال تلك السنوات النديه من عمره (عليه السلام) فأن رعايه على وتربيته، صارت من اختصاص المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) دون منازع، منذ السنه السادسه، منذ انتقل (عليه السلام) إلى داره (صلى الله عليه وآله وسلم) على أثر الضائقه الماليه التى ألمت بأبيه أبى طالب كما ذكرنا -.

ومنذ تلك السن المبكره عاش على (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى بيته قبل أن يصدع بدعوته، حيث قضى تحت رعايته سنوات الصبا وسنوات التفتح على الحياه، وخلالها عاش الإمام (عليه السلام) كل التطورات التى اكتنفت حياه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

فعلى لم يحظَ بالتربيه المألوفه، التى يحظى بها غالباً طفل من قبل أبيه، أو صغير من لدن أخيه الأكبر، وانا كان اعداده وتربيته من نوع خاص، وحسبك أنه كان يصحب الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى فى ساعات اختلائه فى غار حراء.. ويشهد التطور الروحى والفكرى الذى كان

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمر فيه، وها هو (عليه السلام) يستذكر تلك الأيام الخالده وذلك الشطر الحساس من حياته، فيقول: «... لقد كان يجاور في كل سنه بحراء، فأراه، ولا يراه غيري»^(١) - كما ألمحنا إلى ذلك - أجل كان (عليه السلام) يعيش التحول الروحي الهائل، الذى شهدته نفس المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى أشرق عليه وحى السماء المبارك.

ولقد كان للمستوى الروحي والخلقى البعيد المدى الذى سمت إليه نفس على (عليه السلام)، أن شهد التحول الكبير، الذى جرى فى عالم الغيب، من انهزام للشيطان، بعد يأسه من أن يُعبد، فور بعثه المصطفى بالرسالة الخاتمه... فلقد شهد وزير النبوه على (عليه السلام)، ارهاصات النبوه التى شهدتها أستاذة ومعلمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعاشها كما عاشها بملء كيانه، ثم واكلها حين سطر الهدى، وتلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أول بيان من السماء، لتكليفه بجمل الرسالة، ثم تبنى دعوه الناس اليها:

«أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ».

(العلق ١ - ٥)

«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ»...

(المدثر ١ - ٤)

ص: ٢٠

١- الخطبه القاصعه من نهج البلاغه ص ٣٠١ تبويب د. صبحى الصالح.

حين تلقى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بيان التكليف الإلهي، بحمل الرسالة والدعوه الألهيه كان على (١) (عليه السلام) أول الناس علماً بأمره، وتصديقاً لدعوته، كذلك فعلت خديجه الكبرى، فانبثق من أجل ذلك أول نواه المجتمع المتقين في الأرض.

وما أجمل حاله الرمزيه التي تحملها روايات بعض المؤرخين حول لقي على (عليه السلام) لامر الدعوه الإلهيه (٢). فقد روى جابر بن عبدالله الأنصاري (رض) قال: بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الإثنين، وصلى على يوم الثلاثاء

وروى زيد بن أرقم (رض)، قال: أول رجل صلى مع رسول

ص: ٢١

-
- ١- اضافته إلى كتب التاريخ التي تصرح بأن علياً أول الناس إسلاماً فهناك عدة أحاديث عن رسول الله (ص) تجسد هذه الحقيقه راجع المستدرک ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحليه الأولياء ج ١ ص ٢٨٥ وسيره زيني دحلان في هامش الحليه ج ١ ص ١٨٨: نقلاً عن الغدير ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٤٢ ط ١٩٦٧/٣ بيروت.
 - ٢- أوردها الطبري في تاريخه ٢: ٥٥ - ٥٦ فلاحظ.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على... وقال ابن عباس (رض): أول من صلى على.

ويقول على (عليه السلام): «أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلّا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين»..

ويجدد بنا، أن نعى أن علياً (عليه السلام) لم يذعه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإسلام كما دعا غيره فيما بعد، أبداً، لأن علياً (عليه السلام) كان على فطره الله تعالى، مُسَلِّماً لأمر الله، لم تصبه الجاهلية بأوضارها، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها، وكل الذي كان: أن علياً (عليه السلام) قد أطلعه الرسول القائد (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمر دعوته ومنهج رسالته، فأعلن تصديقه وأيقن بالرساله الخاتمه، وبادر لتلقى توجيهاته المباركه تلقى تنفيذ وطاعه وتجسيد.. ولهذا اعتاد المؤرخون أن يقولوا: (كرم الله وجهه) أى كرمه الله عن طاعه غيره والسجود لسواه.

فان علياً (عليه السلام) كان مؤهلاً - كما بينا فى مطلع الحديث - لأتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى دعوته، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد أنشأ شخصيته، وأرسى لبناتها الأساسيه.

ولا أظننى أضيف جديداً اذا قلت : إن الإمام (عليه السلام) لم يفاجأ بأمر الدعوه المباركه، طالما عاش فى كنف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتفياً ظلاله، فالمصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما نعلم - كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهليه فى مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته، قبل أن يتنزل عليه وحى السماء، بأول سوره من القرآن الكريم (١) إذ كان (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ طفولته نبياً ثم صار رسولاً

ص: ٢٢

١- يراجع كتابنا، سيره المصطفى (ص) ط بيروت ولاحظ الملحق، وثيقه رقم (٥).

وعلى (عليه السّلام) كان مطلعاً على عباده أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية فكان يتعبد معه، وينهج نهجه، ويسلك سبيله، في تلك السن المبكره من عمره بل كان يرافقه حتى في غار حراء، وهو منقطع لعبادته.

اما حين اطلعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بأمر الدعوه الإلهيه، فقد لبي النداء بروحه ووعيه وكل جوارحه، دون أن يباغت في الأمر، وان كان هناك من جده في المسأله، فانما هي في الكيفيه التطبيقيه للرساله ودرجه المسؤوليه الواجب تحملها او في تفاصيل الاحكام.. وحين بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوه المباركه، بلّغه الله عزوجل كذلك، أن تنصب دعوته أولاً على الخاصه من أهل بيته (عليهم السّلام)، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله: «فجعل رسول الله الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) يذكر ما أنعم الله عليه، وعلى العباد به، من النبوه سره إلى من يطمئن اليه من اهله...»^(١) ومن أجل ذلك أخبر علياً وخديجه بأمر الرساله - كما ذكرنا - وبعدها زيد بن حارثه، وبقي أمرها طي الكتان لا يعلمه غير هؤلاء، وبعض الخاصه من أهل البيت (عليه السّلام).

وقد اشار الإمام على بن الحسين (عليه السّلام) في حديث له حول إسلام جده على بن أبى طالب (عليه السّلام) إلى ذلك بقوله: «... ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم)»

ص: ٢٣

١- ج ١ ص ٢٥٩ مصطفى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٦٣ تحقيق مصطفى السقا وجماعه.

ونترك هنا وثائق التاريخ، لتحدث بشكل طليق، مكشوف عن هذه المسألة من سيره أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد روى الطبرى فى تاريخه (٢) ما يلى حدثنى محمد بن عبيد حدثنا سعيد بن حُثيم عن أسد بن عبده البجلي عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال جئت فى الجاهليه إلى مكه فنزلت على العباس بن عبدالمطلب قال: فلما طلعت الشمس وحلقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبه أقبل شابٌ فرمى بصره إلى السماء ثم استقبل الكعبه فقام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه قال فلم يلبث حتى جاءت امرأه فقامت خلفها فركع الشاب فركع الغلام والمرأه فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأه فخر الشاب ساجداً فسجداً معه فقلت يا عباس أمر عظيم فقال أمر عظيم أتدرى من هذا؟ فقلت لا قال هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن أخى أتدرى من هذا؟ معه قلت لا قال على بن أبى طالب بن عبدالمطلب ابن أخى أتدرى من هذه المرأه التى خلفها قلت لا قال هذه خديجه بنت خويلد زوجه ابن أخى وهذا حدثنى إن ربك رب السماء أمرهم بهذا الذى

ص: ٢٤

-
- ١- الروضه من كتاب الكافى ج ٨ حديث إسلام على(ع) وهناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائى وابن ماجه والحاكم والطبرى فى تاريخه والرياض النضره ج ٢ ص ١٥٨ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠٠ أو غيرها راجع ٢٢١ - ٢٤٠ ج ٣ من الغدير على أن تلك الرويات تشير إلى أن إيمان على وعبادته قد سبق فيها الناس بسبع أو تسع سنين، وهى لا تخالف القول بثلاث سنين أبداً فان المراد بأنه سبق بالتصديق بالإسلام بعد الدعوه بثلاث سنين وسبق سواه بالإيمان والتعبد مع الرسول (ص) فى مرحله الاعداد التى اشار إليها فى خطبه القاصعه بسنوات أخرى والله اعلم..
- ٢- الطبرى ٢: ٥٦ وللمزيد راجع وثيقه رقم (٥) فى الملحق.

تراهم عليه وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

ولأسبقيته في حمل الدعوه اشار الإمام (عليه السّلام) في حديث جاء فيه «.. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وخديجه وانا ثالثهما، أرى نور الوحي والرساله، وأشم ريح النبوه..».

وبعد أن تخطت الدعوه الالهيه مرحله دعوه الخاصه من أهل البيت (عليهم السّلام) جاءت مرحله دعوه من يتوسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فيهم القبول لدعوته، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوه، كان أغلبهم من الشباب، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءه القرآن الكريم، والتعرف على أحكام دين الله تعالى تتم بصوره سرية نأياً عن عدوان المشركين .

الوصى الوارث :

ثم أذن الله عزوجل لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بدعوه عشيرته الأقربين من بنى هاشم، ليوسّع من مدار الدعوه بذلك، فقال تعالى:

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ »

الشعراء / ٢١٤ - ٢١٦)

فلما تلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) أمر ربه الأعلى بانذار عشيرته الأقربين، أمر علياً (عليه السّلام) أن يدعوهم إلى طعام عنده، فحضروا إلى دار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وكانوا أربعين رجلاً.

وبعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بقوله «.. يا بنى عبدالمطلب، ان الله بعثنى إلى الخلق كافه، وبعثنى اليكم خاصه، فقال:

ص: ٢٥

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بها العرب والعجم، وتنقاد لكم بها الأمم وتدخلون بها الجنة، وتنجون بها من النار، شهادته أن لا اله إلا الله وأنى رسول الله فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرنى عليه، وعلى القيام به يكن أخى ووصى ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى..»(١).

وبين تنديد أبى لهب، وتحذيره للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاستمرار بالدعوه من جهه، وتأيد أبى طالب له ومخاطبته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك»(٢).

أقول: من خلال التأيد، الذى أعلنه أبو طالب، والتنديد البليد الذى أعلنه أبو لهب، وقف على بن أبى طالب (عليه السلام) وكان أصغر الحاضرين سناً فقال: «أنا يارسول الله أؤازرك على هذا الأمر، فأمره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجلوس، ولما لم يجبه أحد نهض على ثانيه والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلسه...

وأعاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته إلى قومه، فلم يجبه أحد، وكان صوت

ص: ٢٦

١- اخرج الحديث كل من: ابن اسحاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، وأبى نعيم، والبيهقى فى سننه وفى دلائله، والثعلبى، والطبرى فى تفسير هما لسوره الشعراء من تفسيريهما الكبيرين، وأخرجه الطبرى فى تاريخ السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٨١، والطحاوى، والضياء المقدسى فى المختاره، وأحمد بن حنبل ج ١ ص ١١١ ص ١٥٩، والنسائى فى خصائصه ص ٦، وكنز العمال ج ٦ الحديث رقم ٦٠٠٨، والمفيد فى ارشاده فى مناقب على (ع) وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بألفاظ متقاربه وللمزيد من المصادر لاحظ المراجعات للسيد شرف الدين ص ١٢٤ وما بعدها.

٢- صور من حياه محمد، أمين دويدار ص ١٤٠، وفقه السيره / للغزالي ص ١٠٢ - ١٠٣، ويراجع الهامش السابق كذلك.

على (عليه السّلام) وحده يلبي الدعوه، ويهدر بالمؤازره والنصره، فمزق صمّتهم بصلابه إيمانه، وقوه يقينه، وحيث لم يجب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) أحد للمرّه الثالثه.. التفت إلى مجيبه الوحيد، قائلاً: «أجلس فأنت أخى ووصى ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى»^(١).

فنهض القوم من مجلسهم، وهم يخاطبون أبا طالب: «ليهنّك اليوم أن دخلت فى دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك»^(٢).

وهكذا غرست الوصيه لعلّى (عليه السّلام) بعد الشهاده لله بالوحدانيه ولمحمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالرساله الخاتمّه.

مواجهه الجاهليين:

ودخلت الدعوه إلى الله مرحله المواجهه - بعد انذار العشيره - وأول من قاد ردّ الفعل المضاد كان أبا لهب وزوجته، فكانا يعترضان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ويزرعان المشاق فى طريقه، لأثنائه عن دعوته المباركه، ولكن دعوه الله سبحانه مضت تشق طريقها فى المجتمع الجاهلى المتحجر ذاك، فقد انتقلت بعد ابلاغ العشيره إلى الدعوه العامه، حيث وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) على «الصفاء»، وخاطب الجموع الغفيره بأنه رسول الله، وسفيره إليها^(٣)..

ص: ٢٧

-
- ١- صور من حياه محمد / أمين دويدار ص ١٤٠، وفقه السيره اللغزالي ص ١٠٢ - ١٠٣ ويراجع هامش رقم (١) من الصفحه السابقه من هذا الكتاب لمعرفة المصادر الأساسيه التى تحمل النص الشريف.
 - ٢- نفس المصادر المذكور.
 - ٣- يراجع الفصل الأول من كتاب سيره المصطفى (ص) ط بيروت، للمؤلف.

وبعد تلك الدعوه تزايد عدد المؤمنين وكان أغلبهم من الشباب

ومن شتى قطاعات المجتمع المكي..

وكان لتزايد عدد المؤمنين برسالة الله تعالى أثر بالغ على موقف الجاهليين، فقد سلكوا أسلوب الارهاب للرعييل الأول من المؤمنين، فكانت كل قبيله وكل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد(١)، والمؤمنون يزدادون صموده وإيماناً بصوت الحق والهدى، الذى دوى به صوت محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرددته النفوس الطأى إلى الخير والانعقاد... .

وبسبب التعذيب الجسدى الوحشى، الذى صبَّ على المؤمنين، كانت هجره الحبشه التى قادها جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) الذى يكبر علياً (عليه السلام) أخاه بعشر سنين وكان لجعفر وحكمته الأثر الفعال فى إفشال مخطط قريش فى إثارة ملك الحبشه على المهاجرين لطردهم من بلاده(٢).

ابو طالب يتصدى لأعداء الرساله:

وإذا كانت قريش قد تصدت للسابقين من المؤمنين بالعنف والاضطهاد، فانها ليست قادره على التصدى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قائد الدعوه ورسولها، بنفس المستوى، لعلمها أن أبا طالب شيخ الابطح، يحول دون تحقيق أى لون من ألوان التصدى والارهاب لرسول

ص: ٢٨

١- المصدر السابق يراجع الفصل الأول أيضاً وتلاحظ الوثيقه رقم (٦) فى الملحق.

٢- نفس المصدر المذكور.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فأبو طالب، رجل مرهوب الجانب، ذو سطوه ونفوذ، ليس في بني

هاشم وحدهم، وإنما في قبائل مكة كلها.

وقد كان الرجل سند الدعوه وجدارها الشامخ، الذي تستند إليه

منذ تبشير فجرها الزاهر.. وقريش، كانت تدرك ذلك تماماً.

ومن أجل ذلك، سلكت أسلوب المفاوضه، والمساومه

والاغراء: تفاوض الدعوه الألهيه في شخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مره، وفي شخص أبي طالب مره أخرى.. فحين كانت تعرض المال والسلطان على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مقابل تركه للدعوه، والتنازل عن رساله، فانها كانت تفاوض أبا طالب، وتحاوره بشأن دعوه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، طالبه أن يستعمل نفوذه، بالضغط عليه، لترك رسالته، وتهده باحتدام الصراع بينه وبين قريش كلها، اذا لم يخل بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويكف عن اسناده له.

يبد أن أبا طالب، كان يعلن اصراره على التزام جانب رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والذود عنه، مهما غلا الثمن، وعظمت التضحيات (1).

ابو طالب ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحصار

ولما استبد اليأس بقريش، من أن أبا طالب لن يفرط برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته، عقد زعماءها اجتماعاً طارئاً في دار الندوه - وهي دار قصي بن كلاب، التي اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور في

ص: ٢٩

١- راجع كتاب: ابو طالب الصحابي المفترى عليه: للمؤلف.

القضايا المصيرية من حياتها فتوصل المجتمعون إلى قرار، يقضى بحصار بنى هاشم، ومن يلوذ بهم، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً، ينصب على عدم مبايعه بنى هاشم أو الشراء منهم، أو تزويجهم، أو التزوج منهم، وقد ذيل قرار المقاطعه ذلك بأربعين توقيعاً لزعماء قريش... .

ودخل بنو هاشم شعب أبي طالب، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته، حمايه لأنفسهم من سطوه قريش وغدرهم وأصبح من المتعذر عليهم الخروج إلى مكه، إلا فى موسم العمره فى رجب، وموسم الحج فى ذى الحجه من كل عام. وبالنظر لتفاقم الموقف بين بنى هاشم وقريش، شدد أبو طالب الحراسه على الشعب، بعد تحصينه، خشيه هجوم قريشى مباغت... .

لقد وضع أبو طالب (رض) خطه حكيمه لحمايه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاته من أيه محاوله لاغتياله من المتسللين إلى الشعب الذين يبغون شراً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى اذا نام رسول الله فى موضع معلوم، غير مكانه بعد أن تنام العيون، وأنام ولده علياً(عليه السلام) فى مكانه، احتياطاً للأمر ونفويئاً للفرص على قريش وحلفائها.

واستمر الحال بينى هاشم - بما فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى ابن أبى طالب (عليه السلام) هكذا ثلاث سنين - وقيل اربعاً - وقد عانوا من شظف العيش، والحرمان والفاقه، وما يدمى القلب، ويحز فى النفس.

ولك أن تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق، اذا علمنا أن

قريشاً قد شدّت عليهم الحصار بشكل كامل، فقطعت عنهم التموين ووصول الأرزاق، وكانت غالباً ما تضاعف أمان البضائع، ليعجز بنو هاشم عن شرائها بشكل أدى بهم إلى المجاعة الحقيقية، حتى أن صراخ اطفالهم وتضورهم جوعاً كان يسمع من بعيد...

وبعد ان تصرمت السنون الثلاث، بعسرها وآلامها وفاقتها، أخبر

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه أبا طالب أن صحيفه المقاطعه التي كتبها قريش قد أتت دوده الارضه على ما فيها من ظلم وقطيعه فأكلتها، إلّا عبارته «باسمك اللهم» فأسرع أبو طالب إلى قريش وأخبرهم، قائلاً:

«.. ان ابن أخى أخبرنى أن الله قد سلط على صحيفتكم الارضه فأكلتها، غير اسم الله، فإن كان صادقاً نزعتم عنه سوء رأيكم، وان كان كاذباً دفعته اليكم...»^(١).

قالوا: قد أنصفتنا.. ثم فتحوا صحيفه المقاطعه فإذا هي كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ووقع نزاع حاسم بين قريش، نتج عنه تمزيق الصحيفه وانتهاء المقاطعه، ورفع الحصار عن بنى هاشم، وقد كان لافشال مشروع الحصار بذلك الشكل الاعجازى الجلى أثره فى كسب الدعوه الألهيه للمؤيدين، والأنصار فى مكه..

ص: ٣١

١- بحار الأنوار ج ١٩ باب دخول الشعب، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣، ١٩٢، سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٤ وعيون الاخبار لابن قتيبه ج ٢ ص ١٥١، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٤، ٩٦، ٩٧، السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٧ الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣٦ والغدير ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٦٦.

أرأيت كم من التضحيات فى سبيل رساله الله، بذل بيت

على (عليه السلام) ؟

فاذا كان على أول من لبي صوت الحق، وظل مجاهداً فى الصف الأمامى من الجبهه الإسلاميه طوال حياته، فان أباه قد ضحى حتى مكانته الاجتماعيه التى كان يحظى بها فى قريش، وذاق المحن من أجل رساله الله تعالى، حتى كان بحق الدرع الواقى للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والدعوه فى حين كانت المكانه الاجتماعيه: حلم الرجال ومبتغاهم فى ذلك المجتمع القبلى المادى..

وهكذا كان جعفر بن أبى طالب، الأخ الشقيق لعلى (عليه السلام) الذى دشن حياته الإسلاميه بقياده موكب الهجره الأولى إلى الحبشه وتوجها بالشهاده فى غزوه مؤته.. ففاز بلقب الطيار مع الملائكه فى الجنه كما اخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك(١)...

ومن المناسب أن نشير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عظيم الحب لجعفر حتى أنه حين قدم المدينه المنوره من الحبشه، وذلك يوم فتح خيبر، استقبله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل ما بين عينيه، وهو يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما أدري بأيهما انا اشد فرحاً بقدوم جعفر؟ أم بفتح

خيبر»(٢).

ص: ٣٢

١- بحار الأنوار ج ٢١ باب غزوه مؤته، ابن سعد فى طبقاته ج ٤ ص ٢٣ وأسد الغابه ج ١ ص ٢٨٧، ابن أبى الحديد ج ٢٣، ص ٤٠٧، البدايه والنهايه ج ٤ ص ٢٥٦، الاستيعاب ج ١، ص ٨١ ومقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصبهاني باب ذكر مقتل جعفر بن أبى طالب ص ١٠ وما بعدها ط / ١٩٧٠.

٢- نفس المصدر السابق.

وفى خضم الصراع العنيف، الناشب بين الدعوه الالهيه المباركه،

والجاهليه الرعناء، فجع الإسلام بفقد مؤمن قريش: أبى طالب (عليه السّلام) فاهتز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للحادث الأليم، وعلم أن قريشاً ستعمل كل وسعها على تصعيد حملتها على المؤمنين، وعلى شخصه الكريم بالذات..

وإذا كانت قريش تخشى أبا طالب، ومركزه الاجتماعى، فيما مضى، فقد صفا لها الجو بعد موته، وها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يفقد سنده الشاخ، ويصاب بعده بفاجعه أخرى لا تقل فى تأثيرها عليه من الأولى، فقد توفيت زوجته الوفيه أم المؤمنين خديجه، حتى دعا العام الذى فقدهما فيها «عام الحزن»..

وللأهميه البالغه، التى يحتلها أبو طالب، فى سير الحركه التاريخيه لدعوه الله تعالى، صرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:

«ما زالت قريش كاعه عنى حتى مات أبو طالب»^(١).

وصعدت قريش حملتها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والسابقين من المؤمنين بشكل واسع خطير، فاتجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للبحث عن أرض غير مكه، تستقر عليها دعوه الله، فتنمو عليها شجره الهدى، وراح يتصل بالقبائل، ويعرض أمره على الناس فى أطراف مكه... ثم زار

ص: ٣٣

١- تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٢٢، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤، مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢: «نقلًا عن الغدير ج ٧ ص ٣٧٦» وكشف الغمه فى معرفه الأئمه ج ١ ص ١٦٢... وغيرها.

الطائف، واتصل بزعماء قبائلها، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعي، بيد أن اليأس لم يتسرب إلى نفسه، أبداً، فاستمر في عرض دعوته على الناس خارج مكة، حتى التقى في موسم الحج بنفر من أهل يثرب، وعرض عليهم رسالته، فاستجابوا له، ولبوا دعوته الله، وعادوا يحملون كلمه الله إلى قومهم.

وفي العام التالي قدم منهم اثنا عشر رجلاً فبايعوه على الإيمان وحمل الرسالة، فأرسل لتعليمهم احكام دين الله تعالى: مصعب ابن عمير، فمكث فيهم سنه كامله يدعوهم إلى الله ويؤدبهم بتعاليم رسالته، ويقرئهم القرآن الكريم فدخل الكثير من الناس في الإسلام، واستجابوا لنداء الدعوه الألهيه المباركه..

وفي موسم الحج حضر منهم إلى مكة وفد كبير يقوده مصعب بن عمير، فالتقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبايعوه على النصره ان هو هاجر إلى بلدهم..

وتنزل أمر الله تعالى يدعو المسلمين إلى الهجرة، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديده مخلفين وراءهم المال والوطن وعلائق الدم والقربى من اجل الله، ورسالته العظمى.

ولئن كانت الدعوه قد أوشكت على الدخول في مرحله جديده

من مراحل مسيرتها العتيده، فأن قريشاً، قد اجتمعت في دار الندوه للتشاور بشأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالذات، فتوصل قاداتها إلى قرار يقضى باغتيال جماعى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتولاه من كل قبيله رجل منها كما وينفذ ذلك العمل الجبان المفترض تحت جنح

و بيان سماوى مبارك كشف جبريل (عليه السّلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوراق الجريمة التى أجمعت قريش على اقترافها.

«وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ».

(الأنفال / ٣٠)

فى فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

وأبلغ جبرئيل (عليه السّلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر الله تعالى بضروره هجرته إلى المدينة المنوره. وحين أنتشر الظلام، أسرع المتآمرون لتطويق بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للحيلولة دون افلاته من قبضتهم!.. وعندها جاء دور على (عليه السّلام) ليلتحف ببردته، وينام فى فراشه، وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بين الكائدين وهو يتلو قوله تعالى:

«وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» (يس / ٩)

فلم يشاهده أحد من المشركين، ولم يشعر بخروجه من بينهم؛ وعند الساعات الأخيره من الليل اقتحم المتآمرون الغادرون دار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتنفيذ جريمتهم، واتجهوا لغرفته، فوثب على (عليه السّلام) فى وجوههم قائلاً: ما شأنكم؟ قالوا: أين محمد؟

قال: «أجعلتمونى عليه رقيباً؟ أستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد

فانقلبوا خاسرين وباءوا بالفشل الذريع... وقد كان واضحاً عند الجاهلين ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - لتمييز علاقته به - لا يمكن أن يغادر مكة دون علي (عليه السلام) أبداً، ولذا فإن الأمر قد اختلط عليهم ووقعوا في حيره شديده حين وجدوا علياً مضطجعا في فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

فقد روى ابن الأثير في أسد الغابه مايلي: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي ليله الهجره: أن قريشاً لم يفقدوني ما رأوك، فلا أصبح، ورأوا علياً قالوا: لو خرج محمد الخرج بعلي معه (٢). وهكذا كانت هجره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وابقاء علي (عليه السلام) في فراشه جزءاً من خطه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأرباك قريش، وافشال مكائد دار الندوه!!

ثم بدا لهم بعد ذهول طويل أن يبحثوا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويجدوا في طلبه في الجبال والوديان، واصطحبوا لذلك أبا كرز، وهو رجل شهير بعلم معرفه الأثر، وبالفعل استطاع أبو كرز أن يتابع أثر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أوصل القوم إلى غار جبل «ثور» مؤكداً لهم أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وصل في نهايه شوطه إلى ذلك الغار، واذن فلا بد أن يكون قد عرج إلى السماء أو اختفى تحت الأرض (٣)، وحيث أن الله سبحانه وتعالى قد بعث عنكبوتاً فنسجت بيتاً لها على باب الغار، فان المتأمرين لم يخطر ببالهم أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في داخل الغار الذي يقفون على بابه، وهكذا صرف

ص: ٣٦

-
- ١- تفسير سوره الأنفال آيه ٣٠ يراجع الميزان ج ٩ بحث روائى ص ٨٠.
 - ٢- أسد الغابه ٤: ٩٦.
 - ٣- الميزان ٩: ٨٠.

الله عقولهم فولوا الأدبار وعادوا خائبين.

وعند حلول الليله الثانيه أسرع على (عليه السلام) وهند بن أبى هاله إلى الغار للاتصال بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت جنح الظلام(١) فدار بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى (عليه السلام) حديث حول مستلزمات الهجره وشؤونها... فأوصاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأداء الأمانات إلى أهلها، وباللحوق به (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد اداء تلك المهمه، وأوصاه أن يحمل معه فاطمه الزهراء (عليها السلام) ومن معها من نساء أهل البيت..

الانتظار فى قبا

وبعد أيام من مسيره الركب وصل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى «قبا» حيث نزل عند كلثوم بن الهدم أحد زعماء بنى عمرو بن عوف (٢)، وهناك أقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكث ينتظر قدوم على بن أبى طالب (عليه السلام) (٣)، إذ كتب إليه كتاباً يأمره بالمسير إليه، وقد حمل الكتاب أبو واقد الليثى، وحيث أن علياً (عليه السلام) قد أدى ما أوصاه به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل هجرته وأعاد الأمانات التى كانت لدى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهلها، فقد عجل باللحاق بأخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبادر إلى اعداد ركائب لحمل النساء، فكنن: فاطمه بنت رسول الله، وفاطمه بنت أسد، وفاطمه بنت حمزه وفاطمه

ص: ٣٧

١- أعيان الشيعة ج ٣ ط ٣ / ص ١٥٥.

٢- الروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٩، للكلينى ط - طهران.

٣- الفصول المهمه فى معرفه الأئمه / ابن الصباغ المالكى «فصل فى شىء من شجاعته ص ٢٨».

بنت الزبير بن عبدالمطلب.

ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذى طوى وخرج هو

والفواطم وأيمن وأبو واقد الليثي نهراً^(١).

ولم تمض غير أيام قليلة حتى وصل ركب على والفواطم إلى قبا، فاستقبلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعانق علياً (عليه السلام) وبكى رحمه به وذلك لما ألم به من ارهاق وأذى -.

وبعد مقدم على (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيومين ارتحل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبصحبه على (عليه السلام) ومن معه من المهاجرين إلى المدينة المنورة...

وكان الركب النبوي يستقبل استقبالاً مهيباً عند كل حى يمر به..

حتى إذا وصل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المكان الذى أقيم مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها، وأقام ضيفاً عند أبى أيوب الأنصارى (رض).. ثم بادر إلى بناء المسجد والدور الخاصه به وبأهل بيته، وفى طليعتهم على (عليه السلام) إذ أقيمت حجرته بجانب حجره عائشه^(٢).

ص: ٣٨

١- أعيان الشيعة: ج ٣ ط ٣ ص ١٥٥ «هجرته إلى المدينة».

٢- أعيان الشيعة: ج ٣ ط ٣ ص ١٥٥ «هجرته إلى المدينة».

استقبلت المدينة عهداً جديداً من تاريخها بوصول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليها حيث أرسى (صلى الله عليه وآله وسلم) قواعد دولة القرآن، وعمل على تحصينها لتكون منارةً يشع نور الحق إلى الآفاق فيبديد ظلام الجاهلية الحالكة..

وإذا كانت الرسالة الألهية بعد الهجرة قد امتلكت دولة وفرت لها الكثير من شروط الحماية والتحصين، فإن ذلك لا يعنى بحال أن مكر الأعداء وخططهم لاطفاء نور الإسلام قد انتهى بل العكس هو الذى كان، فالجاهلية بقواها المتعدده وواجهاتها الكثيره قد أجمعت على حرب الإسلام ودولة الإسلام، وقد دخلت فصائل كثيره إلى الميدان لغير صالح الإسلام، بعد أن أدركت عملياً أن وجودها فى خطر بعد امتلاك الإسلام الدولة التى ترعاه ويحقق أهدافه الكبرى من خلالها..

وهكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أوسع ميداناً وأبعد خطراً، حيث بناء الدولة وحمايتها وبناء المجتمع و ترصينه، وصد الأعداء ونشر العقيدة وغير ذلك من مهام كبرى...

والصراع بطبيعته قد تحول من صراع أفراد أو ارباب قبائل،

وأصحاب وجاهات ضد أفراد عزل لا- يملكون غير دينهم وثقتهم بالله تعالى.. إلى صراع عسكري منظم بين قوى جمعيتها المصالح والأهواء ولو آتياً لحرب الإسلام العظيم باعتباره - وبتقديرهم - الخطر الماحق الوجودهم الفكري والعملى.. وقد تفجر الصراع العسكري بشكل لم يشهد له تاريخ الجزيره العربيه مثيلاً! .

وحسبك أن دوله القرآن قد شهدت عبر عشر سنوات عاشها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هجرته إلى المدينه عشرات من الأعمال العسكريه بين حروب دفاعيه أو هجوميه أو غزوات أو سرايا أو غيرها.. قدم المسلمون خلالها الكثير من الضحايا ولايقوا صنوفاً من البلاء، بيد أنهم قد أنهوا الوجود العملى للجاهليه العربيه بعون إلهى مشهود.. فشملت دوله الإسلام الجزيره العربيه دون منازع..

وإذا تتبعنا تلك المرحله الدقيقه من عمر الرساله الخاتمه لوجدنا أن دور على بن أبى طالب (عليه السلام) فيها لم يرق إليه دور قط.. فهو فى جميع حروب الإسلام ضد أعدائه كان يفوز بقصب السبق لا من باب اشتراكه فى الحرب أو قتاله فيها، وانا ما قدمه من بطوله وتضحيه يسبق بها سواه.

ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من بطولته (عليه السلام): بعرض موجز سريع.

١- فى معركة بدر:

كان عدد المسلمين - فى تلك المعركه - يساوى ثلث جيش عدوهم وكانت العده لدى المسلمين ليست ذات بال فعلى سبيل المثال كانوا لقله

ركائبهم يركب منهم الاثنان والثلاثة والأربعة على بعير واحد، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي، وكانت أسلحه بعضهم من جريد النخل ونحوه... .

حتى إذا اضطرت نار الفتنة تقدم بطل المسلمين على (عليه السلام) وكان يحمل لواء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربهم طلباً للنصر فاستجاب لهم وأمدهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل حوالى نصف عددهم بسيف على (عليه السلام) (٢).

٢- وفي معركة أحد:

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أعطى لواء المهاجرين لعلى (عليه السلام) ولما اشتبك الطرفان كان النصر ابتداء للمسلمين، بيد أن حماة جبل أحد الذين أمرهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدم مفارقتة تركوا أماكنهم بعد فرار المشركين بدافع الطمع فى الغنائم، فصعدت إحدى فرق المشركين بقياده خالد بن الوليد الجبل فتغير الموقف لصالح المشركين، فخسر المسلمون الكثير من الشهداء.. وأصيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بجروح فى وجهه الكريم كسرت رباعيته، وحيث لم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير على (عليه السلام) وأبى دجانة وسهل بن حنيف، استبسل على (عليه السلام) كعادته فى الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومجد الرسالة الإلهية،

ص: ٤١

-
- ١- أحمد بن يحيى البلاذرى فى أنساب الاشراف ج ٢ ص ٩١ و ٩٤ ط ١ سنة ١٩٧٤ بيروت، ومستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١١١، وابن سعد فى الطبقات ج ٣ ص ١٥.
 - ٢- حياه أمير المؤمنين، محمد صادق الصدر ط ٢ سنة ١٩٧٢ ص ٢٣٠.

وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر، وكانوا تسعه رجال ثمانية من بنى عبدالدار وتاسعهم عيدهم (١). مما أربك العدو فاضطر

للفرار.

٣- وفي غزوه الأحزاب:

طوقت المدينة بعشره آلاف من المشركين (٢) بشتى فصائلهم، و نقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانضموا إلى صفوف الغزاه، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ، فقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلت نفوس، وظنت نفوس بالله الظنون - كما حدثنا القرآن (٣).

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري أحد أبطال الشرك الخندق مع بعض رجاله، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم.. وراح ابن عبد ود يصول ويجول، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته، ويستعلى وينادى:

هل من مبارز؟

فقام على (عليه السلام) وقال: أنا له يا رسول الله.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أجلس انه عمرو؛

ص: ٤٢

١- تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٧، وأحمد بن حنبل فى الفضائل، وابن هشام فى السيره النبويه ج ٣ ص ٥٢ ودلائل الصدق، الشيخ محمد حسن الظفرج ٢ ص ٣٥٧ طقم. وحياه أمير المؤمنين، السيد الصدر ص ٢٣٦ وما بعدها والارشاد للمفيد ص ٥٢.

٢- راجع الفصل الثانى من سيره المصطفى (ص) للمؤلف ط بيروت.

٣- تراجع سوره الأحزاب ١٠.

وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبخ المسلمين، ويسخر بهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون، أن من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً؟

ولما لم يجبه أحد من المسلمين، كرر على (عليه السلام) طلبه: أنا له يا رسول الله.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أجلس انه عمرو؛

فأبدى على عدم اكتراثه بعمرو وغيره، قائلاً: وان كان عمراً!

فأذن رسول الله لعلی (عليه السلام)، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته..

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللهم هذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فردا، وأنت خير الوارثين»^(١).

ومضى على (عليه السلام) إلى الميدان، وخاطب ابن عبد ود بقوله: - يا عمرو انك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا قبلتها..

قال عمرو: أجل

فقال على (عليه السلام): فاني أدعوك إلى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى الإسلام.

فقال: لا حاجة لي بذلك.

قال له الإمام: فاني أدعوك إلى البراز.

فقال عمرو: انى أكره أن أهريق دمك، وان أباك كان صديقاً لي.. فرد عليه الإمام (عليه السلام) قائلاً: لكنى والله أحب أن أقتلك، فغضب

ص: ٤٣

١- السيرة النبوية، أحمد زيني دحلان ج ٢ ص ٦-٧، غزوه الخندق.

عمرو، وبدأ الهجوم على علي (عليه السلام) فصدّه الإمام برباطه جأشه المعتاد، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير، والتهليل في صفوف المسلمين (١).

ولما عاد الإمام (عليه السلام) ظافره استقبله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول: «لمبارزه علي بن أبي طالب لعمر بن عبد ودّ، أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة» (٢).

وبعد مقتل ابن عبد ودّ بادر علي (عليه السلام) إلى سد الثغره التي عبر منها عمرو ورجاله الخندق ورابط عندها (٣)، مزماً القضاء على كل من تسول له نفسه العبور، ولولا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينه على المسلمين، بذلك العدد الهائل.

وهكذا كانت بطوله علي (عليه السلام) في غزوه الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الإسلامي، وانهزام المشركين.

٤- وفي غزوه خيبر:

عجز عليه القوم عن الصمود أمام اليهود، ولما بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراماً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه..» (٤) حتى تطلع بعض

ص: ٤٤

١- المصدر السابق.

٢- مستدرک الصحيحین ٣ ص ٣٢ عن سفیان الثوري ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩.

٣- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٦-٧، غزوه الخندق، وارشاد المفيد ص ٥٨.

٤- أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٣-٩٤ عن أبي هريره وابن عباس بلفظ متشابه، وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩ وما بعدها ط ١٩٧٥١ بيروت وفي الاصابه والاستيعاب وحليه الأولياء ومسلم في الصحيح بألفاظ متقاربه.

الصحابه أن يكون هو المقصود بهذه الكرامه!

ولما كان الغد أعطاهما علياً فافتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوه، وقتل بطلهم «مرحبا» ثم فتح الحصون جميعاً وتحقق نصر الله على يديه..

٥ - وفي غزوه حنين:

فوجئ المسلمون - وكانوا اثني عشر ألفاً - بكمائن المشركين في الجبال ونبالهم، ففروا وذعروا، وخلّوا بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعدائه! فلم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير علي (عليه السلام) [\(١\)](#) والعباس وبعض أهل البيت (عليهم السلام) فكان النصر بعد عوده المسلمين لميدان القتال.. وكان الظفر.. .

هذه صورته يسيره من مواقف الصمود التي سجلها الإمام علي (عليه السلام) بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أدق الساعات وأكثرها حرجاً [\(٢\)](#).

ومن نافله القول أن نعيد إلى الأذهان أن علياً (عليه السلام) قد اشترك في غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

، وحرابه كلها، غير تبوك [\(٣\)](#) وذلك بأمر من

ص: ٤٥

١- سيره الرسول للسيد محسن الأمين نقلاً عن السير الحلبيه وابن قتيبه في المعارف، وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ١٠ تفسير آيه ٢٥ من التوبه والبعث الروائي، والارشاد للمفيد «غزوه حنين» ص ٨١.

٢- للاستزاده يراجع كتاب الإمام علي، عبد الفتاح عبد المقصود وأعيان الشيعة المجلد الثالث، للسيد محسن الأمين، والارشاد للشيخ المفيد، وسيره ابن هشام والفصول المهمه في معرفه الأئمه لابن الصباغ المالكي.

٣- راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٢ ط ١٩٧٤، ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١، وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٠ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٧٥ ولمعرفه المزيد من المصادر راجع فضائل الخمسه من الصحاح الستة ج ٢ ص

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بذاته، وكان له في جميعها القدح المعلى، هذا عدا الغزوات التي قادها بنفسه (عليه السلام).

والباحث المنصف حين يتناول حياة الإمام علي (عليه السلام) بالدراسة، وفي شطرها الجهادى بالذات يقف مذهولاً أمام بطولته الفريده وتضحياته المعطاءه، لكن البطوله بما هي بطوله ليست هي الميزه الأساسيه فى جهاد علي (عليه السلام) وان كان ميدانها الواسع وشمولها يبقى سمه من سمات علي امير المؤمنين (عليه السلام) ولكن الأهم فيها انما هو الاخلاص لله تعالى والتضحيه فى سبيله دون سواه.

فإيان علي (عليه السلام) بالله تعالى يبقى هو الحافز والمحرك لتلك البطولات العظيمه التى سجلها تاريخ الإسلام فى أنصع صفحاته بشكل لم يسجل مثلها لسواه.

وحسبك فى ذلك أن كثيراً من المواقف العسكريه كما رأينا يتعرض فيها عليّ القوم فضلاً عن عامتهم للوهن بل والهزيمه النكراء غير أن التاريخ لم يسجل لعلي (عليه السلام) إلا الصمود والفداء والتضحيه فى كل موقف صمد الناس فيه أم انهزموا، الأمر الذى لا يفسره إلا ما يتمتع به علي (عليه السلام) من صدق اليقين وعمق الاستعانه والتوكل على الله والعبوديه له واللامبالاه بما سواه كبر ذلك أم صغر.

هذا عدا ما يتمتع به علي (عليه السلام) من علو الهمة وقوه العزيمه ورباطه الجأش وسمو النفس، والشجاعه المتميزه.

لم يحظَ رجل في الإسلام ما حظى به علي بن أبي طالب (عليه السّلام) من ثناء واجلال من لدن الرساله الإسلاميه، وحثها المتزايد لاتباعها لا على تقديره وحبه فحسب، وانا على التزامه، وانتهاج سبيله، واتخاذة مناراً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد انطوى القرآن الكريم والسنة الشريفه والتاريخ الصحيح على نصوص وروايات تنطق كلها بالثناء على علي (عليه السّلام)، والدعوه إلى التمسك بحبله، والذوبان بحبه!

فمره تأتي كأوسمه يضعها الإسلام على صدره فيميزه عن سواه

ومره على شكل أحكام وأوامر تلزم المسلمين على التزام علي (عليه السّلام) اماماً ومنهجاً.

فمن أوسمه التقدير التي نالها علي (عليه السّلام) من الله تعالى و من رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) نذكر منها ما يلي:

١- « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

فقد قطع المفسرون لهذه الآية: إنها نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهما السلام) حين دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكساء وجللهم به، ولما نزلت الآية قالت أم سلمة زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): هل أنا من أهل بيتك؟

قال: لا ولكنك على خير(١).

وآية التطهير اعظم شهاده من الله عز وجل على طهاره الخمسه الهداه، وعصمتهم فى القول، والعمل، وما يتبع ذلك من ضروره التمسك بحبلهم المتين.

٢- «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (آل عمران ٦١)

فقد ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعلى وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) لمباهله نصارى نجران، فلما رآه النصارى قد خرج بأهل بيته خافوا العاقبه واعتذروا

ص: ٤٨

١- راجع صحيح مسلم فى كتاب فضائل الصحابه، والحاكم فى مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٤٧ والبيهقى فى سنه ج ٢ ص ١٤٩ والسيوطى فى الدر المنثور فى تفسير الآيه، وصحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٠٩ وابن حجر فى تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٧ وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسه من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها، وراجع آيه التطهير دراسه فى الأهداف والمداليل: للمؤلف لتجد مصادر ذلك بدقه ووضوح.

عن مباہلته، فدفعوا الجزیه خضوعاً منهم لسلطان دولته (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

وهذه الآيه تكشف بوضوح لا غبار عليه مكانه على وأهل البيت (عليهم السلام) عند الله ورسوله حيث يقدمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين يدي ضراعتة إلى الله عز وجل، في هذا التحدى النصرانى الجاهل لنبوته، فما أجلها من مكانه، وما أعظمها من رفعه، وطهره، وسمو.

٣- «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا». (الدهر ٨٧-١١)

وهذه الآيه باجماع أهل التفسير نزلت فى على وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام).

وكان ذلك عندما مرض الحسنان فنذر على (عليه السلام) وفاطمه إن شفى الحسنان، فأن علياً و الزهراء (عليها السلام) يصومون الله تعالى ثلاثه أيام.

وبعد شفاء الحسنين صام أهل البيت (عليهم السلام) وفاء بنذرهم.

وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو

جوعه، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير.

وفى اليوم الثانى استطعمهم يتيم فأطعموه بما عندهم. وفى ثالث أيام النذر سألهم أسير فقدموا له طعامهم، وهكذا بقى

ص: ٤٩

١- صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣٠٠ وأحمد بن حنبل فى المسند ج ١ ص ١٨٥ والسيوطى فى الدر المنثور فى تفسير آيه المباهله والزمخشرى فى كشافه والفخر الرازى فى تفسير الكبير، والميزان فى تفسير القرآن فى تفسير الآيه، ويراجع كتاب الزهراء فاطمه بنت محمد (ص): للمؤلف.

أهل البيت (عليهم السّلام) ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء، فأُنزل الله فيهم هذه الآيات الكريمة اعظاماً لشأنهم وأكباراً لعملهم (١) ليكونوا القدوة وليكونوا المثال.

والآية المباركة شهادة مخلده على درجة الأخلص الرفيعه عند آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحبهم للمستضعفين، ورعايتهم للعباد، حتى وان كلفهم ذلك عنت، وخسائر، ثم أن الآية شهادة عظمى على المكانه المميزه التي تنتظرهم فى الآخره، وما أعظمها من شهاده وما أصدقه من قول!

٤- «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَشِيءُ تَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ». (التوبه ١٩)

نزلت هذه الآية عندما تفاخر طلحه بن شيبه والعباس بن

عبدالمطلب: إذ قال طلحه: إنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي؟

وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقايه والقائم عليها.

وفى هذه الاثناء مرّ علىّ بها وسألها: بم يفتخران. فذكر له ما

قالا.

ص: ٥٠

١- يراجع الزمخشري فى كاشفه ج ٢، والواحدى فى أسباب النزول، ومجمع البيان للطبرسى فى تفسير سورة الدهر، والحافظ محمد بن جرير الطبرى كما فى الكفايه، وابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ٣ ص ٤٢ - ٤٧، والحاكم النيسابورى ذكره فى مناقب فاطمه (عليها السلام) كما فى الكفايه، وأبو اسحاق الثعلبى فى تفسيره الكشف والبيان، والآلوسى فى روح المعانى، والطبرى فى الرياض النضره ج ٢ ص ٢٠٧، نقلاً عن الغدير للشيخ الأمينى ج ٣ ص ١٠٧-١١١.

فقال على (عليه السلام): أنا أوتيت منذ صغرى ما لم تؤتيا.

فقالا: وما ذاك؟

فقال (عليه السلام): لقد صليتُ قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى الآية المذكوره في الثناء على ما افتخر به على (عليه السلام) (١). حيث السابقه إلى الحق والصلاه قبل الناس، وقياده حركه الجهاد؛

وإذا كان القرآن الكريم يثنى هذا الثناء الجميل على على (عليه السلام) فتعال معي إلى السنه الشريفه لنقرأ شيئاً منها في هذا الصد:

١- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا مدينة العلم وعلى بابها» (٢).

٢- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (٣).

٣- وقال (عليه السلام): مخاطباً علياً (عليه السلام) «لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» (٤).

ص: ٥١

١- تفسير الطبرى عن أنس ج ١٠ ص ٥٩. وأسباب النزول للواحدى ص ١٨٢، والقرطبي فى تفسيره ج ٨ ص ٩١، والرازى فى تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢، والخازن فى تفسيره ج ٢ ص ٢٢١، وابو البركات النسفى ج ٢ ص ٢٢١، والدرالمنثور للسيوطى ج ٣ ص ٢١٨، وغيرهم مع اختلاف فى التفاصيل والألفاظ.

٢- مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦، ومناقب أحمد بن حنبل وابو عيسى الترمذى فى جامعہ الصحيح، وكنز العمال ج ١ ص ٤٠١، وأسد الغابه ج ٤ ص ٢٢، والخطيب البغدادى فى تاريخه ج ٤ ص ٣٤٨: نقلاً عن فضائل الخمسه من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها.

٣- مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٤، ومسند أبى داود ج ٢ ص ٢٨، والبخارى فى باب غزوه تبوك ومسلم للترمذى وغير هؤلاء نقلاً عن المراجعات ص ١٣٣- ص ١٣٦.

٤- صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٢٩، وأحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٩٢، والنسائى ومستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩ وغيرهم راجع فضائل الخمسه من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٠٧ وغيره.

٤ - وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً (عليه السلام): «أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعدك إلا كذاب»^(١).

هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي (عليه السلام) ومن شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة^(٢) وينابيع المودة^(٣) ومسند أحمد بن حنبل وفضائل أمير المؤمنين وامامته من دلائل الصدق^(٤) وغيرها.

نصوص الإمامه والوصيه

أما النصوص الصريحه القاضيه بوجود التزام علي (عليه السلام) إماماً وقائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي:

أ- «إِنَّمَا وَبَّيَّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» (المائدة / ٥٥)

ص: ٥٢

١- صحيح ابن ماجه وصحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٩، والنسائى فى الخصائص ص ٣ و ١٨ ومستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٤، ومسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ١٥٩ وغيرها مع اختلاف فى الألفاظ يسير.

٢- للسيد الفيروز آبادى.

٣- للشيخ سليمان الحنفى القندوزى.

٤- للشيخ محمد المظفر (ره) المجلد الثانى .

قال المفسرون: أن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١). فأكدت وجوب الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً للأمم، وقد كان سبب نزولها: تصدق علي (عليه السلام) على مسكين بخاتمه اثناء ركوعه، فالآية انما نزلت بهذه المناسبة، وحين امتدح الله عز وجل تلك الصدقة الخالصة لوجه الله تعالى، استثمرت الآية هذه المناسبة لتؤكد في ذات الوقت إمامه علي (عليه السلام)، وانه الأولي، بأداره شؤون العباد و امامتهم وهدايتهم وتولى أمورهم بعد الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

ب - خطبه الغدير: وهى البيان الذى وجهه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المسلمين فى غدير خم بعد آخر حجه له لبيت الله، لنصب علي بن أبى طالب (عليه السلام) بأمر الله تعالى إماماً للناس ورايه هدى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعن البراء بن عازب قال:

أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فى السنه التى حج، فنزل فى بعض الطريق، فأمر: الصلاة جامعه، فأخذ بيد علي فقال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

ص: ٥٣

١- تفسير البيضاوى، ومجمع البيان للطبرسى، وأبو اسحاق الثعلبى فى تفسيره، والطبرى فى تفسيره ج ٦ ص ١٦٥، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٤٨، والخازن فى تفسيره ج ١ ص ٤٩٦، والرازى فى تفسيره ج ٣ ص ٤٣١، وأبو البركات النسفى ج ١ ص ٤٩٦ والنيسابورى فى تفسيره ج ٣ ص ٤٦١، وابن حجر فى الصواعق ص ٢٥ وغيرها نقلاً عن: أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ - ١٣٤ وخلفاء الرسول الاثنا عشر ص ١٠٣ وما بعدها.

٢- لدراسه مدلول الآية مفصلاً راجع كتاب: الأمامه فى الرساله الإسلاميه: المؤلف.

قالوا: بلى

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ألسنت أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «فهذا أولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عادٍ من عاداه»^(١) وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

ج - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «على مع الحق والحق مع على لن يفترقا حتى وردا على الحوض»^(٣).

وفي حديث آخر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطب به عمار بن ياسر (رض) جاء فيه: «.. وان سلكك الناس كلهم وادياً وسلكك عليّ وادى فاسلك وادياً سلكه عليّ وخلّ الناس طراً»^(٤).

ص: ٥٤

١- اللفظ لصحيح ابن ماجه ص ١٢.

٢- مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٢٨١، فقد نص عليه قائلاً- رواه ثلثون صحابياً وأخرجه أيضاً النسائي في خصائص علي بن أبي طالب بعده طرق والترمذى والطبرانى، عن زيد بن أرقم والفخر الرازى فى تفسير آيه «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وكنز العمال ج ١ ص ٤٨، ومستدرک الصحیحین وسواهم، نقلاً عن كتاب الغدير تاليف العلامة الأمينى (ره)، راجع المجلد الأول منه للاطلاع على مصادر حديث الغدير تفصيلاً، ويراجع كتاب / حديث الغدير: رواته، ظروفه، قيمته الحضاريه: للمؤلف...

٣- تاريخ بغدادى: ج ١٤ ص ٣٢١، والهيثمى فى مجمعه: ج ٧ ص ٢٣٥، كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٧، و تفسير الرازى: ج ١ ص ١١١، وغيرهم مع اختلاف فى الألفاظ. نقلاً عن على والوصيه: الشيخ نجم الدين العسكرى ص ١١٣.

٤- تاريخ الخطيب البغدادي: ج ١٤ ص ١٨٦، والهيثمى فى مجمعه: ج ٧ ص ٢٣٦، كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٥، مع اختلاف يسير فى الألفاظ.

د- وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«لكل نبى وصى ووارث وأن علياً وصيى ووارثى(١)».

هذا غيض من فيض من النصوص الإسلاميه الموثوقه المجمع على صحتها، ووثاقتها من جميع المسلمين(٢).

ص: ٥٥

١- ينايع الموده، سليمان الحنفى، بأسانيده «باب عهد النبى لعلى وجعله وصياً» والذهبى فى ميزان الاعتدال والسيوطى فى الليالى والديلمى فى كنوز الدقائق ومناقب أحمد بن حنبل وكنز العمال: ج ٦ ص ١٥٤ والمعجم الكبير للطبرانى والمحب الطبرى فى الذخائر وغيرهم نقلاً عن على والوصيه لنجم الدين العسكرى ١٩٤.

٢- ومن شاء المزيد فليراجع ينايع الموده، للشيخ القندوزى الحنفى والفصول المهمه لابن الصباغ المالكى وفضائل الخمسه من الصحاح الستة للفيروز آبادى ومسند أحمد بن حنبل وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وعلى والوصيه، للشيخ نجم الدين العسكرى والمناقب: أخطب خوارزم الحنفى ومناقب على بن أبى طالب (ع) لابن المغازلى الشافعى والمناقب: للنسائى، وغيرها.

.. فاضت نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجر علي (عليه السلام) (١)، ورحل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ربه الأعلى، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة، كما يجسد ذلك بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بدايه مرضه الذي قضى فيه: «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه، مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها..» (٢)

كما يكشف تأكيد المستمر على ضروره التزام الثقلين: كتاب الله

تعالى والعترة الطاهرة (٣).

وطلبه في آخر ساعه من حياته أن يؤتى بدواه وكتف ليكتب للأمة

ص: ٥٦

١- مناقب الخوارزمي عن عائشه، ص ٢٩، ومسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٣٠٠، وذخائر العقبى للمحب الطبرى: ص ٧٣، وغيرها يراجع على والوصيه: ص ٢٠٦ - ٢١١.

٢- أخرجه النسائي وابو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده والطبرى في تاريخه.

٣- أخرجه الترمذى برقم ٨٧٤، من أحاديث كنز العمال: ج ١ ص ٤٤، ومسند ابن حنبل: ج ٥ ص ١٤٨ وراجع مصادر حديث الثقلين في عبقات الأنوار: السيد حامد حسين والأمامه في رساله الإسلاميه: للمؤلف.

كتاباً لن تضل بعده أبداً^(١) ملخصاً حقيقه الموقف، وطبيعته التكليف الذي ينبغي أن تتمسك به الأمة فشكك الصحابي عمر بن الخطاب بوعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال: أن النبي يهجر، حسينا كتاب الله؛ حيث شهر الصحابي القرآن في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فارتبك وضع الحاضرين فكان بعضهم مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في طلبه كتابه الكتاب، وكان بعضهم، يقول: ما قال عمر... فدعاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للخروج عنه، بعد أن شككوا بوعىه، وجرّحوا في عصمته..

يقول: الخليفة عمر عن هذه المسألة بعد عقد من الزمان أو يزيد، انه شعر ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يثبت أمامه على (عليه السلام) في كتابه، فمنعته من تنفيذ هذه المهمة، يقول: ولقد أراد في مرضه ان يصرح باسمه، فمنعته من ذلك^(٢).

إلى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه (صلى الله عليه وآله وسلم) على مستقبل المسيره الإسلاميه، بالرغم من احتياطه لتحسين الأمة وتجنّبها من الوقوع في الفتنة.

وما أن فاضت نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتغل على (عليه السلام) وأهل البيت بتجهيزه من أجل مواريه جسده الطاهر في مثواه الأخير، حتى عقدت

ص: ٥٧

١- أخرجه البخارى: ج ١، كتاب العلم: ص ٢١، ومسلم فى آخر الوصايا من صحيحه: ج ٣ ص ٢٥٩، وأحمد بن حنبل فى مسنده: ج ١ وغيرهم.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى فى احوال عمر مجلد ٣: ٩٧ وأخرجه الإمام ابو الفضل أحمد بن أبى طاهر فى تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس، وتناوله السيد شرف الدين فى المراجعات مراجعه ١٠٦ ص ٢٩٣ - ص ٢٩٤، وأقرأها مفصله فى كتاب: الصديقه الزهراء بين المحنة والمقاومه: للمؤلف ص ٢١ - ص ٢٣.

الأنصار وبعض المهاجرين اجتماعاً في سقيفه بنى ساعده لتنصيب من يخلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قياده المسلمين !! خلافاً لما أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخطط.

وبعد مناقشات حاده وطويله سادها جو من التوتر والقلق والعنف والخلاف بادر الصحابي القرشي عمر بن الخطاب إلى بيعه الصحابي القرشي ابي بكر بالخلافه(١)، وطلب من الحاضرين ذلك، ولم يكن على (عليه السلام) على علم بما حدث، ولكن النبأ قد انساب إلى مسامعه من خلال الضجيج الذي أحدثه خروج القوم من السقيفه، وهم في طريق توجيههم للمسجد النبوي.

وحتى تلك الساعه لا يزال على وأهل البيت (عليهم السلام) مشغولين بتجهيز فقيده الأمه العظيم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ ظل (صلى الله عليه وآله وسلم) جثمانه الطاهر ثلاثه أيام (٢) دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاه عليه.

ولعدم قناعه الإمام (عليه السلام) بشرعيه ما جرى ظل مؤمناً بحقه في الخلافه، وقاوم ما جرى من احداث بما استطاع إلى ذلك سبيلاً سته شهور، ولم يسمع له صوت في ما يسمي بحروب الرده ولا سواها(٣).

ولقد استجدت أمور وأحداث خطيره تتهدد الإسلام وأمته بالفناء فقد قوى أمر المتنبئين بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتد خطرهم في

ص: ٥٨

١- راجع صحيح البخارى: ج ٤ ص ١٩٤، وتراجع السقيفه، للشيخ محمد رضا المظفر ونظام الحكم والاداره في الإسلام، لمحمد مهدي شمس الدين للتفاصيل والصديقه الزهراء بين المحنه والمقاومه: للمؤلف.

٢- تاريخ ابن كثير: ج ٥ ص ٢٧١، وتاريخ أبي الفداء: ج ١ ص ١٥٢، نقلاً عن الغدير: ج ٧ ص ٧٥.

٣- السقيفه: ص ١٦٠، ط ٤-١٩٧٣ بيروت، والصديقه الزهراء بين المحنه والمقاومه للمؤلف.

الجزيره العرييه من أمثال: مسيلمه الكذاب، وقبله طلحه ابن خويلد الأفاك وسجاح بنت الحرث الدجاله وغيرهم وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدوله الإسلاميه.

واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم فى داخل المدينه وكان

الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد(١).

هذا عدا عن ظهور التكتلات السياسيه فى المجتمع الإسلامى على أثر بيعه السقيه.

ولقد تعامل الإمام (عليه السّلام) مع الخلافه حسب ما تحكّم به المصلحه الإسلاميه حفظاً للإسلام وحمايه للجامعه الإسلاميه من التمزق والضياع، وتحقيقاً للمصالح العليا للمسلمين التى جاهد من أجلها.

وللإمام على (عليه السّلام) حديث حول عوامل موقفه المعلن من الخلافه بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء فيه: «..فأمسكت يدي حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبه به على أعظم من فوت ولايتكم التى انما هى متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت فى تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين و تنهنه»(٢).

ص: ٥٩

١- المراجعات، للحجه السيد شرف الدين: ص ٣٠٢.

٢- من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشر حين ولاه امارتها: ص ٤٥١، من نهج البلاغه تبويب الدكتور صبحى الصالح: ط ١- ١٩٦٧ بيروت.

بيد أن صوت علي (عليه السّلام) كان يعلو عندما يستشار ويجهر عندما يستفتى، وقد تصدى - في هذا المضمار - لتوجيه الحياه الإسلاميه، وفقاً لما تقتضيه رساله الله تعالى في الحقول التشريعيه والتنفيديه والقضائيه.

ومن أجل ذلك فأن الباحث التاريخي في حياه الإمام (عليه السّلام) لا يلبث إلا أن يلتقى مع مئات المواقف والأحداث - في خلافه أبي بكر وعمر وعثمان - التي لا تجد غير علي (عليه السّلام) مدبراً لها ومعالجاً وقاضياً بأمر الشريعه فيها.

والخلفاء الثلاثة لم يروا بدءاً من استشارته إذا التبت عليهم الأمور، وهكذا تجده - مره - مرشداً للحكم الإسلامى الصحيح فى أمر ما و مره تجده قاضياً فى شأن من شؤون الأمه، وأخرى موجهاً للحاكم الوجهه التى تحقق المصلحه الإسلاميه العليا، بيد أنه مع كل ذلك لم يعمل فى منصب من مناصب الدوله أبداً كأحد أساليبه فى سلب شرعيه الحكم المذكور.

وبقدرونا أن نلمس دوره الرسالى إذا طرحنا بعض مفردات منهجه المتبنى أيام الخلفاء الذين سبقوه.

أ- فى خلافه أبي بكر:

١- فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعه من الصحابه فقدموا

وأخروا، ولم يقطعوا برأى مناسب فاستشار علياً (عليه السّلام) فى الأمر فقال (عليه السّلام) آن فعلت ظفرت.

فقال أبو بكر: بشرت بخير.

وأمر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد(١).

٢- أراد الخليفة أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر...

فقال الرجل: انى شربتها ولا علم لى بتحريها فأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال(عليه السلام): مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم، أو أخبره بذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فان شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وان لم يشهد أحد بذلك، فاستتبه وخل سبيله».

ف فعل الخليفة ذلك، فعلم صدق الرجل فخلى سبيله(٢).

٣- عن محمد المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً فى بعض ضواحي العرب، ينكح كاتنكح المرأه، وأن أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وكان فيهم على بن أبى طالب أشدهم يومئذ قولاً فقال:

ان هذا ذنب لم تعمل به أمه من الأمم إلا أمه واحده - يعنى قوم لوط . فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه بالنار، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد(٣).

٤- قدم جاثليق النصارى يصحبه مائه من قومه فسأل أبا بكر أسئله، فدعا علياً (عليه السلام) فأجابه عنها، ونكتفى منها بسؤال واحد من أسئله

ص: ٦١

١- تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ١١١، نقلاً عن على والخلفاء للعسكرى: ص ٦٢.

٢- مناقب آل أبى طالب: ج ٢ ص ١٧٨، وبحار الأنوار: ج ٤٠ . عن الكافى.

٣- كتر العمال: ج ٣ ص ٩٩، نقلاً عن على والخلفاء: ص ٦٣.

الجاثليق: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى!

فدعا علي (عليه السلام) بنار وخطب، وأضرمه، فلا اشتعلت قال أين وجه هذه النار؟

قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها.

فقال علي (عليه السلام): هذه النار مدبره مصنوعه، لا يعرف وجهها؟ وخالقها لا يشبهها، والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى علي ربنا خافيه (١).

٥ - وأرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لم ير ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علي (عليه السلام) فقال:

هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وإنما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاه الجنازه، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حق (٢).

هذه بعض مصاديق اهتمامات أمير المؤمنين (عليه السلام) بمسيره الإسلام التاريخيه في عهد أبي بكر، وتوجيهه للحياه الإسلاميه العامه.

ص: ٦٢

١- علي والخلفاء: ص ٦٠ نقلاً عن التستري: قضاء أمير المؤمنين، ص ٦٦ ط ١ سنة ١٣٦٩هـ النجف الأشرف.

٢- مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٨٠.

ب - في خلافة عمر بن الخطاب

١- حين اراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام (عليه السّلام) في الأمر، فنصحه الإمام بأن لا يقود الجيش بنفسه مبيناً عليه ذلك قائلاً: «..فابعث إليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وان تكن الأخرى كنت رداءً للناس، ومثابته للمسلمين»(١).

٢- ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير من البحرين - فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضلٍ، فضلٍ عندنا من هذا المال؟

قالوا: يا أمير المؤمنين إننا شغلناك بولايه أمورنا من أهلك

و تجارتك، وضيعتك، فهو لك.

فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟

قال الإمام (عليه السّلام): قد أشاروا عليك.

قال الخليفة: فقل أنت؟

قال (عليه السّلام): لِمَ تجعل يقينك ظناً، ثم حدثه بواقعه مشابهه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأخيراً أشار عليه الإمام (عليه السّلام) بتوزيعه على الفقراء، قائلاً: «أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضّه على فقراء المسلمين».

٣- عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: إن ترك

ص: ٦٣

١- نهج البلاغه تبويب د. صبحي الصالح: ط ١ ص ١٩٢. احفز: ادفع وسق، أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب، مثابه: مرجع.

هذا المال فى جوف الكعبه لآخذه وأقسمه فى سبيل الله وفى سبيل الخير وعلى بن أبى طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبى طالب بالله لئن شجعتنى عليه لأفعلن؟

فقال على: اتجعله فىنا، وصاحبه رجل يأتى فى آخر الزمان(١) فاقتنع عمر بضروره عدم التصرف بحلى الكعبه.

٤ - بعث أبو عبيده بن الجراح وبره بن رومان الكلبي إلى عمر بن الخطاب: أن الناس قد تتابعوا فى شرب الخمر بالشام، وقد ضربت أربعين، ولا اراها تغنى عنهم شيئاً، فاستشار عمر الناس..

فقال على(عليه السلام): ارى أن تجعلها بمنزله حد الفريه «ثمانون جلده»..

أن الرجل إذا شرب هذى، وإذا هذى، افترى. فجلدها عمر

بالمدينه، وكتب إلى أبى عبيده.. فجلدها بالشام(٢).

٥ - وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليله رجلاً وامراه على فاحشه، فلما اصبح قال للناس: رأيتم أن إماماً رأى رجلاً وامراه على فاحشه. فأقام عليها الحد ما كنتم فاعلين؟

قالوا: إنما أنت إمام.

فقال على بن أبى طالب: «ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحد، ان الله لم يأمن على هذا الأمر اقل من أربعة شهداء» ثم أن عمر ترك الناس

ص: ٦٤

١- كنز العمال: ج ٧ ص ١٤٧، وصحيح البخارى ٧٢٧/١٩، وغيره نقلاً عن على والخلفاء: ص ٨٧.

٢- سنن البيهقى و تاريخ الطبرى وكنز العمال: ج ٣ ص ١٠١، وشرح الموطأ للزرقانى: ج ٤ ص ٢٥ وغيره. نقلاً عن على والخلفاء: ص ٩٠.

ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأولى.. وقال علي (عليه السلام) مثل مقالته.

فأخذ عمر بقول الإمام (١).

٦ عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلاً: كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلي: إياك أعني يا صاحب المعافى
درداء كان

عليه -

فقال الإمام (عليه السلام) اثنتين (٢).

٧- بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيده بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيساريه، فقال
له معاذ بن جبل: اكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار
المسلمين بالأمر.

فقال (عليه السلام): مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فاذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى
قيساريه، فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وصدقت

أنت يا أبا الحسن.. ثم كتب إلى أبي عبيده بالذي أشار به علي (عليه السلام) (٣).

ص: ٦٥

١- كنز العمال: ج ٣ ص ٩٦، والفتوحات الإسلامية: ج ٢ ص ٤٨٢، نقلاً عن علي والخلفاء: ص ٩٨.

٢- مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٩١، وعلي والخلفاء: ص ١٠٢.

٣- علي والخلفاء: ص ١٣٣ نقلاً عن ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن الحجة الحموي الحنفى: ج ٢ ص ١٥ ط ١٣٦٨.

٨- بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سواد الكوفة..

فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور علياً (عليه السلام) في الأمر.

فقال: ان قسّمته اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا فقال عمر لعلي: وفقك الله... هذا الرأي (١).

٩- عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب.

قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب

التاريخ؟

فقال علي (عليه السلام): من يوم هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وترك أرض الشرك، ففعله عمر (٢)، وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الإمام علي (عليه السلام) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

ج - في عهد عثمان:

١- تزوج شيخ كبير بكرةً فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل

اليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضك الشيخ؟

ص: ٦٦

١- علي والخلفاء: ص ٢٣٩ عن مصادره.

٢- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٣، في تاريخ اليعقوبي مثله وكنز العمال ومستدرک الحاكم والکامل لابن الأثير نقلاً عن علي والخلفاء ص ٢٤٠.

قالت: لا فأمر باقامه الحد عليها.

فقال الإمام علي (عليه السّلام): أن للمرأة سمين: سم الحيض وسم البول، فلعل الشيخ كان ينال منها، فسال ماؤه في سم الحيض، فحملت منه، فقال الرجل: قد كنت انزل الماء في قبلها من غير وصول اليها بالافتضاض.

فقال الإمام علي (عليه السّلام): الحمل له، والولد له، وأرى عقوبته على الانكار له (١).

٢- عن موطأ مالك بن أنس عن بعجه بن بدر الجهني: أنه أتى - عثمان - بامرأه قد ولدت لسته أشهر، فهممّ برجمها، فقال علي (عليه السّلام): أن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، أن الله تعالى يقول: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ثم قال: «والوالدات يرضعن أولادهنحولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة».

فحولان مده الرضاعة وستة اشهر مده الحمل.

فقال عثمان: ردوها (٢).

هذه أمثله يسيره مما كان ينهض الإمام علي (عليه السّلام) به من مسؤوليات عظيمه في عهد الخلفاء، وكان دافعه في ذلك الاخلاص للرساله وحفظ الوحده الإسلاميه وحمايه المسيره الإسلاميه من الانحراف، والزيغ.

ولقد تنبه الخليفه الثاني إلى أهميه ما يقوم به أمير المؤمنين (عليه السّلام) في

ص: ٦٧

١- مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩٢ وعجائب احكام امير المؤمنين / محمد بن علي القمي (ره) ص ٤٣.

٢- المناقب ص ١٩٢ وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٧، والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٤٤٢.

هذا المضممار، فصرح مراراً مشيداً بذلك الفضل، ومنوهاً بأهميته في مسيره الخلفه، ودنيا المسلمين كقوله: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم الست فيهم يا أبا الحسن» (١) وغير ذلك.

ص: ٦٨

١- الدر المنثور للسيوطى ج ٣ ص ١٤٤ وسيره عمر لابن الجوزى ص ١٠٦ والفتوحات الإسلاميه لدحلان ج ٢ ص ٤٨٦ وغيرها، نقلاً عن على والخلفاء للشيخ نجم الدين العسكرى ومناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ٢ والغدير ج ٦ و ج ٧، وعجائب أحكام أمير المؤمنين للمفسر الجليل محمد بن ابراهيم القمى.

الفصل الثانی: دعونی والتمسوا غیری!

اشاره

ص: ۶۹

فى هذا الفصل من دراستنا لحياء أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام)، ينصب البحث على دراسته أدق المراحل التى عاشها الإمام (عليه السّلام)، بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهى مرحلة اضطلاعه، بمسؤوليه القيادة المباشره للأمم

الإسلاميه، فى جميع شؤونها الحياتيه.

فقد اتسمت هذه المرحلة بأحداث غاية فى الأهميه، على الصعيد الفكرى، والاجتماعى، والسياسى، - كما سنرى -

والتاريخ الإسلامى، قد شهد عبر السنوات الخمسه التى قضاها

على (عليه السّلام) حاكماً للمسلمين، لوتين من الأحداث:

أحدهما: يتعلق بما سجله الإمام (عليه السّلام) على صفحات التاريخ الإنسانى - عملياً - من القيم الرفيعه، التى اتسمت بها سياسته الفاضله، التى تبنّاها من أجل وضع حدود الله تعالى، وشريعته العظيمه، موضع التنفيذ، كامله لانقص فيها، ولا تحايل عليها، ولا تفريط، ولا أنصاف حلول، وعلى شتى الأصعده الحياتيه.

وثانيها: ما يتعلق بردود الفعل السياسيه الأئمه التي قام بها بعض الناس والتي سجلها التاريخ الإسلامى .

وفى هذه الدراره التي بين يديك - أيها القارئ العزيز - ستقرأ شطراً من سيره أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو يعيد لجهاز الدوله مسؤولياته الحقيقيه، فى حمايه رساله الله تعالى، واقامه حدودها فى الحياه، والعمل كل ما من شأنه لتوفير السعاده للإنسان، وبناء شخصيته وتحصينها..

وتقرأ عن على (عليه السلام) كذلك، دوره فى التصدى، سواء للذين نكثوا أو مرقوا أو قسطوا.. .

ومن خلال هذا الشطر من حياه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ستقرأ شواهد من منهاج عدالته الاجتماعيه، التي جسدها فى الواقع الاجتماعى، ومواقفها الإنسانيه وشده تمسكه بشريعه الله تبارك وتعالى، ومنهاجه خصوصاً فى اقامه الحق ودرء الظلم عن الناس.

والأمر الذى نسال الله تعالى أن يوفق أمتنا الإسلاميه للأخذ به، فى حياتها العمليه، هو الالتزام الكامل بكتاب الله تعالى وسنه رسوله الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، كما جسدهما واقعاً وعملاً- أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) إمام الهدى، ومنار الخير والبركه فى أمه محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

ص: ٧٢

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان من قبل الجماهير الثائرة أجمعت الأمة على بيعه الإمام علي (عليه السلام) خليفة لها، وقد اجتاحت النفوس موجه من العاطفه نحوه، ولكنه رد الأمة بقوله: «.. دعوني والتمسوا غيري»^(١).

ان علياً أبى أن يكون أسيراً للعاطفه والعقل الجمعي، فلعل نغمه الناس على عثمان هي التي أجمت نحوه العاطفه وشدت اليه التيار، وهو يريد من الأمة اقراراً ارادياً لإمامته، وقيادته.

ثم إن علياً ليس ممن تغريه المناصب و تستهويه الكراسي حتى يستجيب فور اقبال الناس عليه، فأن الأمره كلها لا تساوى لديه جناح بعوضه. بل الدنيا كلها عنده كعفته عنز - على حد تعبير له - والقياده لا تساوى عنده شيئاً مذكوراً، أن لم يقم من خلالها الحق ويبطل الباطل، بدعم من الأمة، واقرار.

ص: ٧٣

١- نهج البلاغه ص ١٣٦، تبويب الدكتور صبحي الصالح.

ولهذا لم يستجب لضغط الجمهور في بادىء الأمر، حتى وضعهم أمام اختبار ليتأكد من مدى قدره الناس على تلقي مناهجه الإصلاحية الكبرى، والاستجابة لخطته إذا تسلم زمام الأمر.

فبالرغم من أن العاصمة المقدسة «المدينة المنورة» قد أصرت على اختياره وتوجهت إليه على شكل تظاهرات جماهيرية حقيقية وتجمعات مكثفه حتى صارت المطالبه بقيادته اجماعية لاجماعيه، فانه (عليه السّلام) بق عند موقفه المتريث، بيد أن اصرار الأمة على بيعته جعلته يطرح عليها شروطه لقبول الخلفه، فان بايعته الأمة وفقاً لما يملى من شروط استجاب هو لمطلبها فى استخلافه ليكون أقدر على النهوض بمشاريع اصلاح الواقع المرير الذى آلت إليه مسيره الأمة عموماً..

وحين اذاع بيانه المتضمن لشروطه .« واعلموا أنى أن أجبتمكم ركبتم بكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب. (1)

سارعت الأمة مذعنه لشروطه، ومدت يد البيعه على الطاعه اليه، فلبى مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادية فى الأمة الإسلاميه على الصعيد الفكرى والعملى.. حيث توفرت لديه الشروط الواقعيه للنهوض بتكليفه الشرعى.

وقد كانت من أولى مهامه (عليه السّلام) أن يزيل صور الانحراف التى طرأت على الحياه الإسلاميه، وأن يعود بالأمة إلى أصاله المنهج الإلهى الذى بشر به محمد بن عبدالله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

ص: ٧٤

١- المصدر السابق والصفحه ذاتها.

ومن أجل ذلك كان لابد أن يسير وفق منهاج محدد وشامل يلزم ولائه وأجهزه دولته بتطبيقه.. وقد انصبّ منهاج حكومته على مواجهه المشاكل فى الميادين الآتية:

١- الميدان السياسى:

لقد حدد الإمام (عليه السّلام) مواصفات ولاه الأمر وموظفى الدولة الذين يرشحهم الإسلام لإداره شؤون الأمة الإسلاميه ببيان أصدره (عليه السّلام) جاء فيه:

«.. أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامه المسلمين: البخيل فتكون فى أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله، ولا الجانى فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة..»(١).

ففى ضوء هذا التحديد الموضوعى لصفات كادر الموظفين الذين يقرهم الإسلام عمد الإمام على (عليه السّلام) إلى الاستغناء عن خدمات قسم من الولاة الذين كانوا يتولون أقاليم الدولة الإسلاميه.. لأنّ علياً (عليه السّلام) لو ساوَمَ - كما يريد بعض المؤرخين - لتعدّر على الأجيال المسلمه التماس الصورة الحقيقيه للشريعة التى ابتعث الله بها رسوله العظيم (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ص: ٧٥

١- نهج البلاغه رقم ١٣١ تبويب صبحى الصالح /نهمته: شهوته الشديده وحرصه المفرط. الحائف: الجائر، الظالم. الدول المال، والحائف للدول معناه الذى يظلم فى توزيع الأموال فيفضل جماعه على أخرى. المقاطع: الحدود التى حددها الله تعالى.

كما تصدى الإمام على (عليه السّلام) إلى اصلاح الوضع السياسى والادارى كذلك فعل بالنسبه للوضع الاقتصادى فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة إلى الغاء طريقه توزيع المال التى اعتمدها الخلفاء السابقون، والسياسه الاقتصاديه المطبقه قبل عهده.

فقد استدل الإمام طريقه التمييز فى العطاء بطريقه المساواه فى التوزيع التى مارسها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فألغى الإمام (عليه السّلام) كل أشكال التمييز فى توزيع المال على الناس، مؤكداً أن التقوى والسابقية فى الإسلام والجهاد، والصحبه للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات فى الدنيا، وانما لتلك المزايا

ثوابها عند الله فى الآخرة، ومن كان له قدم فى ذلك، فالله تعالى يتولى جزاءه، أما فى هذه الدنيا فان الناس سواسيه فى الحقوق المالىه وأمام القضاء الإسلامى وفى الواجبات والتكاليف.

وقد تضمن بيانه التالى هذه الأفكار الجليله العادله: «ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل التير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله..»

وأيما رجل استجاب الله وللرسول فصدق ملتنا ودخل فى ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسويه لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً

ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار..»(١).

وهكذا جد الإمام (عليه السلام) مفهوم التسويه فى العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلاميه دون تمييز بينهم او تفضيل لأى سبب من الأسباب.

هذه هى بعض ملاح الخطه الاصلاحيه التى قاد الإمام على (عليه السلام) عمليه تنفيذها فى شتى مرافق الحياه الإسلاميه، فى المال والحكم والاداره وسواها من شؤون..

ص: ٧٧

١- نهج البلاغه: شرح الشيخ محمد عبده: ج ١ ص ٢٦٩.

منهاج الإصلاح (١)

وضع الإمام (عليه السلام) خطته الإصلاحية الشاملة، فأُنصِبَ جُلُّ

آهتاهم (عليه السلام) على إصلاح شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم كما قدمنا.

ومن خلال ذلك الانقلاب الإصلاحي الكبير حظيت الأمة عبر مسيرتها الجديدة التي اختطها لها أمير المؤمنين (عليه السلام)، بمعطيات جمه ذات مردودات عظيمه لصالح الأمة والمسيره بشكل عام، نذكر منها ما يلي:

أولاً- استعان الإمام (عليه السلام) بجهاز من الولاة والموظفين الإداره دفهالحياه الإسلاميه يعدّ أغلب أفراده نموذجاً رائعاً في مستواهم الروحي والفكري والالتزامي: كعثمان بن حنيف، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر وسواهم.

على أن تلك النماذج الخيره من الرجال، وان كانوا في مستوى لائق في الفكر والعمل والقدره الاداريه والقياديه، إلا أن الإمام (عليه السلام) قد زودهم بخطط هاديه ومناهج راشده، يهتدون بها في حياتهم العمليه،

ص: ٧٨

١- من أجل التفاصيل تراجع وثيقه رقم (٧) في الملحق .

وفى علاقاتهم مع مختلف قطاعات الأمة التى يباشرون قيادتها.

فهو يلزم ولاته بالنصح لعباده الله، واشاعه العدل بينهم ومعاملتهم باللين والحب، والتجاوز عن كل مظاهر الاستعلاء التى يغرى بها المنصب غالباً والحيلولة دون تأثير ذوى النفوذ الاجتماعى والمصالح الشخصية فى مسيره العدالة الإسلاميه على حساب القطاعات الاجتماعيه الأخرى، ونحو ذلك من مستلزمات اشاعه العدل وإقامه الحق والمعروف بين الناس.

وهذه نماذج من خططه فى هذا المضمار:

«.. فاخفض لهم جناحك وأين لهم جانبك وأبسط لهم وجهك وآس بينهم فى اللحظه والنظره، حتى لا- يطمع العظماء فى حيفك لهم، ولا- ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيره عن أعمالكم والكبيره، والظاهره والمستوره، فان يعذب فأنتم أظلم، وأن يعف فهو أكرم..»(١).

«سِعِ الناس بوجهك ومجلسك و حكمك، وإياك والغضب فإنه طيره من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما يباعدك من الله يقربك من النار»(٢).

ص: ٧٩

١- من عهده (ع) إلى محمد بن أبى بكر حين ولاه مصر، نهج البلاغه: ص ٣٨٣ تبويب د. صبحى الصالح. آس: ساير بينهم، حيفك لهم: ظلمك من أجلهم.

٢- وصيته إلى عبد الله بن عباس حين استخلفه على البصره. نهج البلاغه: د. صبحى الصالح، رقم ٧٦. سِعِ الناس: اشملمهم برعايتك فى كل جانب من جوانب الحياه. طيره: طيش وخفه.

هذه صورته من توجيهات الإمام (عليه السلام) التي أُلزم ولاتته بالعمل على ضوءها في برامجهم العملية اليومية.

ومن نافله القول أن نشير إلى أن الإمام (عليه السلام) بالرغم من اهتمامه بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم في معاملته الأئمة من خلال مراكزهم القيادية باستعانتهم بجهاز من الرقباء والعيون ليرى مدى طاعه الولاء وتنفيذهم لقواعد العدالة الإسلامية، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير، يادر الإمام إلى تقويم سلوكه بالوسائل التربويه تاره وبالتهديد أو بالعزل إذا لزم الأمر، وهذه نماذج من وسائله تلك:

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) واليه على البصره دعاه بعض شخصيات أهل البصره إلى مأدبه، فخشى الإمام (عليه السلام) أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فيتحرف عن خط العدالة الإسلامية المرسوم فيمیل في أحكامه أو يجور في قضائه ومعاملته للأئمة، فكتب إليه كتاباً جاء فيه:

«أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتيه أهل البصره دعاك إلى مأدبه، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفوء، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما أشبه عليك علمه، فالفضة وما أيقنت بطيب وجوهه، فنل منه..»

ألا- وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطرميه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفه وسداد..»(١).

وقد كتب إلى مصقله الشيباني عامله على (اردشير خره) مهدياً ومتوعداً «بلغنى عنك أمرٌ إن كنتَ فعلته، فقد أسخطت إلهك وعصيتَ إمامك: إنك تقسم فيء المسلمين الذى حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتاك من أعراب قومك، فوالذى فلق الحبه وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك على هواناً، ولتخفَنَّ عندى ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك محق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً»(٢).

ص: ٨١

١- نهج البلاغه تبويب د. صبحي الصالح ص ٤١٦. مأدبه طعام: طعام دعوه أو عرس يستطاب لك: يطلب لك طيبها. الألوان: أصناف الطعام. الجفان: جمع جفنه وهى القصعه. العائل: المحتاج. المجفو: مطرود من (الجفاء). قضم: أكل بطرف أسنانه. المقضم: المأكل. ألفظه: اطرحه، لا تأكله. الطمر: الثوب البالى طعمه: ما يطعمه ويفطر عليه. قرص: رغيف خبز. السداد: الاحتراز من الخطأ.

٢- المرجع السابق: ص ٤١٥. اعتماك: اختارك وأصله أخذ العيمه وهى خيار المال .

وكتب إلى أحد عماله يقول: «أما بعد فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع إليّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس..»^(١).

وكما كان الإمام (عليه السلام) يخطط للولاه ويزودهم بنصائحه الهاديه، كان يرسم الخطط كذلك لقياده جيوشه، ويوضح لهم معالم الطريق، وما ينبغي عليهم فعله عند مواجهه العدو، قبل الحرب، واثناءها، وبعدها.

فكان (عليه السلام) ينهاهم عن البغى، ويأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم، وانما ينبغي التسلح بالصبر وضبط النفس، وأن يكونوا في بدايه المواجهه كما لو كانوا مدافعين فحسب، فإذا اعتدى عليهم فقد قامت الحجه لصد العدوان، فإذا قدر لهم وانتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوه الظفر على عدوهم إلى ملاحقه جنوده الهاربين من القتال، أو الذى لا يملك منهم سلاحاً يدافع به عن نفسه، كما لا يجوز قتل الجرحى، أو الاساءه إلى النساء، وإن بدأن الاساءه بسب أو شتم أو نحوه وهذه بعض وصاياهم (عليه السلام) لجيوشه:

«.. لا- تقاتلوهم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجه وتركم إياهم حتى يبدؤكم حجه أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمه بإذن الله، فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً^(٢) ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء

ص: ٨٢

١- المرجع السابق: ص ٤١٢، جردت الأرض: اشاره إلى الخيانه بتخريب الأرض.

٢- المعور: الذى عجز عن حمايه نفسه أثناء الحرب.

بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم»^(١).

«.. الا وإن لكم عندى ألا أحتجز دونكم سراً إلّا فى حرب، ولا أطوى دونكم أمراً إلّا فى حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندى فى الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت الله عليكم النعمه ولى عليكم الطاعه، وألا تنكصوا عن دعوه ولا تفرطوا فى صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق»^(٢).

وبالنظر للأهميه البالغه التى يحتلها جهاز جبايه الأموال فى الدوله الإسلاميه حيث تشكل الحقوق العامه فى ملكيه الأفراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامى، فإن حق الجماعه فى الملكيات الخاصه يوفر ضمانه كبرى لمساعدته الدوله الأسلاميه على تغطيه نفقاتها الكبرى على الصعيد الاجتماعى والعسكرى وغيرهما من جوانب الحياه العامه..

أقول: بالنظر لأهميه جهاز الجبايه هذا فقد أولاه الإمام (عليه السّلام) عنايه فائقه لا من أجل أن يجمع أكبر نصيب من المال أبداً، وإنما من أجل أن ينخرط -ذلك الجهاز- فى مسيره العداله الإسلاميه المثلى التى جسدها الإمام (عليه السّلام) فى حياه الناس..

فكان الإمام حريصاً على أن يلتزم موظفو ذلك الجهاز بأقصى درجات العدل والفضيله والنبيل، والشعور بالمسؤوليه فليست مهمتهم فى نظر الإمام (عليه السّلام) أن يجمعوا المال من أجل المال، وإنما ينبغى عليهم أن يلتزموا الحق فى تعاملهم مع الأمه وأن يعكسوا عداله الإسلام لمن يلتقون بهم من الناس، فلا ينبغى أن يغضبوا

ص: ٨٣

١- نهج البلاغه: وصيته (ع) رقم ١٤ ص ٣٧٣، د. صبحى الصالح.

٢- نفس المصدر من كتاب له إلى أمراء جيشه رقم ٥٠ ص ٤٢٤.

أحداً من الناس، ولا يسيئوا معاملته أحد، ولا يضربوا إنساناً من أجل درهم مثلاً، ولا يجوز أن يعتدوا على مال امرئ من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التبعية للدولة الإسلامية.

كما لا يجوز أبداً أن يبيعوا كسوه إنسان أو دابته من أجل استيفاء

ضريبه، ولا- يحق لأحد الجباه أن يرهب أحداً أو يستوفى أكثر من حق الله في ماله، ولا ينبغي أن يستعلى على الناس أو يبخل عليهم بالتحية أو اللطف والمرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياهم (عليه السلام).

وهذه صور من مناهجه في هذا المضمرة:

«.. فإنكم خزان الرعيه وو كلاء الأمه، وسفراء الأئمه ولا- تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيع للناس في الخراج كسوه شتاء ولا- صيف ولا دابه يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسن مال أحد من الناس مصللاً ولا معاهد..»^(١).

«.. انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحى فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمض إليهم بالسكينه والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخذج ^(٢) بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، أرسلنى إليكم ولى الله وخليفته لآخذ منكم حق الله فى أموالكم،

ص: ٨٤

١- نهج البلاغه من كتاب له إلى أعماله على الخراج: رقم ٥١ تبويب د. صبحى الصالح، والمصلى: تعبير عن المسلم، والمعاهد تعبير عن أهل الذمه من النصارى او اليهود.

٢- لا تخذج بالتحية: لا تبخل بالسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم.

فهل الله فى أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه..؟» (١).

ثانياً: تجسيد المخطط الإسلامى للعدالة الاجتماعيه بأجلى صورته وأدق تفصيلاته.

إذا كانت جوانب الجهاز الحكومى كلها فى الدوله الإسلاميه قد تناولتها يد الإصلاح، فحققت أرقى النماذج التى يصبو إليها الإنسان، فإن الإمام (عليه السلام) قد خطا فى سبيل تحقيق أفضل صورته للعدالة الاجتماعيه وفقاً للتصورات الإسلاميه التفصيليه خطوات رائعه.

فقد شهد المجتمع الإسلامى بجميع قطاعاته وقواه عداله رائده

كالتى شهدها ايام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى منطلقاتها وأبعادها.

وفيما يلى شواهد من تلك التجربه التاريخيه المشعه التى تفيأت

الأمة ظلالها:

أ- رفق وتعاهد.

فقد شهدت قطاعات الأمة جميعاً صوراً من التعاهد لأمرها والرفق بها ورعايه شؤونها، والتسويه فى العطاء بين جميع حمله التابعيه للدوله الإسلاميه التى تجسدها هذه النصوص: «المال مال الله يقسم بينكم بالسويه لا فضل لأحد على أحد».

«وأيم الله لأنصفنَّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنَّ الظالم بخزامتته حتى أوردته منهل الحق وان كان كارهاً (٢).

ص: ٨٥

١- نهج البلاغه كتاب لمن يستعمله على الصدقات، رقم ٢٥.

٢- روائع نهج البلاغه، جورج جرداق: ص ١٦٣. الخزامه : حلقه من شعر توضح فى وتره أنف البعير يشد بها زمامه، ويسهل قياد..

أقول إلى جانب هذا وذاك، شهدت الأمه التي قادها أمير المؤمنين (عليه السلام) بمختلف قطاعاتها من ألوان التدبير لشؤونها، والرعايه لأموورها، والحدب عليها ما حقق لها القوه والسعاده وهذه صورته منها:

عن الحَكَم قال:

شهدت علياً، وأتى له بزقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: ذوقوا، والعقوا، حتى تمنيتُ أنى يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زق، فأمر أن يُسقاها أهل المسجد(١).

وعن هارون بن عنتره عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر غلام

على (عليه السلام) فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً.

قال (عليه السلام): وما هو، ويحك!!

قال: قم معي..

فقام فانطلق به إلى بيته، وإذا بغيره مملوء من جامات ذهباً وفضه، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسّمته فادخرت لك هذا من بيت المال.

فقال على (عليه السلام): ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ثم سلّ سيفه، وضربها ضربات كثيره، فانتشرت.. ثم دعا بالناس، فقال: اقسّموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبره ومسالماً فقال: ولتقسّموا هذا..(٢).

وعن الحَكَم قال: أن علياً قسم فيهم الرمان حتى أصاب مسجدهم

ص: ٨٦

١- أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٢ ص ١٣٦.

٢- شرح النهج تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ط ١٩٧٨ ه ج ١ ص ١٩٨-١٩٩.

سبع رمانات، وقال: أيها الناس انه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، ونستقلها إذا قسمناها، وإنا قد قسمنا كل شيء أتاناً.

قال: وأتته صفائح فضه فكسرها، وقسمها بيننا.

وعن علي بن ربيعه قال: جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء.

فقال علي: الله أكبر، ثم قام متوكئاً على يد ابن التياح، فدخل بيت المال وهو يقول:

هذا جنای وخياره فيه

وكل جانٍ يده إلى فيه (١)

ثم نودى في الناس، فأعطى - علي - جميع ما في بيت المال وهو يقول: «يا بيضاء، ويا صفراء، غرى غرى».

حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار، ثم أمر بنضحته، فصلى فيه

ركعتين (عليه السّلام).

وكان لشده حرص الإمام (عليه السّلام) على الأئمة لرفع غائله الفقر والظلم عنها أنه التزم السير - عبر أيام خلافته عليها - وفقاً للنهج الآتي: «..ولو شئت لاهتديتُ الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطمعه، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا - طمع له في القرص، ولا - عهد له بالشعب. أو أبيتُ مبطاناً، وحولى بطون غرئي، وأكباد حري؟

أفقع من نفسى بأن يقال هذا: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره

ص: ٨٧

١- مثل يضرب: أراد به الإمام (ع) انه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه في مواضعه. تذكره الخواص: سبط ابن الجوزى ص ١١٧.

الدهر أو أكون أسوه لهم في جشوبه العيش؟» (١).

ب - رقابه دقيقه لوضع السوق:

ولقد كان الإمام على (عليه السّلام) حريصاً على تجسيد العدالة الاقتصادية في كافه مرافق الحياه الإنسانيه ومن أجل ذلك فقد التزم خطه لمراقبه السوق من ناحيه أسعار البيع والشراء. وطبيعه ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيف في المكاييل أو التلاعب بالأسعار أو الغش، في السلع والمعروض فعن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفه سوقاً سوقاً، ومعه الدرّه على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبه، فيقف على سوق سوق فينادى:

« يا معشر التجار قدّموا الاستخاره، وتبركوا بالسهوله، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب، واليمين، وتجاؤا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا و«أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الارض مفسدين» (٢).

وعن أبي النوار قال: رأيت علياً (عليه السّلام) وقف على خياط، فقال له: يا خياط صلّب الخيط، ودقق الدرز، وقارب الغرز، فاني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: «يؤتى يوم القيامه بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد».

ص: ٨٨

١- نهج البلاغه، من كتاب له إلى واليه عثمان بن حنيف: رقم النص ٤٥ ص ٤١٨.

٢- من سوره هود: ٨٥، راجع بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٠٤ عن أمالي الصدوق وتذكره الخواص: ص ١٣٤ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٢٩ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

ثم قال: «يا خياط إياك والفضلات والسقطات فان صاحب الثوب

أحق بها..»(١).

هكذا جسد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المخطط الإسلامي للعدالة الاجتماعية بأدق صورها، وهكذا عامل الأمة بالرفق والحب فعاش آمالها وآلامها حتى قطفت أروع تمرات العدل في تاريخها كما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء بسواء.

ج - تبنى الإمام علي (عليه السلام) سياسة نكران الذات لصالح الأمة

وذلك بالزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وزخرف، فلقد عاش أمير المؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه فقراء الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه، امرأته أو يطحنه بيده سواء في ذلك قبل خلافته، أو بعدها.

وكان يلبس أحشن لباس وبسطه وكان مبدؤه الثابت في هذا

المضمار:

«.. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه»، «فوالله، ما كنت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائها وفراً، ولا أعددت لبالى ثوبى طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتانٍ دبره، وهى فى عيني أوهن من عفصه مقره»(٢).

ص: ٨٩

١- تذكره الخواص لسبط بن الجوزى: ص ١٢٥.

٢- كتابه لعثمان بن حنيف - نهج البلاغه رقم النص ٤٥. التبر: فتات الذهب والفضه قبل الصياغه. الوفه المال. الطمر: الثوب الخلق البالى. اتان دبره: الدابه التى عقر ظهرها فقلّ أكلها.

أن نلمس سياسة الإمام (عليه السلام) هذه مع نفسه من خلال المصاديق التالية:

عن هارون بن عنتره عن أبيه قال:

دخلت على علي بالخورنق، وهو في فصل شتاء، وعليه خلق

قطيفه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال

نصيبه، وأنت تفعل هذا بنفسك!!

فقال (عليه السلام) والله ما أرزؤكم -أنقصكم - شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة»^(١).

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله: «يا أمير المؤمنين هذا أنت

في خشونه ملبسك وجشوبه ماكلك!».

فأجابه علي (عليه السلام):

«ويحك انى لست كأنت. ان الله تعالى فرض على أئمة العدل أنيقدروا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره»^(٢).

وعن سويد بن غفله قال دخلت على علي (عليه السلام) يوم وليس في داره

ص: ٩٠

١- تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ص ١٢١ وعبقريه الإمام للعقاد: ص ١٦ ط بيروت ١٩٦٧.

٢- نهج البلاغه: تبويب د. صبحي الصالح، رقم ٢٠٩ ص ٣٢٤. يتبيخ: يستبد به ألم الفقر.

سوى حصير رث وهو جالس عليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا المصير؟

قال (عليه السلام): يا سويد ان البيت لا يتأث في دار الثقله وأماننا دار المقامه، وقد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب (١).

وها هو على خرج بسيفه لبيعه في السوق كى يشتري بثمانه ازاراً، وهو أمير المؤمنين وزعيم الأمة الإسلاميه الذى تجبى إليه الأموال من جميع بقاع العالم الإسلامى.

فمن أبى رجاء قال: أخرج على (عليه السلام) سيفاً إلى السوق فقال: «من يشتري منى هذا؟ فوالذى نفس على بيده لو كان عندى ثمن إزار ما بعته!!!»

فقلت له: أنا أبيعك ازار وأنسوؤك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه

ازاره إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع إلى من الإزار (٢).

ثم ان علياً (عليه السلام) ألزم نفسه أن لا ينال من حق الناس شيئاً، وان قدر له الخروج من بلدهم، فلا يخرج إلا بالذى جاء به من المدينه المنوره: راحلته ورحله وغلामه.

فمن بكر بن عيسى قال: كان على (عليه السلام) يقول: «يا أهل الكوفه، اذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلى وغلامى فلان، فأنا

ص: ٩١

١- تذكره الخواص: ص ٦٨.

٢- شرح فى نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠.

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينه بينع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.

ولشده حرصه (عليه السّلام) على سلوك سبيل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فى عدله وزهده اشار عقبه بن علقمه قال دخلت على على (عليه السّلام) فإذا بين يديه لبن حامض، آذنتى حموضته، وكسر يابس.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟ فقال لى: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل ايبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فان أنا لم آخذ بما أخذ به خفتُ ألا ألحق به (١).

ولعظيم إثاره للأمه على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن (عليه السّلام) قال: أعتق على (عليه السّلام) فى حياه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ألف مملوك مما عملت يداه، وعرق جبينه.

ولقد ولى الخلافه، وأتته الأموال فما كان حلواه إلا التمر ولا ثيابه

إلا الكرابيس (٢).

وعن سفيان الثورى عن عمر بن قيس قال: روى على على (عليه السّلام) إزار مرقوع، فعوتب فى ذلك، فقال: «يخشع له القلب، ويقتدى به المؤمن» (٣).

ص: ٩٢

١- المرجع السابق: ص ٢٠١.

٢- نفس المرجع: ص ٢٠٢.

٣- تذكرها لخواص: ص ١٢١.

ولقد بلغ فى شده زهده (عليه السّلام) ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى عبر عبارته التاليه: «..والله لقد رقتُ مدرعتى هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قيل لى: ألا تستبدل بها غيرها؟ فقلت للقائل: «ويحك أعزب، فعند الصباح يحمد القوم السرى»(١).

هذه بعض بنود منهاج على (عليه السّلام) مع نفسه وهى تمثل احدى روافد العدالة الإسلاميه التى جسدها الإمام (عليه السّلام) فى دنيا الناس أسوه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فأين الباحثون عن العدالة والكرامه والخلص.. عن منهاج

على (عليه السّلام)؟!.

د- مساواه أهل بيته بسائر الناس:

أما منهاج أمير المؤمنين (عليه السّلام) الذى سلكه فى أهل بيته وقرابته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلا من حيث الدرجه، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمه فى الحقوق والواجبات، بل إن الذى يتحملونه من مهام من أجل حمايه الرساله والمسيره أكثر بكثير مما ينالون من حقوق...

كان الإمام (عليه السّلام) حريصاً على معاملته ذويه فى مسأله الحقوق كما لو كانوا من عامه الناس، فلا يفضلهم بعباء، ولا يميزهم بحق على أحد، فلقد سلك معهم أسلوب التدريب والاعداد للعمل بمنهاجه معهم، بل

ص: ٩٣

١- المرجع السابق: ص ١٢٥. المدرعه: ثوب صوفى غليظ.

كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه الإمام (عليه السلام) لمتعلقيه وأهل قرابته.

وهاك صوراً من منهاجه ذلك:

قال مسلم صاحب الحنا:

«لما فرغ على (عليه السلام) من أهل الجمل أتى الكوفة ودخل بيت المال، ثم قال: يا مال غزّ غيري، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين (عليه السلام) فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها ففكك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا أمير المؤمنين أن لها فيه حقاً، قال (عليه السلام): إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء»^(١).

وروى هارون بن سعيد قال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لعلي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، لو أمرت لى بمعونه أو نفقه، فوالله مالي نفقه إلا أن أبيع دابتي!!

فقال الإمام (عليه السلام): لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك^(٢).

وقد جاءه أخوه عقيل - وكان ضريراً - يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين - زيادة على حقه - وظل يكرر طلبه على علي (عليه السلام) فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا وأحمى له حديده على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل. ثم وعظه: «يا عقيل أئتني من حديده أحماها إنسانها للعبه وتجرتني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أئتني من

ص: ٩٤

١- أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٣٢.

٢- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠.

الأذى ولا أثن من لظي..»(١).

وعن أبي صادق عن علي (عليه السلام) : أنه تزوج ليلي، فجعلت له حجله، فهتكها، وقال:

حسب آل علي ما هم فيه(٢).

وعن الحسن بن صالح بن حي قال:

بلغني أن علياً (عليه السلام) تزوج امرأه فوجدت - زينت - له بيتاً، فأبى أن يدخله (٣).

وعن كلاب بن علي العامري قال:

زفت عمتي إلى علي (عليه السلام) على حمار بأكاف تحتها قطيفه، وخلفها قفه معلقه!!(٤).

هكذا كان منهج علي لا مع أهل بيته وذوى قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين، بل يعمل كل ما من شأنه على رفع مستواهم باتجاه مبادئه في الزهد، ونكران الذات في سبيل الله تعالى، ولصالح مجموع الأمة.

ولقد كان منهجه واضحاً كل الوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولا يخضع لعاطفه أو مساومه أبداً.. والله لئن أبيت علي حسك السعدان

ص: ٩٥

١- بحار الأنوار: ج ٤٠ باب ٩٨ و مناقب آل أبي طالب: ج ١ في المسابقة بالزهد.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٠ باب ٩٨ و مناقب آل أبي طالب: ج ١ في المسابقة بالزهد. حجله: ستر يضرب للعروس في الليل.

٣- بحار الأنوار: د ٤٠ باب ٩٨ و مناقب آل أبي طالب: ج ١ في المسابقة بالزهد.

٤- نفس المصدر السابق. أكاف: كساء يوضع على ظهر الدابة، القفه: أناء من خوص النخل.

مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إليّ من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام.
وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها..»(١).

وهذا السبيل الذي اختاره الإمام (عليه السلام) إنما يمثل أعلى مصاديق العدل الاجتماعي الشامل الذي حرص أمير المؤمنين (عليه السلام) على تجسيده واقعاً حياً في دنيا الناس.

ص: ٩٦

١- نهج البلاغه: رقم النص ٢٢٤.

وبسبب ما ألفه رجالات قريش من آثره وامتيازات لا حصر لها طوال ربع قرن من الزمان فقد كبر عليهم أن ينهج الإمام على (عليه السلام) نهج التسويه فى الحقوق - كما أمر الله سبحانه -

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحه بن عبيد الله على الإمام (عليه السلام) سياسته تلك واعتبراها مخالفه للنهج الذى ألفه الناس.

فقال لهما الإمام (عليه السلام): ما الذى كرهتا من أمرى حتى رأيتها خلافى؟.

قالا: إنك جعلت حقنا فى القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا- يماثلنا فى أفاء الله علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً قهراً من لا يرى الإسلام إلّا كرها(1).

فقال الإمام (عليه السلام) لها: «لقد نقيمتها يسيراً وأرجأتها كثيراً ألا تخبرانى أى

ص: ٩٧

١- على بن أبى طالب: نظره عصريه جديده، تأليف د. محمد أحمد خلف الله وعدد من الكتاب، ص ٣٢.

شيء كان لكما فيه حق دفعكما عنه؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟

والله ما كانت لي في الخلافه رغبه، ولا في الولايه اربه، ولكنكم دعوتوموني إليها، وحملتوموني عليها فلما أفضت إلى نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استسنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما ولا- وقع حكم جهلته فاستشير كما واخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما.

وأما ما ذكرنا من أمر الأسوه - التسويه في العطاء - فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأىي، ولا وليته هوىً منى، بل وجدت أنا وأنتا ما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم - قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما، والله، عندي ولا لغيركما في هذا عتبي، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، والهمنا وإياكم الصبر..رحم الله أمرىء رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوره، فردّه، وكان عوناً بالحق على صاحبه..(١).

وهكذا تختلف المنطلقات والمفاهيم، وينطلق على (عليه السلام) مما يأمر به الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينا تنطلق أصحاب المنافع مما توحى به مصالحها.

وشتان بين منطلق يرمى إلى تحقيق متطلبات الرساله ومصلحه

ص: ٩٨

١- نهج البلاغه: رقم النص ٢٠٥، تبويب د. صبحي الصالح، ط ١ بيروت ١٩٦٧.

مجموع الأمة، ومنطلق مادي لا يرى غير المصلحه الذاتيه .

موقف معاويه:

وما أن تناقلت الأنباء أمر إستخلاف الإمام على (عليه السّلام) ونهوضه بأعباء قياده الأمة إلّا وفرع معاويه بن أبي سفيان فزعاً شديداً معلناً معارضته.

وفى الأثناء ورد عليه كتاب من ابن العاص يطلعه على حقيقهاالموقف فى عاصمه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) .

«من عمرو بن العاص إلى معاويه بن أبي سفيان: أما بعد، ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها...»(١).

فرأى أمير المؤمنين (عليه السّلام) أن يكتب لمعاويه كتاباً يستقدمه فيه، إلى المدينه المنوره إلّا أن معاويه لم يستجب للإمام (عليه السّلام) بل ولم يرد على كتابه (٢). وبعد مضي ثلاثه شهور على مقتل عثمان، وقيام الإمام على (عليه السّلام) بالأمر يشهر معاويه سلاح المطالبه بدم عثمان، متخذاً منه ذريعه للخروج على إمام زمانه.

وقد بدأت نشاطاته العدوانيه بنشر ثوب عثمان الدامى فى مسجد

ص: ٩٩

١- الإمام على وفضائله: ص ١٧٥، دار مكتبه الحياه - بيروت.

٢- الفصول المهمه: لابن الصباغ المالكي، ص... ويراجع نص كتاب الإمام (ع) فى نهج البلاغه رقم ٧٥ تبويب د. صبحى الصالح «باب الكتب» ص ٤٦٤

دمشق وشعيرات من لحيته، وقد جمد عليها الدم، وراح يستثير أهل الشام للنهوض من أجل عثمان والانتقام ممن قتله، ومن ثم أرسل رسولاً- إلى الإمام (عليه السّلام) حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنوره جعل يسير في دروبها، وهو يحمل صحيفه مختومه مكتوباً عليها من «معاويه إلى علي» وهو عنوان يثير الدهشه لدى الناس فهو خالٍ من كل لياقه وكياسه، كما يشير إلى أن مرسله لا يحمل إلى زعيم المسلمين وامامهم أى شعور بالاحترام والتقدير.

وفض الإمام (عليه السّلام) صحيفه معاويه، فوجدها بيضاء لا حرف فيها فسأل رسول معاويه: ما وراءك؟

قال بعد أن استأمن الإمام (عليه السّلام): انى تركت ورائى أقواماً يقولون لا نرضى إلا بالقود.

قال الإمام (عليه السّلام): ممن؟

قال: يقولون من خيط رقبه على، وتركتُ ستين ألف شيخ ييكون تحت قميص عثمان، وهو منصوب لهم قد البسوه منبر مسجد دمشق، وأصابع زوجته نائله معلقه فيه.

فقال الإمام: أمتى يطلبون دم عثمان، اللهم أنى أبرأ إليك من دم

عثمان..(١).

ثم أمر الإمام (عليه السّلام) رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

ومنذ ذلك التاريخ بادر الإمام (عليه السّلام) بتجهيز جيشه لآخاماد حركه

ص: ١٠٠

البغاه التي قادها معاوية في الشام تحت لافتة المطالبه بدم عثمان بن عفان!؟

خلفيات المطالبه بدم عثمان

ولنا أن نتساءل قبل أن نمضى فى حديثنا قدماً، هل كانت الأطراف فى كل من الشام والبصره صادقه فى ادعاء المطالبه بدم الخليفه الثالث وهل كانت حريصه فعلاً على عثمان؟

وللاجابة على هذا السؤال الذى يفرض نفسه على الكاتب والقارئ معاً فى هذه المسأله: لابد من الرجوع إلى مواقف تلك الأطراف جميعاً أيام الثوره الشعبيه التى تمخض عنها مقتل عثمان.

فقد كان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجرى للخليفه فى المدينه، وقد استغاث به الخليفه أيام الحصار فلم يغته بشىء حتى أرسل معاويه جيشاً إلى المدينه بقياده يزيد بن أسد القسرى وقال له: «إذا أتيت ذا خُشب - منقطه خارج المدينه - فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأنتى أنا الشاهد وأنت الغائب»^(١).

فأقام القسرى بجيشه فى المكان الذى حدده معاويه، فلما قتل عثمان استدعى معاويه الجيش وقائده إلى الشام.

هذه بعض مواقف معاويه، من عثمان بن عفان أيام حكمه، ومن هنا فان شعار المطالبه بدم الخليفه القتل من قبله كان مجرد وسيله

ص: ١٠١

١- شرح نهج البلاغه: لابن أبى الحديد، ج ١٦ ص ١٥٤ «شرح كتاب الإمام (ع) إلى معاويه، رقم ٣٧.

لأستدرار العطف وتجميع الأنصار: فدوافعه الحقيقيه انما تكمن فى نعمته على سياسه على (عليه السلام) الاصلاحيه والتي كانت تمس مصالح بعض طبقات المجتمع بشكل أو بآخر وفى طبيعتها الطبقات الأرسقراطيه فى قریش ؟

وقد أفصح الإمام (عليه السلام) عن موقفه ازاء مقتل الخليفه عثمان بقوله: «اللهم إنى أبرأ من دم عثمان، ما نجا والله قتله عثمان إلّا أن يشاء الله، فإنه إذا اراد أمراً بلغه»^(١).

ويتضح موقف الإمام (عليه السلام) كذلك من كتاب له إلى معاويه حيث جاء فيه: «وقد أكثر فى قتله عثمان، فأدخل فيها دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلّى أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التى تريدها فخذعه..»^(٢).

موقف الإمام على (عليه السلام) أيام الأزمه:

ومن الضرورى جداً أن نشير ولو بشكل مقتضب إلى موقف

الإمام (عليه السلام) أيام الأزمه التى تعرضت لها الخلافه فى عهد عثمان:

فحين هاج الناس فى عهد عثمان بسبب سياساته الأرسقراطيه المجانيه لروح الإسلام، وعدالته والمعاديه لمصالح الجماهير الواسعه حاول الإمام (عليه السلام) أن يقنع الخليفه بضروره الاصلاح، وجرى بينها حديث بهذا الشأن، ومانصح به الإمام (عليه السلام) الخليفه قوله:

«وإنى أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمه المقتول فإنه كان يقال: يقتل فى هذه الأمه إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامه، ويلبس

ص: ١٠٢

١- الفصول المهمه: لابن الصباغ المالكي، ص ٥١.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ٣ ص ٧٥، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

أمورها عليها، ويبت الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يمجون فيها موجاً ويرجون فيها مرجاً، فلا تكوننّ لمروان سيّقه يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضى العمر...»(١).

فقال له عنان: «كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم»(٢).

فقال الإمام (عليه السلام): «ما كان بالمدينه، فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»(٣).

قال الخليفه: نعم ولكن أجلى فيها بالمدينه ثلاثه أيام.

فخرج الإمام إلى الناس، وأخبرهم بما وعد به الخليفه، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً وأشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين والأنصار(٤).

وحيث لم يلتزم عثمان بوعدده للأستجابه لمطالب الناس بالأصلاح،

وأبدى تنكراً لما كتبه لهم تأزم الموقف مجدداً...

وقد زاد في حراجه الموقف عثور المصريين الثوار على بريد عثمان إلعامل مصر يأمره بمعاقبه قاده الثائرين بالقتل(٥) ومعاقبه كل متظلم

ص: ١٠٣

١- نهج البلاغه: تبويب د. صبحى الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.

٢- نهج البلاغه: تبويب د. صبحى الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.

٣- نهج البلاغه: تبويب د. صبحى الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.

٤- الطبرى وابن الأثير وغيرهما «نقلًا عن أحاديث أم المؤمنين عائشه للعلامه السيد مرتضى العسكرى ص ٩٨».

٥- الطبرى وأنساب الأشراف والمعارف لابن قيبه وسواهم، «نقلًا عن المصدر السابق ص ٩٩»

بالسجن ونحو ذلك..

فحوصر الخليفة من قبل الجماهير والطامعين في الخلافة معاً حتى قطع عنه الماء كما قدمنا □ فاستنجد بالإمام علي (عليه السّلام) فاسرع لإنقاذه وارغم طلحه وسواه من الثوار، وأدخل إليه الماء(١).

وبعد أن طال حصار الخليفة - أربعين يوماً . طلب بعض الناس من

علي (عليه السّلام) أن يصلى بهم، فأبى.

فتولى طلحه إمامه الصلاة...!

هذه بعض مواقف الإمام (عليه السّلام) من أجل عثمان... وبالرغم من تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام (عليه السّلام) من أجل الخليفة فإنه لا يعنى بحال أن الإمام كان راضياً عن سياسته الخليفة في المال والاداره (٢) على وجه الخصوص .

بيد أن الإمام (عليه السّلام) كان يرى في قتل عثمان خطراً يتهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي، وتجرؤ من لدن المتربصين بالإسلام والمسلمين.

الأمر الذي وقع فعلاً بعد مقتل الخليفة مباشرة.

ص: ١٠٤

١- تاريخ الطبري وأنساب الاشراف للبلاذري «نقلاً عن المصدر السابق ص ١١٣».

٢- شرح نهج البلاغه: ج ٩ ص ٥-٦.

على الرغم من أن طلحه والزبير كانا من أشد الناقين على سياسه عثمان ومع أنها سبقا الناس فى البيعه للإمام على (عليه السّلام) بعد قتل عثمان، فان الحركه الإصلاحيه التى قادها الإمام (عليه السّلام) فى الحياه الإسلاميه لم تجد هوى فى نفسها فبدءا فى العمل للخروج على الإمام (عليه السّلام) واثاره المسلمين عليه، فكانت حصيله ذلك فتنه كبرى كبّدت الأمه خساره فادحه.

وقد بذل الإمام (عليه السّلام) جهداً كبيراً لتحاشى هذه الفتنه خصوصاً، وقد دخلت عائشه، زوجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) طرفاً فيها فلم يأل جداً فى بذل النصيح لهم وتحميلهم مغبه ما سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه نصيحته (عليه السّلام) لهما:

«أما بعد با طلحه، ويا زبير، فقد علمتما أنى لم أرد الناس حق أرادونى، ولم أبايعهم حق أكرهونى، وأنتا أول من بادر إلى بيعى، ولم تدخلا فى هذا الأمر، بسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، وأنت يا زبير، ففارس قريش، وأنت يا طلحه فشيخ المهاجرين، ودفعتها هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد اقراركما، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه

المطالبون بدمه، وأنتا رجلان من المهاجرين، وقد أخرجتها أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه، والله حسبكما..»(١).

وفى البصره استمر الإمام (عليه السلام) يبذل نصحه من أجل حقن الدماء، فأرسل للناكثين رسولا يدعوهم للصلح ورأب الصدع..

كما التقى بالزبير وذكره بأمر جرت لها في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منها: ما حملك على ما صنعت يا زبير؟

قال: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان؟

فقال الإمام: إن أنصفت نفسك، أنت وأصحابك قتلتموه، ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا زبير أتحب علياً، فقلت، وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي.

فقال لك: أما أنك تخرج عليه وأنت له ظالم!

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك.

فقال الإمام: «أنشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عند بني عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيدك فاستقبلته، فسلمت عليه، فضحكك في وجهي، وضحكت إليه. فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لك: مهلاً يا زبير ليس بعلى زهوه، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟

قال الزبير: اللهم بلى، ولكني قد نسيت ذلك، وبعد أن ذكرته

الأنصرفن»(٢).

ص: ١٠٦

١- الفصول المهمة: ص ٥٥ لابن الصباغ المالكي.

٢- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ المالكي ص ٦٣، وتذكره الخواص لسبط ابن الجوزي: ص ٧٧، وشرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٦٧.

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس، غير أن ابنه عبد الله وصفه

بالجبن ان هو أقدم على ذلك.

وهكذا تفجر الموقف واندلع القتال بين المعسكرين. فكانت حرب الجمل، أو حرب البصره كما يشاء المؤرخون أن يسموها التي قادها الزبير وطلحه بعد أن أخرجوا عائشه معها كواجهه «شرعيه» للعدوان.

الموقف الإنساني الرفيع!

غير أن الإمام ظل ملتزماً بالصبر والأناة وبما امتاز به من الروح الإنسانيه الرفيعه، فها هو يخاطب جيشه - بعد اندلاع القتال، وبعد أن ذهبت كل محاولاته لاصلاح الموقف سدى □ ملزماً أصحابه بأرفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الالتزام بها في ساحه الحرب «أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً، ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً (١). طارحاً بذلك أحكام شريعه الله تعالى في البغاه.

ثم دعا ربه الأعلى سبحانه مستجيراً من الفتنة التي فجرها

الناكثون معلناً براءته منها أمام الله الكبير المتعال.

فبعد أن رفع يديه إلى السماء قال: «اللهم ان طلحه والزبير أعطيانى صنفقه أيديها طائعين، ثم نصبا إلى الحرب ظاهرين، اللهم، فاكفنيهما بما شئت وكيف شئت..» (٢).

ص: ١٠٧

١- الفصول المهمه: للمكالي، ص ٦٢، وتذكره سبط ابن الجوزى.

٢- الفصول المهمه، لابن الصباغ المالكي: ص ٦٢، وتذكره الخواص لسبط بن الجوزى.

وقد أسفرت المعركة عن إنتصار ساحق لمعسكر الإمام (عليه السّلام) فأعلن قرار العفو العام عن جميع المشتركين في حربه.

«ألا- لا- يجهز على جريح، ولا- يتبع مول، ولا- يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه، فهو آمن، ولا يستحلن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنيه فاقبضوه، وما كان سوى ذلك، فهو لورثته، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر، وما كان من دابه أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد - الأمه استولدت ذكراً أو أنثى - والمواريث على فريضة الله، وأى امرأه قتل زوجها، فلتعتد أربعة أشهر وعشراً.

فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا

نساؤهم؟

فقال(عليه السّلام): كذلك السيره في أهل القبله(١).

بيد أن بعضاً من جيشه كانوا يرغبون الحصول على مغائم أكبر مما

حدده الإمام (عليه السّلام).

فقام إليه رجل قائلاً: يا أمير المؤمنين، والله ما قسمت بالسويه ولا عدلت في الرعيه!

قال الإمام(عليه السّلام): ولم؟ ويحك!!

قال: لأنك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذريه!! فقال له الإمام موضحاً فلسفه ذلك الموقف الإنساني الذي التزمه:

يا أخا بكر: انك امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير

ص: ١٠٨

١- أحاديث أم المؤمنين عائشه: ق ١ ص ١٨١، نقلاً عن اليعقوبي وكنز العمال.

بذنب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد، وولدوا على الفطرة، وأنا لكم ما حوى عسكرهم، وما كان فى دورهم، فهو ميراث لذريتهم، فان عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه، وان كَفَّ لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر: لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أهل مكة: قسم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك وانما اتبعت أثره..

يا أخا بكر: أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها؟ وأن دار الهجره

يحرم ما فيها الا بحق..(١).

هذه بعض مصاديق الموقف الإنسانى الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغراء الذى التزم به الإمام على (عليه السلام) فى معاملته المنهزمين من خصومه.. انه موقف لا ترى فيه للعاطفه والاندفاع والتشفى أثراً.. انه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى.

وهل غير على (عليه السلام) جدير بتجسيد حكم شريعته الله فيها يشجر بين الناس؟

وواصل الإمام (عليه السلام) خطواته الإنسانيه ازاء الناكثين.

وهكذا حسم الموقف لصالح الإمام (عليه السلام) فى فتنه البصره فتسلح الإمام (عليه السلام) خلالته وبعده بأنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل واعزاز الأمه.

أما موقف أمير المؤمنين على (عليه السلام) من عائشه التى قادت حرب

ص: ١٠٩

١- المصدر السابق: ١٨٢ نقلاً عن كنز العمال ومنتخب الكنز.

الجمال، وكانت واجهتها «الشرعية»!! فكان من أنبل المواقف التي شهدتها الإنسانية عبر التاريخ، فقد جهزها بعد هزيمتها بكل ما تحتاج إليه من مركب، وزاد، ومتاع، وشملها بكل رعايه، وحذب، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر وأربعين امرأه من فضليات نساء البصره، وفي يوم رحيلها من البصره إلى الحجاز شيعها أمير المؤمنين (عليه السلام) أميالاً، وسار أبنائوه في موكبها العائد يوماً كاملاً...

هذا ومن الجدير بالذكر أن علياً (عليه السلام) حين هزم أهل الجمل أمر نفرًا من أصحابه أن يحملوا هودج عائشه من بين القتلى، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر (رض) أن يضرب عليها قبه حتى لا يراها أحد، وان يتولى هو شأنها... فلما جن الليل أدخلها أخوها إلى البصره، وأنزلها في أشرف دور أهل البصره على صفيه بنت الحرث (1) كل ذلك اكراماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وترفع على تجاوزات الخاطئين.. وهكذا عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) عائشه ومن معها بالصفح والرعايه، والنفس المترفع والقلب الواسع الكبير رغم كل ما جرى منها، ومنهم من أخطاء يقل نظيرها في التاريخ.

انها نفس على (عليه السلام) التي لا تعرف إلا الحب، والرحمه والتعالى، و تنأى عن العدوان، والتشنى بأحد مهما بدر منه عدوان أو سوء أو جهل.

ص: ١١٠

١- انظر هذه الوقائع مفصله في الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٨، ط ١٩٦٥. دار صادر بيروت.

بعد أن أتمّ الله تعالى لعلّى (عليه السّلام) النصر عاد بجيشه إلى الكوفه، وبعد أن عزز قواته، عزم على التوجه إلى الشام لتصفيه الفتنه التي يقودها معاويه بن أبى سفيان هناك..

وسار الإمام (عليه السّلام) على رأس جيشه، غير أن أبناء مسير الإمام (عليه السّلام) نحو الشام قد بلغت البغاه القاسطين هناك، فقرروا ملاقاه الزحف الإسلامى فتلاقى الجيشان فى أعالي نهر الفرات..

وبدأ الإمام (عليه السّلام) ببذل مساعيه لاصلاح الموقف بالوسائل السلميه، فأرسل وفداً ثلاثياً إلى معاويه، يدعوه إلى تقوى الله والحفاظ على وحدته الصف والدخول فى اجماع الأمه «..اذهبوا إلى هذا الرجل - معاويه - وادعوه إلى الله تعالى، وإلى الطاعه والجماعه، لعلّ الله تعالى أن يهديه، ويلتئم شمل هذه الأمه»^(١).

والتق الوفد بقائد الفتنه، وأبلغوه بنوايا الإمام (عليه السّلام) ووضعوه أمام

ص: ١١١

الله تعالى وحذروه مغبه ما يقدم عليه، غير أن معاويه أبدى اصراراً، حتى ختم رده على الوفد بهذه الألفاظ المتكبره المتغترسه:
«انصرفوا عنى فليس عندى إلا السيف»(١).

على أن الموقف الأموى ذاك لم يصرف الإمام (عليه السلام) عن التسلح بالصبر والانهاء أبداً، ولم يثر فيه روح التعجيل بالمواجهه الصارمه حقناً للدماء، وحفاظاً على نفوس الأمة...

بيد أن الموقف الإنساني الذى التزمه الإمام (عليه السلام) لم يزد القوى الباغيه إلّا اصراراً، فعملوا من جانبهم على الحيلولة دون حصول جيش الإمام (عليه السلام) على الماء، حيث سبق أن تحرك فيلق لهم واتخذ مواقعه عند نهر الفرات ليمنع جند الإمام من الماء...

وبالنظر لأهميه الماء فى الاستراتيجيه العسكريه ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفرات، فان الإمام (عليه السلام) قد التزم الأناه أيضاً فى معالجه الموقف.

فأرسل رسولاً إلى معاويه ليبلغه «أن الذى جئنا له غير الماء، ولو

سبقنا إليه لم نمنعك عنه»..

فرد عليهم معاويه بكلمه لا ترعى الله فى دماء المسلمين: «لا والله ولا قطره حتى تموت ظمأً!»(٢).

الأمر الذى اضطر الإمام (عليه السلام) إلى استعمال العنف فى الحصول على

ص: ١١٢

١- نفس المصدر السابق: ص ٧١.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ١ ص ٢٣، لابن أبى الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ١٩٥٩م، دار احياء الكتب العربيه.

الماء لجيشه، حيث لا بديل للعنف..

وهكذا حرك الإمام (عليه السلام) فرقه من جيشه لانتهاء الحصار المضروب عليهم، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمه... .

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الإمام (عليه السلام) أذن للباغين بالتزود منه متى شاؤوا، مجسداً بذلك بنداً من أخلاق الإسلام العظيمة في هذا المضمارة.

فأعظم بعلى من محارب نبيل، وأكرم به من صاحب قلب كبير!!

وحيث أن همّ الإمام (عليه السلام) أن يحقن دماء المسلمين ويصونهم من التمزق، ويدراً التصدع عن صفهم، فقد طلب من معاوية أن ينازله إلى ميدان القتال فيتقاتلا- دون الناس لكي تكون امامه الأمة لمن يغلب «يا معاوية علام يُقتلُ الناس؟ ابرز الى ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب»(١).

إلا أن معاوية قد رفض خوفاً من بطش الإمام (عليه السلام) وبسالته.

وبالرغم من أن الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه، فإن الإمام (عليه السلام) قد التزم بضبط النفس كذلك وحاول أن يحصر القتال في حدود المبارزه المحدوده(٢).

ولما لم تلق محاولات الإمام (عليه السلام) لرأب الصدع -الذي أوجده معاوية في صف الأمة - استجابته، تفجر الموقف بجرب واسعه النطاق استمرت أسبوعين دون هوداه.

ص: ١١٣

١- الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي، و تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي، بلفظ متقارب.

٢- نفس المصدر السابق. ١١٣

وقد لاحت تباشير النصر لصالح معسكر الإمام (عليه السّلام) وأوشكت القوى الباغية على الانهزام، فديروا «خدعه المصاحف» فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف.. مما نجم عن تلك الخطة الماكره تغير جوهرى فى الموقف العام.

ولقد كان لرفع المصاحف من قبل معسكر معاويه صدئ عميق فى معسكر الإمام (عليه السّلام) إذ سرعان ما صارت كثره كثره كآثره من جيشه تطالبه بايقاف القتال.. فكثرت اللغظ بين الصفوف وآثر الآلاف ترك الحرب..

ومع أن الإمام تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف واستعمل كل وسائله الاقناعيه فى البرهنه على كونها خدعه يراد بها عرقله تحقيق النصر الذى بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (عليه السّلام). إلّا أن المطالبين بايقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكرره فى هذا المضمار، ولعل بعضهم استعمل لغه التهديد للإمام (عليه السّلام) ... (١).

واضطروه أن يبعث الاشعث بن قيس إلى معاويه للتعرف على ما يريد من وراء رفعه للمصاحف، فعاد يحمل رغبه معاويه فى التحكيم بين الجبهتين.. ثم تلى ذلك، الفصل الثانى من المأساه، فاختارت الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (عليه السّلام) بينما اختار معاويه عمرو ابن العاص.

على أن الإمام (عليه السّلام) قد رفض فكره تمثيل الأشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام (عليه السّلام) ولم يكن يرى فى الإمام أهلاً

ص: ١١٤

١- تذكره الخواص لسبط ابن الجوزى: ص ١. ٣.

لتولى الخلافة بعد عثمان (١) - هو وآخرون ممن اعتزلوا الإمام (عليه السلام). وكان يخذل الناس عن نصره الإمام، مما حمل أمير المؤمنين على عزله من ولايه الكوفه (٢).

وقد رجح الإمام (عليه السلام) أن يكون الممثل لمعسكره في التحكيم عبدالله بن عباس، غير أن الغوغاء أصروا على اختيار أبي موسى الأشعري بالرغم من تأكيد الإمام على ضعفه ووهن رأيه اضافة إلى مرتكزاته الفكرية وموقفه من حكمه الإمام (عليه السلام).

وها هو الإمام (عليه السلام) يخاطب المخدوعين بقوله «قد عصيتوني في أول الأمر - يشير إلى قبول التحكيم وإيقاف القتال - فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومه فانه ضعيف عن عمرو ومكائده» (٣).

إلا أنهم أصروا على اختيار الأشعري.

ومن هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يركن إلى الاعتقاد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوى أبداً.. فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك.. إذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت وتنسيق بين معاويه وحركه مواليه له داخل جيش الإمام (عليه السلام) لا بد أن يكون له اتصال معها....

فما أن ارتفعت المصاحف حق استجاب اولئك لايقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من الحرب فوسعوا قاعدتهم في صفوف

ص: ١١٥

١- راجع الفصول المهمه: ص ٧٨، و تذكره الخواص، ص ١. ٣.

٢- تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي: ص ٧٤.

٣- نفس المصدر السابق، ص ٧٩.

معسكر الإمام (عليه السلام) وفرضوا عليه التحكيم، وممثل معسكره في التحكيم فيما بعد...

وهكذا فاني لا أعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد في جيش الإمام (عليه السلام) بذلك الشكل الذي ذكره المؤرخون لا تعتمد على تخطيط أموى أبداً...

وقد جاءت نتائج التحكيم - كما توقع الإمام (عليه السلام) - لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً!!

فان عمرو بن العاص قد دبر حيله لأبى موسى الأشعري مفادها أن يخلع كل منهما ممثله عن الخلافة، ليختارا غيرهما! فانطلت اللعبه على أبى موسى، فخلع الخليفه والإمام الشرعى والمنتخب من الأمه علياً (عليه السلام) كما يخلع خاتمه من يده!! فما كان من عمرو بن العاص، إلّا وأعلن تثبيت ممثله معاوية كما يثبت هو خاتمه فى يده.

وهكذا ساد الهرج والمرج فى صفوف المسلمين وظهرت فرقه

الخوارج فى جيش على (عليه السلام) بعد هذه الحادته حيث طالبت برفض التحكيم، وأدانت علياً (عليه السلام) لموافقته على التحكيم، وايقاف الحرب بينما لم يكن هو صاحب الفكره - كما رأينا - ولا هو راضٍ عنها ابتداءً، وانا فرضت عليه فرضاً!!

بعد واقعه التحكيم عاد الإمام (عليه السلام) بجيشه إلى الكوفة... ففوجئ بخروج طائفه من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنه تمردا على الإمام (عليه السلام) فلم تدخل معه الكوفة.. وانما سلكت سبيلها إلى حروراء، فاتخذت مواقعها هناك..

ومن الجدير بالذكر أن الفئه التي خرجت على الإمام (عليه السلام) كان أغلبها من الفئات التي أرغمت على التحكيم في حرب صفين (١).

فعند تمرد تلك الفئه وخروجها من جيش الإمام (عليه السلام) أعلنت مبررات خروجها تحت شعار «لا حكم إلا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاويه واصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئه وزله حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا إلى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع - يقصدون الإمام (عليه السلام) - كما رجعنا، وإلا

ص: ١١٧

١- يوليوس فلهوزن: الخوارج والشيعة ترجمه عبدالرحمن بدوى: ط ٢، ١٩٧٦ كويت ص ٣٢.

بيد أن الإمام (عليه السلام) أوضح لهم حينئذ أن الخلق الإسلامي يقتضى الوفاء بالعهد - الهدنه لمدته عام - الذى أبرم بين المعسكرين قائلاً «ويحكم، بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع»؟

أوليس الله يقول: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَمَّا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعِيدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» (٢).

إلا أن هذه الجماعة لم تصغ إلى توجيهات الإمام (عليه السلام) واستمروا فى غيهم، وتعاضم خطرهم بعد انضمام أعداد جديده لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلى معسكر الإمام (عليه السلام) - بالاضافه للإمام - ورأوا استباحهدمائمهم.. وهكذا أسس هؤلاء ثقافه تكفير المسلمين التي لا تزال فى بعض اوساط الأمة منذ ذلك التاريخ!

ولقد كان الإمام (عليه السلام) عازماً على عدم التعرض لهم ابتداءً ليمنحهم فرصه التفكير جدياً بما أقدموا عليه، عسى أن يعودوا إلى الرأى السديد، ولكى يتفرغ كلياً لاستئناف القتال مع البغاه فى الشام، بعد فشل التحكيم بعد اللقاء الثانى بين الحكامين، حيث تمت خديعه عمرو بن العاص لأبى موسى الأشعري التي أدت إلى عدم تحقيق التحكيم بشكل المناسب.

غير أنهم بدأوا يشكلون خطراً حقيقياً على دوله الإمام (عليه السلام) من الداخل. وبدأً خطرهم يتعاضم فقتلوا بعض الأبرياء، وهددوا الآمنين،

١- وقعه صفين: نصر بن مزاحم، ط ٢، ١٣٨٢هـ ص ٥١٧.

٢- النحل: الآية ٩١، راجع وقعه صفين: نصر بن مزاحم ص ٥١٧.

فقتلوا الصحابي الجليل عبدالله بن خباب وبقروا بطن زوجته وهي حامل مقرب دون مبرر.. وقتلوا نسوه من طي.

فلما بلغ أمرهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ارسل إليهم الحارث بن مره العبدى، ليتعرف على حقيقه الموقف غير أنهم قتلوه كذلك(١).

فلما علم الإمام (عليه السلام) بالأمر كَرَّ راجعاً من الأنبار - حيث كان قد اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهه نحو الشام - وعندما اقتربت قواته منهم بذل مساعيه من أجل اصلاح الموقف دون اراقه للدماء، فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتله المؤمنين عبدالله بن خباب والحارث العبدى وغيرهما وهو يكف عنهم، ولكنهم أجابوه: انهم كلهم قتلوهم..

وبعث الإمام (عليه السلام) إليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم، وحذرهم مغبه موقفهم الأحمق... وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون وجه حق..(٢).

وتابع الإمام (عليه السلام) موقفه الإنساني الرشيد، فأرسل إليهم أبا أيوب الأنصارى (رض) وبعد أن وعظهم، رفع رايه ونادى: من جاء هذه الرايه - ممن لم يقتل - فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفه أو المدائن فهو آمن لا- حاجه لنا به بعد أن نصيب قتله اخواننا(٣).

وقد نجحت المحاوله إلى حد كبير حيث تفرقوا شيئاً بعد شيء حتى انخفض عددهم إلى أربعه آلاف إذ كان قد بلغ عددهم اثني عشر ألفاً.

ص: ١١٩

١- الفصول المهمه: للمالكى، ص ٩١.

٢- المصدر المتقدم: ص ٩٢.

٣- أعيان الشيعة: ج ٣ ص ٢. (عن الطبرى)، والفصول المهمه: ص ٩٣.

وقد بدأ الباقون منهم العدوان من جانبهم على جيش الإمام (عليه السلام) فأمر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدؤوا بالقتال. فلما بدأ الخوارج القتال، طوقتهم قوات الإمام (عليه السلام) فأبادت المارقين البلقاء، وتحقق الظفر لرايه الحق.

وهكذا قضى الإمام (عليه السلام) في حرب النهروان على حركة الذين سبق الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن سماهم المارقين حين أشار إليهم في حديث رواه ابو سعيد الخدرى قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول يخرج في هذه الأمة قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»^(١).

ص: ١٢٠

١- أخرجه البخارى فى صحيحه نقلاً عن الفصول المهمه: ص ٩٤ والبلاذى فى أنساب الأشراف ج ٢، ص ٣٧٦، عن على (ع) بلفظ آخر، وخصائص النسائي: ص ٧١.

أنهى الإمام (عليه السلام) مقاومه المارقين، فشمّر عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين فى الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثانى بين الحكّمين.

وقد أمر الإمام (عليه السلام) بتعبئه جيشه، وأعلن حاله الحرب لتصفيه قوى البغى التى يقودها معاويه، وجاء إعلان الحرب من خلال خطبه الأمير المؤمنين (عليه السلام) خطبها فى الكوفه - عاصمه الدوله الإسلاميه - فضمنها دعوته للجهاد.

«...الجهاد، الجهاد عباد الله! ألا وانى مُعسِكر فى يومى هذا.. فمن أراد الرواح إلى الله، فليخرج!» (١).

ثم بادر الإمام (عليه السلام) إلى عقد الويه الحرب، فعقد للحسين رايه ولأبى أيوب الأنصارى أخرى، ولقيس بن سعد ثالثه.

وبينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئه قواته من أجل أن ينهى حركه

ص: ١٢١

الانفصال التي يقودها معاويه في بلاد الشام كان يجرى في الخفاء تخطيط لثيم من أجل اغتيال الإمام (عليه السلام) !!

فقد كان جماعه من الخصوم قد عقدوا اجتماعاً في مكة المكرمه،

وتداولوا في أمر حركتهم، التي انتهت إلى أوخم العواقب.

فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبدالرحمن بن ملجم المرادي)، وفي ساعه من أخرج الساعات التي يمر بها الإسلام والمسيره الإسلاميه، وبينما كانت الأمه تتطلع إلى النصر على عناصر الفرقة التي يقودها معاويه بن أبي سفيان، امتدت يد الأثيم المرادي إلى علي (عليه السلام) فضرب الإمام (عليه السلام) بسيفه وهو في سجوده عند صلاه الفجر، في مسجد الكوفه الشريف، وذلك في صبيحه اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجريه.

لقد اغتيل الإمام (عليه السلام) وهو في أفضل ساعه حيث يقوم بين يدي الله في صلاه خاشعه.

وفي أشرف الأيام إذ كان يؤدي صوم شهر رمضان.

ثم هو (عليه السلام) في أعظم تكليف إسلامي حيث كان في طريقه لخوض غار حرب جهاديه، كما كان في بقعه من أشرف بقاع الله وأطهرها «مسجد الكوفه» .

فظوبى لعلى وحسن مآب.

ولكن جريمه قتل على (عليه السلام) تبقى أشرس جريه وأكثرها فظاعه ووحشيه، لأنها جريمه لم تستهدف رجلاً كباقي الرجال،
انما استهدفت

ص: ١٢٢

القيادة الإسلامية الراشده بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

واستهدفت كذلك اغتيال رساله الألهيه، وقيمها العظيمه،

وأهدافها العليا وكلها تتمثل فى شخص على أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وبهذا خسرت الأمه الإسلاميه مسيره وحضاره وأروع فرصه

وأطهرها فى حياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد بقى الإمام (عليه السلام) يعانى من علقته ثلاثه أيام، عهد خلالها بالإمامه إلى ولده الحسن السبط (عليه السلام) ليمارس بعده مسؤولياته فى قياده الأمه الفكرية والاجتماعيه.

وكان (عليه السلام) طوال الأيام الثلاثه - كما كان طول حياته - لهجاً بذكر الله، والثناء عليه والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، كما كان يصدر الوصيه تلو الوصيه، والتوجيه الحكيم أثر التوجيه، مرشداً للخير، دالاً على المعروف، محدداً سبل الهدى، مبيناً طريق النجاه، داعياً لاقامه حدود الله تعالى وحفظها، محذراً من الهوى والنكوص عن حمل الرساله الإلهيه.

وهذه واحده من وصاياه بهذا الشأن مخاطباً بها الحسن والحسين

سبطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وأجيال الأمه:

«أوصيكما بتقوى الله، وألما تبغيا الدنيا وان بغتكما، ولا - تأسفا على شىء منها زوى عنكما، وقولا بالحق، واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكما، وجميع ولدى وأهلى ومن بلغه كتابى، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فأنى سمعت جدك ﷺ - صلى الله عليه وآله وسلم ﷻ

يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة والصيام».

الله الله فى الأيتام، فلا تَغْبُوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

الله الله فى جيرانكم، فأَنهم وصيه نبيكم. ما زال يوصى بهم، حتى ظننا انه سيورثهم.

الله الله فى القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

الله الله فى الصلاة، فانها عمود دينكم.

الله الله فى بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فانه أن ترك لم تناظروا. الله الله فى الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألستكم فى سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتبادل، واياكم والتدابير والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثم قال:

يا بنى عبد المطلب، لا أَلْفَيْتُكُمْ تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: «قتل أمير المؤمنين» ألا لا تقتلنَّ بى إلّا قاتلى.

أنظروا إذا أنا مُتُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربه بضربه، ولا تمثلوا بالرجل، فانى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «اياكم والمثله ولو بالكلب العقور»^(١).

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم..

فلقد كانت خساره الرساله والأمه بفقده من أفدح الخسائر التى

ص: ١٢٤

١- نهج البلاغه: تبويب د. صبحى الصالح، ص ٤٢١، رقم النص ٤٧.

أصيبت بها الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فموت على (عليه السلام) فقدت الأمة.

بطوله غدت أنشوده للزمان..

وشجاعه ما حلم التاريخ بمثلها..

وحكمه لا يعلم بعدها إلا الله..

وطهرأ ما اكتسبى به غير الأنبياء..

وزهدأ فى الدنيا ما بلغه إلا المقربون..

وبلاغه كأنما هى رجع صدى لكتاب الله..

وفقهاً وعلماً وتضلعاً بأحكام الرسالة الألهيه جعلت منه باب

مدينه علم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومرجعاً للأمة الإسلاميه فى جميع شؤونها.

فسلام على أميرالمؤمنين يوم ولد ويوم قضى شهيداً فى محرابه ويوم يبعث حياً..

ص: ١٢٥

الفصل الثالث: «.. ما وجد لي كذبه في قول لا خطله في فعل» أمير المؤمنين (عليه السلام)

أشاره

ص: ١٢٧

كنا قد تناولنا فى الفصل الأول من دراستنا هذه الحياه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام) دور رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فى اعداد شخصيه الإمام على (عليه السّلام) والاشراف المباشر على تشكيل عناصرها، منذ طفولته.. حتى صارت شخصيه الإمام (عليه السّلام) نسخه مكرره لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكراً وعقيده وسلوكاً فيما عدا النبوه ومستلزماتھا... .

ولقد وصف الإمام (عليه السّلام) طبيعه خضوعه لذلك اللون من الاعداد الرسالى وصفاً دقيقاً بقوله «.. وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرايه القريبه، والمنزله الخصييه، وضعنى فى حجره، وأنا ولد، يضمنى إلى صدره، ويكنفنى فى فراشه، ويمسنى جسده، ويشمنى عرفه، وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه، وما وجد لى كذبه فى قول ولا خطله فى فعل.

ولقد قرن الله به - صلى الله عليه وآله - من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم: ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه: اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه عليه، ويأمرنى بالاعتداء به، ولقد كان يجاور فى كل سنه بحراء، فأراه ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجه، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، واشم ريح النبوه.

ولقد سمعت رنه الشيطان حين نزل الوحي عليه - صلى الله عليه وآله -.

فقلت: يا رسول الله ما هذه الرئه؟

فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، انك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير وانك لعلى خير..»(1).

فهذا النص الكريم اضافه إلى ما حفظه لنا التاريخ من سيره الإمام (عليه السلام) يجسد لنا بعمق وقوه المدى الذى كان الإمام (عليه السلام) قد حظى به فى مضممار الأعداد الرسالى المخطط الذى خصه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) به. تهيئه له للنهوض بأعباء الأمامه الشرعيه والمرجعيه الفكرية والسياسيه فى الأمه.

وقد بدأ ذلك الاعداد الرسالى من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى (عليه السلام) منذ نعومه أظفاره فهو ربيبه الذى فتح عينيه فى حجره، وهياً له من فرص التفاعل معه وسلوك نهجه فى الحياه ما لم يتوفر لأحد سواه.

وبالإضافه إلى ما كان قد خُصَّ به الإمام (عليه السلام) من لدن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ايام الطفوله والصبا من رعايه وتبَنِّ وتربيته، الأمر الذى ألمحنا إليه فى

ص: ١٣٠

١- نهج البلاغه: تبويب د. صبحى الصالح، خطبه رقم ١٩٢ المسماه بخطبه «القاصعه».

الفصل الأول من هذه الدراسة فان الاعداد الرسولى للإمام (عليه السّلام) منذ الدعوه المباركه، وحتى آخر ساعه من حياه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد اتسع مداراً وازداد شمولاً واصبح أكثر تركيزاً.

والشواهد من حياه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) متظافره فى هذا المضممار، فضلاً عن حرص الإمام (عليه السّلام) على الاقتداء به بأقصى درجات الاقتداء وأصدقها وأكثرها أمانه، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان يخصه بفكر الرساله وحقائقها ومتطلباتها، ويمده بالمزيد من الثقافه الإلهيه.

وكان (صلى الله عليه وآله وسلّم) يختلى بالإمام (عليه السّلام) الساعات الكثيره آناء الليل والنهار ليعمق وعيه المفاهيم الرساله ومشاكل المهمه التغييريه التى بدأها رسول الله فى الواقع الإنسانى، واساليب العمل من أجل اكمال ما بدأه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم).

روى النسائى عن عبدالله بن عمرو بن هند الجملى عن على (عليه السّلام) قال: «كنت إذا سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) أعطيت، وإذا سكّئت ابتدأنى (1).

وعن ابن عباس عن على (عليه السّلام) قال: «كان لى من النبى (صلى الله عليه وآله وسلّم) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار».

وعن أبى سعيد الخدرى قال: «كانت لعلى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) دخله لم تكن لأحد من الناس».

وعن عبدالله بن يحيى عن على (عليه السّلام) قال: «كنت أدخل على نبى الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) كل ليله، فان كان يصلى سبح، فدخلت، وان لم يكن يصلى إذن

ص: ١٣١

١- خصائص الإمام على بن أبى طالب: للنسائى ط ١. بيروت ١٩٧٥، وأنساب الأشراف: للبلاذرى، ج ٢ ص ٩٨.

لى فدخلت (١).

وعن أم سلمه قالت: «و الذى تحلف به أم سلمه أن أقرب الناس عهداً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على (عليه السلام).. لَمَّا كان غدوه قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأرسل إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - قالت: «وأظنه بعثه فى حاجه» فجعل يقول: جاء على؟ - ثلاث مرات - فجاء قبل طلوع الفجر فلما أن جاء عرفنا أن له إليه حاجه، فخرجنا من البيت وكُنَّا عند رسول الله يومئذ فى بيت عائشه، وكنت فى آخر من خرج من البيت، ثم جلست من وراء الباب، فكنت أدناهم إلى الباب، فأكب عليه على (عليه السلام)، فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يسأره ويناجيه» (٢).

ولقد كانت حصيله ذلك الاعداد الرسالى الخاص من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى أن هيأت الرساله الإلهيه الإمام علياً (عليه السلام) لاحتلال موقع المرجعيه الفكرية والسياسيه للأمم الإسلاميه.

وقد عبر الإسلام الحنيف عن ذلك التحديد بشتى الوسائل التعبيرية المباشره، مجسده مؤهلات على (عليه السلام) لإمامه الأمة المسلمه تاره، ومعلنه تاره أخرى اسناد الإمامه الشرعيه له رسمياً:

فضائل على من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

وهذه بعض مؤهلات الإمام (عليه السلام) كما تعكسها النصوص الصحيحه:

ص: ١٣٢

١- نفس المصدر السابق: ص ٤٨.

٢- نفس المصدر: ص ٦٥، وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل فى مسنده والكنجى والمحب الطبرى وغيرهم نقلاً عن مقام أمير المؤمنين، ص ٧٧ - ٧٨ مطبعه الأعلمى كربلاء.

١- قال رسول الله (ص) مثل على فيكم كمثل الكعبه..»(١) فحيث توحد الكعبه وجهه الأمه عند ساعات الوقوف بين يدي الله تعالى فى الصلاه أو أداء شعائر الحج والعمره، كذلك يفعل التزام على (عليه السلام) والأخذ عنه فى دنيا المسلمين.

٢- والإمام (عليه السلام) هو الصراط المستقيم الذى تستلهم الأمه منه العلم الإلهى و معارف التشريع بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون سواه من الناس:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «على باب علمى ومبين لأمتى ما أرسلت به من بعدى: حبه إيمان، وبغضه نفاق...»(٢).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا مدينه العلم وعلى بابها..»(٣).

٣- وأن علياً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى اقامه العدل بين الناس فكفه ككفه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «يا أبا بكر: كفى وكفى على فى العدل سواء»(٤).

٤ - ويصف الرسول علياً (عليه السلام) بأنه كنفه، فقد أخرج أحمد بن

ص: ١٣٣

١- جلال الدين السيوطى فى تاريخ الخلفاء: ج ١ ص ٩٦، وابن عساكر من حديث أبى بكر وعثمان وعائشه وسواهم، وأخرج الحديث الكنجى الشافعى فى الكفايه والخوارزمى فى المناقب، نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٦-٧ مطبوعه الأعلمى - كربلاء.
٢- أخرجه أبو نعيم فى الحليه، ورواه الديلمى فى فردوس الأخبار، والحموينى فى الفرائده وغيرهم نقلاً عن المصدر السابق ص ٧.

٣- أخرجه أحمد بن حنبل والترمذى فى جامعه الصحيح، وانظر مصادره الكثيره فى: فتح الملك العلى بصحه حديث باب مدينه العلم على، للحافظ أحمد بن محمد الغمارى ط ١٩٦٩.

٤- أخرجه جلال الدين السيوطى فى تاريخ الخلفاء وابن عساكر فى تاريخه الكبير والمناقب للخطيب الحنفى نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ١٢.

حنبل فى مسنده عن عبدالله بن حنطب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لوفد ثقيف - حين جاؤوه - «لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً كنفسى ليضربنَّ أعناقكم وليسينَّ ذرارىكم، وليأخذنَّ أموالكم - فالتفت إلى على وأخذه بيده - فقال: هو هذا، هو هذا»(١).

٥- وأن الإمام (عليه السلام) أدرى المسلمين قاطبه بشؤون القضاء بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أفضى أمتى على»(٢)، وهو اشاره من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن الإمام على (عليه السلام) أقدر من سواه على اداره شؤون الأمة وحسم ما يشجر فى حياتها العملية.

٦- وقال المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) «على مع الحق والحق مع على، ولن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض يوم القيامة»(٣).

٧- وحيث أن علياً (عليه السلام) صنو الحق الذى هدى الله عباده إليه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، فقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمة لسلك منهجه والاندماج بخطه لينقذها من الزيغ، ولكى لا تتبع السبل فتضل عن سبيل الله تعالى قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ستكون من بعدى فتنه، فاذا كان ذلك،

ص: ١٣٤

١- وأخرجه ابن حنبل فى المناقب أيضاً، وأخرجه كذلك أبو نعيم فى الحليه، والترمذى وغيرهما، نقلاً عن على والوصيه: ص ٢٣٦ - ٣٤٧، بألفاظ متشابهه.

٢- الرياض النضره: ج ٢ ص ١٩٨، والكنجى الشافعى فى الكفايه والفصول المهمه - لابن الصباغ المالكى، وأنساب الأشراف للبلاذرى، نقلاً عن مقام أمير المؤمنين، ص ٣٢، ط الأعلمى .

٣- الخطيب البغدادى فى تاريخه الكبير: ج ٤ ص ٣٢١، وابن قتيبه فى الإمامه والسياسه وكنز العمال والزمخشري فى ربيع الأبرار والحموينى فى فرائد المسطين وغيرهم، نقلاً عن على والوصيه: ص ١١٣.

فالزموا علي بن أبي طالب، انه أول من يرانى، وأول من يصفحنى يوم القيامة، وهو منى فى السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل»(١).

٨- وحول إيان علي (عليه السلام) ومداه يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لو أن السماوات والأرض موضوعتان فى كفه وإيان علي فى كفه لرجح إيمان علي»(٢).

هذه بعض مؤهلات علي (عليه السلام) كما بينها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

أمر الأمامه فى النصوص:

أما النصوص التى تسند إليه أمر إمامه الأمة فكثيراً وسياسياً

بشكل صريح كما اشرنا فيما مضى فنذكر منها:

١- آيه الولاية:

«إِنَّمَا وَثِقْتُكُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ». (المائدة: ٥٥ - ٥٦)

فقد ذكر المفسرون والمحدثون أن آيه الولاية هذه قد نزلت فى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حيث تؤكد بلا أدنى شك أنه يجب على الأمة

ص: ١٣٥

١- الكنجدى الشافعى فى كفايه الطالب والحافظ فى أماليه وغيرها، نقلاً عن علي والوصيه ١٦٧.

٢- أخرجه الديلمى عن ابن عمر، يراجع كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٦، والرياض النضره: ج ٢ ص ٢٢٦، أخرجه عن عمر بن الخطاب نقلاً عن مقام أمير المؤمنين، ص ١٥ ط الأعلمى - كربلاء.

الإسلاميه الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً وسياسياً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن سائلاً دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسأل المسلمين المعونه فأشار الإمام (عليه السلام) إلى السائل أن يتناول خاتم على (عليه السلام) من إصبغه وهو راعع فانترع السائل خاتم الإمام من إصبغه إذ تصدق الإمام به وهو راعع فنزلت فيه هذه الآية (1).

٢- خطبه الغدير التي ألقاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجه الوداع بعد أدائه فريضة الحج الأكبر، ومناسكه.

فعن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سنته التي حج فيها، فنزل في بعض الطريق فأمر:

الصلاه جامعه، فأخذ بيد على، فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»

. قالوا: بلى .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «فهذا ولي من أنا مولاه، أَللهم والٍ من والاه، اللهم عادٍ من

ص: ١٣٦

١- راجع تفسير الآية في كل من: تفسير البيضاوى، ومجمع البيان للطبرسى، وأبو اسحاق الثعلبى فى تفسيره، والطبرى فى تفسيره، والواحدى فى أسباب النزول، وأبو البركات النسفى فى تفسيره، والنيسابورى فى تفسيره، والشبلنجى فى نور الأبصار، وابن حجر فى صواعقه المحرقة، وغيرهم. نقلاً عن الفضائل الخمسه من الصحاح الستة وأعيان الشيعة: ج ٣ ق ١ ص ١٣. وما بعدها، وراجع مدلولها فى كتاب: الأمامه فى الرساله الإسلاميه: للمؤلف.

وفى لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»(٢).

٣- وعن أم سلمه أم المؤمنين قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله اختار لكل نبي وصياً، وعلى وصي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدى»(٣).

هذه بعض النصوص الإسلامية الصحيحة التي أسندت أمر المرجعية الفكرية والسياسية في هذه الأمة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام). ولمن يريد المزيد من تتبع نصوص الإمامه مراجعه المصادر المختصة بالموضوع (٤).

ص: ١٣٧

- ١- لفظ صحيح ابن ماجه: ص ١٢.
- ٢- مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ٢٨١، وقد نص على أن الحديث رواه ثلاثون صحابياً. وقد أخرج الحديث غيره كالنسائي في الخصائص والطبراني عن زيد بن أرقم، والفخر الرازي في تفسير آيه «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» وكنز العمال: ج ١ ص ٤٨ ومستدرک الصحيحين، وقد رواه من الصحابه مائه وعشره لاحظ مصادر تواتر الحديث كما نص عليها الشيخ الأميني في الغدير المجلد الأول.
- ٣- الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه، والحمويني الشافعي في فرائد السمطين، وفي مسند أحمد بن حنبل حديث الوصيه يشبهه، وللثعلبي في الكشف والبيان، وابن المغازلي مثله، نقلاً عن علي والوصيه ص ٢٣٥.
- ٤- ككتاب «الغدير» للشيخ عبدالحسين الأميني، و«دلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر و«احقاق الحق» للقاضي التستري، و«عبارات الأنوار» للسيد مير حامد حسين، و«المراجعات» للسيد عبدالحسين شرف الدين.. وغيرها.

شخصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال مقوماتها الواقعيه

اشاره

ص: ١٣٩

علاقه عليّ (عليه السّلام) بالله عزوجل وأبعادهما

اشاره

*علاقه الإمام عليّ بالله تعالى

* شواهد من عبادته أميرالمؤمنين (عليه السّلام)

* المنهج العبادي في خطوطه الأساسيه

ص: ١٤٠

إذا كانت حصيلة الاعداد الإلهي المباشر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن صار خلقه (صلى الله عليه وآله وسلم): القرآن بكل ما فيه من فضائل وقيم روحية رفيعة مجسداً حياً في دنيا الواقع (١)، فان حصيلة الاعداد الرسالي من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أن صار على (عليه السلام) صورته مكرره للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكراً وهدياً ومواقف... .

ولقد قرأنا بين ثنايا النصوص الكريمة التي مرت بنا خلال هذه

الدراسة (٢): تلك النصوص التي تكشف بقوه عما لعلي (عليه السلام) من مكانه في دنيا الإسلام فضلاً عن الموقع الذي احتله في ميزان رساله:

فهو: المظهر من الرجس، وهارون الأمه، والذي كفه ككف النبي المصطفى، في العدل، وهو رفيق الحق لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهو باب العلم الإلهي، وفاروق الأمه (٣) و... و... الخ.

ص: ١٤١

١- يراجع الفصل الثالث من سيره المصطفى (ص) للمؤلف.

٢- راجع الفصل الأول من هذه الدراسة التي بين يديك.

٣- فاروق الأمه رواه عن رسول الله (ص) الطبراني والبيهقي وكنز العمال وسواهم، انظر في المراجعات: ص ١٧ .

وكل هذه الأوسمه التي زين بها الإسلام صدر علي (عليه السّلام) كانت ذات مداليل عمليه في دنيا الواقع في حياه علي (عليه السّلام).

فهذه الصفات الساميه جاءت ترجمه لواقع صار إليه الإمام (عليه السّلام) كثمره للاعداد الرسولي له منذ نعومه أظفاره حتى آخر يوم من أيام المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولعلنا لا ندرك أهميه تلك الأوسمه التي زين بها صدر الإمام (عليه السّلام) ما لم نسلط أحزمه من الضوء على المقومات العامه لشخصيته سلام الله عليه في هذه الصفحات:

علاقه الإمام علي بالله تعالى

سبق أن أشرنا في حديثنا عن شخصيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن علاقته المسلم بالله تبارك وتعالى، ليست محدوده في احدى زوايا حياته أبداً، وانما هي كماحدد الله سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التي ارتضى لهم: تجرد كامل للعزير المتعال عز وجل بكل خلجات النفس، وبكل حركه في الحياه: في الصلاه والصيام والحج والاعتكاف، بشعائر التعبد وبالعلاقات الأسريه والاجتماعيه عامه بالحكم والقضاء بالمحيا والممات وما بعد الموت(1).

وقد جسد القرآن الكريم حجم العلاقه بين العبد وربّه الأعلى وطبيعتها بقوله تعالى «قُلْ إِنَّ صِيَامِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

ص: ١٤٢

١- الفصل الثالث من كتاب سيره المصطفى (ص) للمؤلف.

على أن شعائر الإسلام الكبرى: كالصلاه والصوم والحج وسواها وان كانت جزءاً من الهيكل العام للعبوديه لله تعالى التى تشمل الحياه الإنسانيه كلها إلا أن هذه الشعائر تختص بسمات خاصه «توقيفيه» ككيفية الاداء والوقت والعدد، فهى فى هذه المجالات محدده من قبل الله تبارك وتعالى فلا مجال فيها لتبديل أو تحوير أو نقص أو زياده.

ثم انها تمتاز فى كونها وقفات خالصه لله سبحانه ليس فيها غايات أخرى غير رضوان الله والاستجابه لأمره، ومن أجل ذلك تفقد هذه الفرائض طابعها العبادى إذا دخل اطارها رياء أو نحوه.

وهى ميزه لا تتحقق فى أمور الحياه الانسانيه الأخرى وان كانت سابجه فى اطار من العبوديه لله تعالى.

فالزواج والنشاط الاقتصادى مثلاً ونحوهما من العقود وان كانت شريعه الله تعالى تضعها فى مسار العبوديه لله، والمرء من خلالها يؤدى عباده لله عز وجل إذا هو التزم بأحكام الشريعه الإسلاميه فى تحديد وجهتها وابعادها و مستلزماتها إلا أنها تبقى حامله لأغراض أخرى.

فالزواج مثلاً ان كان يحقق غايه إسلاميه من ناحيه تحصين الفرد المسلم عن الوقوع فى المحرم، حتى أن الإسلام يعتبر عمليه الزواج من قبل المسلم احرازاً لنصف الدين - كما فى الحديث الشريف . كما أن الالتزام بأحكام الشريعه الخاصه فى حقول التعامل بين الزوجين ونحوها يعتبر أمراً مفروضاً على المؤمنين..

أقول: إلى جانب هذه الأمور التى ترافق عمليه الزواج، فان الميل

للجنس يبقى خلفه أساسيه من خلفيات حمل الفرد على تعاطيه.

وهكذا تظهر خلفيات أخرى غير الخلفيه العباديه فى مثل هذه

الأمر..

ومن هنا نرى أن أمر الزواج والنشاطات الاقتصادية فى مثلنا أمور توجد فى كل مجتمع فى الماضى والحاضر، قبل عصير التنزيل وبعده بالنظر لارتكازها على حاجات طبيعیه لدى الكائن الإنسانى، ومهمه شريعته الله تعالى تركز على اصفاء الصبغه الشرعيه عليها بعد تهذيبها وتحديد مسارها ووضع مخطط إسلامى لصوغها وفقاً لمتطلبات الفطره البشريه.

وبناء على هذا التحديد لطبيعته علاقه المسلم بالله تبارك وتعالى فسنتعرض علاقه الإمام على بن أبى طالب (عليه السّلام) بالله تعالى من خلال الفرائض والسنن الإسلاميه الإلهيه والنشاطات الاجتماعيه اليوميه.

شواهد من عبادته أمير المؤمنين (عليه السّلام)

إشارة

كحصيله للاعداد الرسالى الذى حظى به الإمام (عليه السّلام) من لدن استاذته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - الأمر الذى تناولناه فى مدخل هذه الرساله - فقد طبعت شخصيه الإمام (عليه السّلام) بشخصيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى جميع مقوماتها: عبادته وفكراً ومواقف:

يسلك سبيله، يقتنى سنته ويقفو أثره، ومن أجدر بتجسيد سنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كامله فى دنيا الواقع سوى على (عليه السّلام)؟ الذى صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصيته وشكل جميع عناصرها وطبعها بالطابع الإلهى منذ

ص: ١٤٤

نعومه أظفاره..

وإذ نعقد هذا الفصل للحديث عن عبادة الإمام (عليه السّلام) ووسائل تعلقه بالله سبحانه، فسنعرض شواهد منها، لنذكرك السمو الشاهق الذى بلغه الإمام (عليه السّلام) فى مضممار الانشداد إلى الله واستلهام سنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المطهره فى هذا المضممار:

صلاه وضاعه:

فلكثره تعاهد أمير المؤمنين (عليه السّلام) لأمر الصلاه والتضرع إلى الله سبحانه تعالى يشير عروه بن الزبير فى حديث له عن أبى الدرداء:

قال: «شهدت على بن ابى طالب بشويحطات(١) النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى

ممن يليه، واستتر بمغيلات (٢) النخل، فافتقدته، وبُعِدَ عنى مكانه، فقلت: الحقُ بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجى، وهو يقول: «إلهى كم من موبقه حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريره تكرمت عن كشفها بكرمك.

إلهى ان طال فى عصيانك عمرى، وعظم فى الصحف ذنبى، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك»..

فشغلنى الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو على بن أبى طالب (عليه السّلام) بعينه، فاستترت له وأخملت الحركه، فركع ركعات فى جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى

ص: ١٤٥

١- الشوحط: شجر يتخذ منه القسى.

٢- المغيلات: النخل الوارف الظلال.

به الله تعالى أن قال: «إلهي أفكر في عفوك، فتهون على خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم عليّ بليتي»..

ثم قال: «آه إن أنا قرأتُ في الصحف سيئه أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملا إذا أذن فيه بالنداء»..

ثم قال: «آه من نار تنضج الأكباد والكلبي، أو من نار نزاعه للشوى، آه من لهبات لظى».

قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حساً، ولا حركة.

فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاه الفجر، فأتيته،

فاذا هو كالخشبه الملقاه، فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزوي.

فقلت: انا لله وإنا إليه راجعون مات والله على بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقلت فاطمه (عليه السلام): يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟

فأخبرتها الخبر.

فقلت: «هي والله يا أبا الدرداء - الغشيه التي تأخذه من خشيه

الله».

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر إليّ وأنا أبكي فقال:

مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟

فقلت: ما اراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني، ودعى بي إلى الحساب، وايقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتنى ملائكه غلاظ وزبانيه فظاظ،

ص: ١٤٦

فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحياء ورفضني أهل الدنيا، لكنني أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية». . فقال أبو الدرداء: «فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١).

هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام (عليه السلام) بالله تعالى وشده انشداؤه إليه ورهبته منه.

وكان هذا ديدن علي (عليه السلام) كما يتجلى من قول الزهراء (عليها السلام) لأبي الدرداء: «هي والله الغشيه التي تأخذه من خشيه الله» . .

وهذه ميزته (عليه الصلاة والسلام) عند التوجه إلى الله تعالى في صلاته وضراعته، الأمر الذي الفه أهل البيت (عليهم السلام) في علي (عليه السلام) .

ومن أجل ذلك لم يفزعوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته - كما ظن

هو - بل استفسروا عما رأى، فأعلمته الصديقه (عليها السلام) أن ما رآه هو المألوف من علي (عليه السلام) كل آن حين تأخذه الغشيه الله تبارك وتعالى أثناء قيام الليل.

ولكثره قيامه للعباده ليلا يحدثنا عبد الأعلى عن نوف البكالي..

قال: «بئ لي له عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان يصلي الليل كله، ويخرج ساعه بعد ساعه، فينظر إلى السماء، ويتلو القرآن، فمرّ بي بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف أراقد أنت أم راقق؟

قلت: بل راقق أرمقك ببصرى يا أمير المؤمنين.

ص: ١٤٧

١- بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١١ - ١٢، نقلًا عن أمالي الصدوق، والأنوار العلويه للشيخ جعفر النقدي ط ٢ ص ١١٥، ومناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٨٩.

قال: يا نوبى للزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن دثاراً، والدعاء شعاراً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم..»(١).

وهكذا كان على (عليه السّلام) فى شدة تعلقه بالله، وعظيم تمسكه بمنهج الأنبياء (عليه السّلام). أنه ترجمه صادقاً لعباده رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وزهده ويقينه..

أرأيت كيف يندك وجوده على عتبه الخضوع لله والاستكانه له

وطلب رضوانه؟

وحول التزامه بقيام صلاه الليل طول عمره الشريف يروى لنا أبو يعلى فى المسند - عنه (عليه السّلام) قال: «ما تركتُ صلاه الليل منذ سمعت قول النبى صلى الله عليه وآله: صلاه الليل نور.. فقال ابن الكواء: ولا ليله الحرير!؟

قال(عليه السّلام): ولا ليله الهرير»(٢).

توجه ورهبه:

ولعظيم اقباله على الله تعالى يشير القشيري فى تفسيره:

أنه كان (عليه السّلام): إذا حضر وقت الصلاه تلوّن و تزلزل. فقليل له: مالك؟

ص: ١٤٨

١- نفس المصدر: ص ١٦ عن الخصال للصدوق، ونهج البلاغه باب الحكم، رقم ١٠٤، مع اختلاف يسير فى الألفاظ.

٢- البحار: ج ١، ص ١٧، ليله الهرير: من ليالى صفيين الحاسمه التى اشتبك الفريقان فيها طوال الليل دون هواده.

فيقول: جاء وقت أمانه عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان على ضعفه، فلا أدري أحسن إذا حملت أم لا (١).

ولع بالصلاه:

ولكثره صلاته ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) يصلي في اليوم والليله ألف ركعه، كما كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السلام) (٢).

وعن سليمان بن المغيرة عن أمه قال: سألت أم سعيد سريه علي (عليه السلام) عن صلاه علي (عليه السلام) في شهر رمضان. فقالت: رمضان وشوال سواء، يحيى الليل كله (٣).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن علياً في آخر عمره يصلي في كل يوم وليله ألف ركعه» (٤).

عباده الشاكرين:

ولقد عظم المعبود عز وجل في نفس الإمام (عليه السلام) فصارت عبادته تعبيراً عن الحب له والشوق إليه، واستشعار أهليته للعباده دون سواه،

ص: ١٤٩

١- نفس المصدر: ص ١٧.

٢- نفس المصدر: ص ١٥.

٣- نفس المصدر: ص ١٧.

٤- نفس المصدر: ص ٢٣، اشار إلى أنه (ع) مع تقدم سنه بقى ملتزماً بمنهجه في العباده والاكتثار من الصلاه.

ومن أجل ذلك كان على (عليه السّلام) يعبد الله خوفاً من عذابه، ولا طمعاً في جنته ولا فيا أعده من نعيم للمتقين، وانما سما الإمام (عليه السّلام) في علاقته بالله تعالى إلى أعلى الدرجات أسوه باستاذة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد كشف الإمام (عليه السّلام) عن جوهر علاقته بالله تعالى وطبيعتها بقوله:

إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك

أهلاً للعبادة فعبدتك»(١).

فأعظم به من يقين، وأكرم به من إيمان!!

ولقد حدد الإمام (عليه السّلام) ألوان العبادة في كلمه له خالده:

«إن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عباده التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عباده العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عباده الأحرار»(٢).

وكانت عبادته (عليه السّلام) أعلى نموذج لعباده الأحرار، حيث كانت تصدر كحصيله للشعور بأهليه المعبود للعبادة واستحقاقه لها.

أما إيقاف العبادة على حصول الثواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم الإمام (عليه السّلام) بالتجار، الذين يبتغون الثمن وينتظرون التعويض.. وشتان بين هدف الشاكرين، وهدف التجار في ميزان الله تعالى وحسابه.

ص: ١٥٠

١- بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤، و تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي: ص ١٤٤.

٢- المصدر المتقدم.

نسخه من صلاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

ولقد كانت صلاة علي (عليه السلام) - اسوه بسائر نشاطاته - كصلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كيفية الأداء والخشوع والانشداد والتعلق بالله تعالى، فعن مطرف بن عبدالله قال: «صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب.. فلما انصرفنا أخذ عمران بيدي فقال: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١).

تعاهدوا أمر الصلاة:

وإلى جانب تعاهد الإمام (عليه السلام) لأمر الصلاة فقد كان كثيراً ما يوصى أتباعه بتعاهد أمرها، وأدائها في أوقاتها وتعريفهم بأهميتها وأثرها في شخصيه المسلم: «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فانها « كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا »، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا «ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نُكُ من المصلين»..

وانها لتحت الذنوب حت (٢) الورق، وتطلقها اطلاق الربق (٣) وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة (٤)، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليله خمس مرات، فما عسى أن يبق

ص: ١٥١

-
- ١- أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٨٠، وفضائل الخمسه من الصحاح الستة: ج ١ نقلاً عن البخارى ومسلم والنسائى، وغيرهم.
 - ٢- حت الورق عن الشجر: قشره.
 - ٣- الربق: جبل فيه عده عرى كل واحده ربقه.
 - ٤- الحمة: عين ماء حار يستشفى فيها من المرض.

عليه من درن(١)؟

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينه متاع، ولا قره عين من ولد ولا مال.

يقول الله سبحانه:

«رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ...» (النور / ٣٧)

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نَصِباً بالصلاة بعد التبشير له

بالجنة لقول الله سبحانه «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا».

فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه»(٢).

المنهج العبادي في خطوطه الأساسية

إشارة

وإلى منهجه العبادي الملتزم أشار الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله:

«.. وما ورد عليه أمران قط كلاهما الله رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه»(٣).

وقد ورد عن الإمام على (عليه السلام) ذاته «..وانما هي نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر»(٤)

وفى حديث ضرار بن ضميره لمعاوية بن أبى سفيان حول شخصيه

ص: ١٥٢

١- الدرر: الوسخ.

٢- نهج البلاغه: تبويب صبحى الصالح: ص ١٩٩.

٣- مناقب آل أبى طالب، لابن شهر آشوب المازندراني.

٤- نهج البلاغه من كتاب إلى عثمان بن حنيف: رقم النص ٤٥ ص ٤١٦.

الإمام (عليه السلام) تجسيد لهذه الحقيقه، فما جاء فى حديثه «..كان والله صواماً بالنهار قواماً بالليل..».

توكل صادق و يقين راسخ:

وحيث أن التوكل على الله تعالى زاد المتقين، واليقين بالله شعار المؤمنين الصادقين يملأ قلوبهم بالثقه والاطمئنان والعزه والارتفاع على جميع عقبات الحياه.

فقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) قائداً لأهل اليقين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعسوباً للمتوكلين.

وهذه سيرته تتحفنا بالعديد من الشواهد فى هذا المضمار: فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: كان لعلى (عليه السلام) غلام اسمه قُنْبَرٌ، وكان يحب علياً حباً شديداً، فإذا خرج على خراج (عليه السلام) أثره بالسيف فرآه ذات ليله فقال له: يا قُنْبَرُ مالك؟

قال: جئت لأمشى خلفك، فان الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين

فخفتُ عليك.

قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسنى أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض.

قال (عليه السلام): أن أهل الأرض لا يستطيعون بى شيئاً إلا بإذن الله عز وجل فارجع. فرجع (١).

ص: ١٥٣

١- بحار الأنوار: ج ١ ص ١ نقلاً عن التوحيد للشيخ الصدوق.

وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «ان أمير المؤمنين جلس إلى حائط يقضى بين الناس.

فقال بعضهم: لا تتعد تحت هذا الحائط فانه معور، فقال أمير المؤمنين: حرس أمرؤ أجله. فلما قام أمير المؤمنين (عليه السلام) سقط الحائط.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) مما يفعل هذا واشباهه، وهذا اليقين» (١).

وعن سعيد بن قيس الحمداني قال: «نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسى فاذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟

فقال: نعم يا سعيد بن قيس، انه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقيه، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء» (٢).

هذا هو علي (عليه السلام) في قوه يقينه بالله، وشده توكله عليه سبحانه.

مصاديق من زهد الإمام (عليه السلام) :

ولقد كان الزهد معلماً بارزاً من معالم شخصيه الإمام (عليه السلام)، وسمه مميزه زينه الله تعالى بها، فعن عمار بن ياسر (رض) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي. «ان الله قد زينك بزينه لم يزين العباد بزينه أحب منها، هي زينه الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزا - تُصيب - من الدنيا ولا ترزا الدنيا منك شيئاً، ووهبك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم

ص: ١٥٤

١- نفس المصدر: ص ٦ نقلاً عن أصول الكافي.

٢- المصدر السابق ص ٦ عن اصول الكافي.

أتباعاً، ويرضون بك إماماً»(١).

وقد كان من شواهد تلك الصفه التي حباه الله تعالى بها:

أن زهد الإمام (عليه السّلام) بكل لذات الحياه، وزينتها، وتوجه بكل وجوده نحو الآخره، وعاش عيشه المساكين، وأهل المتربه من رعيته!

لقد زهد الإمام (عليه السّلام) بالدنيا وزخرفها زهداً تاماً وصادقاً: زهد في المال والسلطان، وكل ما يطمع به الطامعون.

ولقد عاش في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من الأمه، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بنفسه قبل خلافته وبعدها، حيث كانت تجبي الأموال إلى خزانة الدوله التي كان يضطلع بقيادتها من شرق الأرض وغربها. وغالباً ما كان يلبس أبسط أنواع الثياب، فكان ثمن قميصه ثلاثه دراهم.

وقد بقي ملتزماً بخطه في الزهد طوال حياته، فقد رفض أن يسكن القصير الذي كان معداً له في الكوفه حرصاً منه على التأسى بالمساكين (٢).

وهذه بعض المصاديق كما تروىها سيرته العطره:

فعن الإمام الصادق (عليه السّلام) يقول: «كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل الخبز والخل والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم»(٣).

وعن الباقر (عليه السّلام) قال: «ولقد ولي خمس سنين وما وضع آجره على

ص: ١٥٥

١- مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٤ ط ١ المطبعه العلميه قم.

٢- على وحقوق الإنسان، جورج جرداق: ص ٧٥ ط ١٩٧٠ بيروت.

٣- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٣٠ عن المحاسن.

آجره ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطعاً ولا أورث بيضاً ولا حمراً»(١).

وعن عمر بن عبدالعزيز قال: «ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبه على قصبه»(٢).

وعن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على معاوية، فقدم إلى من الحلو والحامض، ما كثر تعجبي منه، ثم قال: قدموا ذاك اللون، فقدموا لوناً ما أدري ما هو....!»

فقلت: ما هذا؟

فقال: مصارين البط محشوه بالمخ ودهن الفستق قد ذرَّ عليه

السكر!!

قال الأحنف: فبكيت. فقال معاوية: ما يبكيك؟

فقلت: لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك!

قال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلتُ عليه ليله عند افطاره.

فقال لي: قم فتعش مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه.

ص: ١٥٦

١- مناقب ابن شهر آشوب، ج ٥١، ص ٣٦.

٢- تذكرة الخواص: ص ١١٧.

فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا

الشعير.

فقال: لم أختمه بخلاً، ولكن خفتُ أن يبسهُ الحسن والحسين بسمناً وأهاله؟

فقلت: أحرام هو؟

قال: لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم فى الأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير، فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغنى فيزداد شكراً وتواضعاً^(١).

وعن سويد بن غفله قال: دخلت على على (عليه السلام) بالكوفة، وبين يديه رغيف من شعير، وقدح من لبن، والرغيف يابس، فشق على ذلك.

فقلت: لجاريه له يقال لها فضه: إلا ترحمين هذا الشيخ، وتنخلين له هذا الشعير؟

فقلت: .. انه عهد إلينا ألا ننخل له طعاماً قط..!

فالتفت الإمام الـ وقال: ما تقول لها يا ابن غفله؟ فأخبرته..

وقلت: يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك..

فقال لى: ويحك يا سويد؟ ما شبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهله من خبزٍ بُرٍ ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله، ولا نخل له طعام قط..^(٢).

ص: ١٥٧

١- نفس المصدر: ص ١١٨: يبسه: يضع عليه السمن، والاهاله الشحم أو ما أذيب منه ونحوهما من أدام.

٢- تذكره الخواص: ص ١٢٠.

وعن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس قال: رأى علي بن علي (عليه السلام) إزاراً مرقوعاً، فعوتب في ذلك.

فقال: يخشع له القلب ويقتدى به المؤمن (١).

وعن الغزالي يقول: «كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلا قميص واحد، وفي وقت الغسل لا يجد غيره» (٢).

هذا هو علي في شدة زهده ورغبته عن الدنيا وزخارفها، وفي عظيم اقتدائه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي مواساته لأهل المتربه من أمته (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهل حدثك التاريخ عن زعيم كعلي (عليه السلام)؟ تجبى إليه الأموال من الشرق والغرب، وعاصمته الكوفة - تقع في أخصب أرض الله وأكثرها غنى يومذاك، بيد أنه يعيش أبسط عيش، مواسياً لأقل الناس حظاً في العيش في هذه الحياه.. يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته.. ويكتفى بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل.. ويحرم على نفسه الأكل من بيت المال.. ويرقع مدرعته حتى يستحيى من راقعها (٣) مجسداً بذلك أرفع شعار للزاهدين «..فوالله ما كنت من دنياكم تبرا، ولا ادخرت من غنائها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبى طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتانٍ دبره، وهى فى عيني أو هى وأوهن من

ص: ١٥٨

١- نفس المصدر والامام علي بن أبي طالب - محمد رضا ص ١٢.

٢- مناقب ابن شهر آشوب: ج ١ ص ٣٦٦ عن الاحياء للغزالي.

٣- للاستزاده من شواهد زهد الإمام (ع) راجع بحار الأنوار: ج ٤٠، و تذكره الخواص لسبط ابن الجوزى، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني: ج ١ وغيرهم.

صدقہ الإمام (عليه السلام) :

ولا نريد أن نذهب بعيداً في طرح الشواهد على تعاهد الإمام على (عليه السلام) لأمر الصدقة، قبل أن نستقي من القرآن الكريم نماذج من صدقه الإمام (عليه السلام) عطرتها آيات الله تعالى بالثناء الجميل، ورسمت أبعاد الثواب الإلهي العظيم الذي لا يعلم مداه غير الله الذي أعده تبارك وتعالى لأمر المؤمنين (عليه السلام) :

ففي حادثه اطعام على (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثه أيام وايتارهم لهم على أنفسهم، واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متاليه.. تنزلت آيات الله تعالى مسجله أعظم مآثر على (عليه السلام) في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددتها الآفاق والألسنه وصفحات المجد ما شاء الله تعالى.

«وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا
عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا». (الإنسان: ٨-١٢)

ص: ١٥٩

١- كتابه إلى عثمان بن حنيف: رقم النص في نهج البلاغه ٤٥، باب الرسائل التبر، فتات الذهب والفضه قبل الصياغه. الوفه المال. الطمر: الثوب الخلق البالي. اتان دبره: التي عقر ظهرها فقل أكلها. مقره: أي مره.

وليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الإمام (عليه السلام) لأولئك المحتاجين، فان الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك.

ولكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصاً دون شائبه، وبين من ينفق من أجل غرض دنيوى أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس. كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه وهو أحوج ما يكون إليه وبين من ينفق بعض ما لديه..

وهكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا وذاك؟

وفى حادثه تصدق على (عليه السلام) بخاتمه على مسكين استبدت به الحاجه، فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته، فأشار إليه على (عليه السلام) وهو يصلى فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنحه خاتماً فى يده.

فنزّل القرآن الكريم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبيناً فضل ما أقدم عليه الإمام (عليه السلام) واستثمر القرآن المناسبه لارشاد الأمه إلى أن علياً (عليه السلام) إمامها ومرجعها الفكرى والعملى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ». (المائدة: ٥٥ - ٥٦)

وهذه الآيه الكريمه من أكثر النصوص دلالة على أن العمل الصالح

فى منظور الله تبارك وتعالى إنما هو بدوافعه لا بحجم منافعه.

فليس المهم أن تعطى كثيراً، ولكن الاساس فى الأمر نيه العطاء فالتقييم الربانى انما يدور مدار النيه حيث تدور، فكلما اقتربت من الله تعالى وابتغيت رضوانه كان ثوابك أعظم وأجل..

ص: ١٦٠

ومن المناسب أن نطرح اضافته إلى ذلك مصاديق من سيره

الإمام (عليه السلام) في هذا المضممار ما روته كتب التاريخ:

فعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين يضرب المر - المسحاه - ويستخرج الأرضين، وأنه اعتق ألف مملوك من كد يله»^(١).

وعن أيوب بن عطيه الحذاء قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «قسم نبى الله الفىء، فأصاب على أرضاً، فاحتفر فيها عيناً، فخرج ماء ينبع كهيئه عنق البعير، فسمهاها ينبع، فجاء البشير يبشر. فقال ٧: بشر الوارث هى صدقه بته بتلاء فى حجيج بيت الله، وعابرى سبيل الله لا- تباع، ولا- توهب ولا- تورث فمن باعها أو وهبها فعليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٢).

وعن أحمد بن حنبل فى الفضائل: «أنه كانت غله على أربعين ألف دينار فجعلها صدقه»^(٣).

والحديث عن حرص الإمام (عليه السلام) على تعاهد أمر الصدقه فى سبيل الله تعالى يذكرنا بالنفس السخيه التى يمتاز بها أمير المؤمنين (عليه السلام).

فكثره أدائه للصدقه وشده بذله لها وان كان يعكس صورته صادقه عن جود الإمام (عليه السلام) وسخائه، إلا أن سيرته العطره تكشف إلى جانب ذلك وجهاً آخر من شخصيه الإمام (عليه السلام).

ص: ١٦١

١- البحار: ج ٤١ ص ٧٧، عن الكافى: ج ٥.

٢- نفس المصدر: ص ٤٠، عن الكافى: ج ٧.

٣- المناقب: لابن شهر آشوب: ص ٣٤٦، والبحار: ج ٤١ ص ٤٣، عن كشف المحججه لابن طاووس.

فقد كان (عليه السّلام) أسخى من الغيث على الأُمّة التي عايشها، لا- أقصد بهذا جوده بنفسه من أجل حفظ الرساله ومسيره الإسلام التاريخيه، ذاك الذى يتجلى عبر البطولات التي أبداهها (عليه السّلام) فى حروب الإسلام كلها، فحديث كهذا.. يتطلب بمفرده سفيراً كاملاً(1) وانما نقصد ما يتعلق بالسّخاء بالمال.

فلقد اعترف بوجود الإمام (عليه السّلام) وسخائه أشد الناس عداوه له: معاويه بن أبى سفيان الذى ما برح ينسج الأكاذيب والافتراءات التشويه سمعه الإمام (عليه السّلام) غير أنه لم يستطع أن ينكر فضيله الجود عند على (عليه السّلام) فقد قال له يوماً محفن ابن ابى محفن الضبى: جئتك من عند أبخل الناس فقال ابن أبى سفيان: ويحك كيف تقول: إنه أبخل الناس؟ لو ملك بيتاً من تبر - ذهب - وبيتاً من تبر لأنفد تبره قبل تبره (2).

ويقول الشعبى يصف الإمام (عليه السّلام): كان أسخى الناس، كان على الخلق الذى يحبه الله: السّخاء والجود، ما قال لا لسائل قط (3).

الجهاد فى سبيل الله:

وحياه على أميرالمؤمنين (عليه السّلام) كلها جهاد فى سبيل الله تعالى فى مرحله الدعوه الألهيه، وبعد قيام الدوله الإسلاميه، وإذا كان قد وقى

ص: ١٦٢

١- مررنا مروراً عابراً على مواقف الإمام وبطولاته العسكريه فى القسم الأول فراجع وسنمر على شىء منها سريعاً فى الصفحات القادمه!

٢- شرح النهج: ج ١ ص ٢٢.

٣- شرح النهج: ج ١ ص ٢٢.

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه وفداه بوجوده وتعرض لأخطار تأمر جاهلي على حياه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ميته على فراشه فى ليله الهجره المباركه، من أجل أن يصرف عنه شر عتاه الجاهليه. فأن علياً قد تحولت حياته بعد الهجره إلى المدينه المنوره إلى حلقات متسلسله من ذلك النوع الجهادى العظيم، فقد كان حامل لواء الزحف الإسلامى فى كل غمرات أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطليعه المجاهدين فى ساحات الجهاد، وكلها حزبت الأمور وحمى الوطيس انتدبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكشف زحف العدو عن حياض المسلمين..

وكانت كل مواقفه الجهاديه من النوع المصيرى الذى يحمى رساله ويكشف عنها خطر التصفيه المحقق والاجهاز الخطير على وجودها، تجلى ذلك فى معركة بدر حين صفى الكثير من رؤوس الوثنيين وملاً بها ساحه المعركه.

وفى «أحد» حين أطبق جيش الضلال على معسكر الإيمان وكانت الغلبه للعدو فى الجوله النهائيه، نهض الإمام (عليه السلام) بدور عرقله تقدمهم حيث بادر إلى تصفيه حملة الألويه من بنى عبدالدار واحداً تلو الآخر.

وفى غزوه الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر وبلغ الضيق والهلع بالمسلمين كل مبلغ نهض الإمام (عليه السلام) بالأمر وأرهب العدو وأعاد للمسلمين الثقه بالنفس حين قتل أبرز قوادهم عمرو بن عبدود العامرى.

حيث كان قتل العامرى حداً فاصلاً بين المعسكرين إذ تلاه انهزام

جيش الأحزاب مع ما امتاز به من ضخامه فى العدد والعدده.

وعلى (عليه السّلام) هو الذى اقتحم حصون خيبر ودخل عليهم عنوه، ففتح الله على يديه حصون اليهود الرهيبة.

وكم أسطر لك من بطولات على (عليه السّلام) وصفحات جهاده المشرقة التى تشع بالمجد والعزه والاخلاص (١).

فدونك تاريخ الإسلام فى عصره الأول: فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنعم النظر فى صفحاته كى تحدثك بفضل على (عليه السّلام) على الإسلام رساله وأمه، وتاريخاً.

على أن الجانب العبادى فى جهاد على (عليه السّلام) ليس فى حجم البطولات وعدد المعارك التى خاض غمارها. فحسب، وانما فى صدق النيه وحجم الاخلاص الذى امتلأ به قلب على (عليه السّلام) وهو يخوض تلك الحروب ببساله فائقه وشجاعه نادره وصمود لا يرد.

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم يثنى على تلك الروح التى كان

يحملها أمير المؤمنين عبر كفاحه من أجل اعلاء كلمه الله فى الأرض.

فها هو القرآن الكريم يثنى على على (عليه السّلام) يوم فدى بنفسه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (البقره: ٢٠٧)

ويكشف بعمق عن صدق نيه الإمام (عليه السّلام) (٢).

وها هو كتاب الله العزيز يقطع بأن جهاد على (عليه السّلام) وبطولاته

ص: ١٦٤

١- راجع أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين المجلد الثالث المخصص لسيره أمير المؤمنين (ع) ، وكتاب الارشاد للشيخ المفيد، فصل على بن أبى طالب (ع) وغيرها من مصادر.

٢- راجع تفسير الآيه فى الكشاف للزمخشري والواحدى فى أسباب النزول وابن الأثير فى أسد الغابه. بشرى: يبيع.

وتضحياته كانت من أجل الله واعلاء كلمته في دنيا الناس، ولا يمكن أن تقرن بأى لون من ألوان العمل الآخر. فبسبب الثمن الباهظ الذى يتطلبه الجهاد، وبسبب الدافع الإيماني المخلص الذى لا تشوبه شائبه راحت آيات الله تعالى تحدد الموقع الرفيع الذى يحتله على (عليه السلام) فى دنيا المتقين.

«أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَيسْتَوْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ». (التوبه: ١٠٩)

فعلى أثر حوار تفاخرى بين طلحه بن شيبه والعباس بن عبدالمطلب، قال فيه طلحه: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي.

فقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقايه والقائم عليها!

وفيما كانا يتفاخران مرَّ الإمام (عليه السلام) فافتخر عليها بقوله: «لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد»، فنزل قول الله تعالى فى ذلك كاشفاً عن المستوى العظيم الذى يتبوأه على (عليه السلام) بسبب ما ينهض به من عمل متميز: نوعاً، وحجماً واخلاًصاً(١)، بعداً وجوهرًا.

ص: ١٦٥

١- لمعرفة هذه الحقيقة راجع تفسير الطبرى عن أنس: ج ١٠ ص ٥٩، وأسباب النزول للواحدى: ص ١٨٢، والقرطبي فى تفسيره: ج ٨ ص ٩١، والرازى فى تفسيره والنسفى والسيوطى وسواهم، نقلاً عن فضائل الخمسه: ج ١ ص ٢٧٩.

اشاره

* اشاعه العدل الاجتماعى بين الناس

* تواضع الإمام

* حلم الإمام

* التورع عن البغى

* شواهد من صبر الإمام

ص: ١٦٧

بمقدور المتتبع أن يتخذ من وصف ضرار بن ضميره لأمير المؤمنين (عليه السلام) منطلقاً للدخول إلى عالمه الرحيب.

فقد دخل ضرار على معاوية أيام استكان الناس وأسلموا المعاوية القيادة . فألح على الرجل أن يصف له علياً (عليه السلام) فتردد ضرار كثيراً، فلما مضى معاوية في اصراره قال ضرار:

أما إذا كان لا بدّ: «فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمه من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير الدمعه، كثير الفكره، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وبيتدثنا إذا أتينا، ويأتينا إذا

دعونا.

ونحن والله مع قربه منا، ودنوّه إلينا لا نكلمه هيبه له، ولا نبتديه

العظمه، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

ص: ١٦٩

يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوى في باطله، ولا يياس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيتَه في بعض مواقفه ليله، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تمللم السليم(١)، ويبكى بكاء الحزين، وكأنى اسمعه وهو يقول:

«يا دنيا غرى غرى أبى تعرضت أم إلىّ تشوّفت، هيهات، هيهات!! قد أبنتك ثلاثاً لا رجعه لى فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطر ك كبير. آه من قله الزاد وبعد السفر ووحشه الطريق»(٢).

وهذا الوصف للإمام (عليه السّلام) على وجاهته يكشف بعمق عن الاطار العام لشخصيه الإمام (عليه السّلام) فى شتى ملامحها: فى الحقل الروحى والاجتماعى، فى علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وكيفيه تعامله مع الناس من حوله.

وحيث قد عقدنا هذا الفصل للحديث عن الأخلاق الاجتماعيه التى التزم بها (عليه السّلام) فى حياته العمليه، فان حديث ضرار يضع فى أيدينا رأس الخيط الذى يوصلنا إلى طبيعه العلاقات الاجتماعيه التى سلكها أمير المؤمنين فى حياته «كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا، ونحن والله مع قربه منا ودنوه إلينا لا نكلمه هيبه له، ولا نبتديه لعظمته.. يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع

ص: ١٧٠

١- السليم: الذى لدغته الأفعى، فيعانى من ألم لدغتها.

٢- تذكره الخواص: ص ١٢٧-١٢٨، والإمام على بن أبى طالب - محمد رضا: ص ١٢. تشوفت: تزينت.

القوى فى باطله، ولا يئاس الضعيف من عدله..».

ويبدو أن هذا اللون من علاقه أمير المؤمنين مع قومه انما كان فى أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصوراً ناضجاً عن عظمه أمير المؤمنين (عليه السّلام) وبلوغه القمه فى مدارج الكمال والفضيله، فمع أن الإمام (عليه السّلام) كان يحتل موقع القيادة فى دنيا الناس، ويده أزمّه حياتهم الفكرية والاجتماعية، نراه كواحد من عامه الناس، وكأنّ موقعه ليس فى أعلى مركز قيادى فهو يلغى الحواجز والألقاب، ويعامل الأممه كما لو كان واحداً من عامتها بقلبٍ حارٍ، ونفسٍ متواضعه، وحب صادق عميق... وهى روح لم يألّفها التاريخ الإنسانى منذ الآماد الموغله فى القدم حتى اليوم فى قياده غير قياده رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ووصيه على (عليه السّلام) .

وقد وفق الإمام (عليه السّلام) توفيق عظيماً فى قياده الواعين لأهميه قيادته وضرورتها فى دنيا المسلمين على الأقل.

فقد كانت قيادته مبنية على الحب والاجلال معاً وبقدر ما كان يبذل من دفء وده للأممه، كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم..

الأمر الذى يذكرنا بسياسه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويطرحها واقعاً حياً فى دنيا الناس (1)، فالتجربه واحده فى هذا المضمار وسواه، وان تغير الموقع التاريخى.. ورحم الله صعصعه ابن صوحان حيث يقول فى وصفه للإمام (عليه السّلام) «كان فينا كأحدنا لينُ جانب، وشدهُ تواضع، وسهوله قياد، وكنا

ص: ١٧١

١- راجع الفصل الثالث من سيره المصطفى (ص) للمؤلف

نهاية، مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه»(١)، وتتجلى عظمة الإمام (عليه السلام) في أخلاقه الاجتماعية من خلال المبادئ الآتية:

أولاً - اشاعه العدل الاجتماعي بين الناس:

إشاره

جاءت الخلافة للإمام (عليه السلام) في ظروف بالغه الخطوره والتعقيد، فذوو النفوذ من الناس قد ألقوا الاستثثار واستراحوا إليه، وليس يسيراً أبداً أن يدعوا لأيه محاوله اصلاحيه تضر بمصالحهم الذاتيه.

ثم أن المطامع قد تنبعت لدى الكثير من الرجال، بعد أن أصبحت الخلافة - منذ رحيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - مغنماً لا مسؤوليه لحمايه الشريعه والأمه، ولقد كان الإمام (عليه السلام) مدركاً لحقيقه الموقف بدقائقه وخفائيه بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعت الأمه على بيعته بعد مقتل الخليفه عثمان قائلاً: «دعوني والتمسوا غيرى فانا مستبقلون أمراً له وجوه وألوان، لا- تقوم له القلوب، ولا- تثبت عليه العقول، وان الآفاق قد أغامت والمحجه تنكرت»(٢) ولكن جماهير المدينه المنوره، وجماهير الثوار من العراق ومصر أصروا على استخلافه عليهم، فنزل الإمام عند رغبتهم، ولكن وفقاً لشروطه الخاصه هو «واعلموا أنى أن أجبكم ركبتم بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعبت العاتب»(٣).

ص: ١٧٢

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١ ص ٢٥.

٢- نهج البلاغه: ص ١٣٦، تبويب صبحى الصالح. المحجه: الطريق. تنكرت: تغيرت علائقها وأصبحت مجهوله.

٣- نفس المصدر السابق.

ولقد كانت أولى مهام الإمام (عليه السّلام) أن يجسد العدالة الاجتماعيه فى دنيا الناس ويمنح المنهج الإسلامى فرصه فى البناء والتغيير على شتى الأصعدة، فدشن (عليه السّلام) خطته الاصلاحيه، بالغاء السياسه المالىه والاجتماعيه والادرايه التى كانمعمولا بها فى عهد من سبقوه فى الخلافه ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الإسلامى فى العدالة الاجتماعيه:

أ- دعا إلى استرجاع الأموال التى تصرف بها بنو أميه من بيت

المال.

ب - واستغنى عن كثير من الولاه الذين أسأؤوا التصرف، وخالفوا

أمر الله تعالى، وتخطوا منهجه الأقوم الذى ارتضاه لعباده..

ج - ثم بادر إلى تبنى سياسه المساواه فى توزيع المال والحقوق، منهيًا بذلك دور الطبقيه والتمييز والأثره:

«المال مال الله، يقسم بينكم بالسويه لا فضل فيه لأحد على أحد»(١).

«ألا لا يقول رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققه، إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون، حرمانا ابن أبى طالب حقوقنا!»(٢).

وتبنى الإمام سياسه العدل الشامل:

- فى معامله افراد الأمه.

ص: ١٧٣

١- نفس المصدر السابق.

٢- نفس المصدر السابق.

- وفي منهج الحقوق.

- وفي توزيع المسؤوليات.

وكان منهج الإمام (عليه السّلام) في العدل لا يناظره إلّا منهج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ان لم نقل إنه منهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالذات.

فهلّم نصغ إلى منهجه المتبنى في سياسته الأيمه بالعدل من خلال حديثه (عليه السّلام) التالي: «.. والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجرّ في الأغلال مصفداً، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام.. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نمله اسلبها جلب شعيره ما فعلت، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقه في فم جراده تقضمها، ما لعلى، ونعيم يفنى ولذه لا- تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»^(١).

«الدليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له»^(٢).

«وأيم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزائمه حتى أوردته منهل الحق وان كان كارها...»^(٣).

ولم تكن هذه المبادئ التي يتحدث عنها الإمام (عليه السّلام) ذاته، أمنياتٍ وأفكاراً طرحها في دنيا المبادئ والأفكار، وانما جسدها واقعاً حياً قبل أن يطرحها فكراً..

ص: ١٧٤

١- نهج البلاغه، تبويب د. صبحي الصلاح: رقم النص ٢٢٤. حسك: شوكت. والسعدان: نبت شائك ترعاه الأبل.

٢- روائع من نهج البلاغه: ص ١٢٣.

٣- نهج البلاغه: رقم النص ١٣٦.

وهى خصيصه من خصائص على (عليه السلام) فالقول عنده يعقب العمل أو يجرى من طبيعته.

ومن أجل ذلك ملأ الإمام (عليه السلام) دنيا المسلمين قسطاً وعدلاً وحقق انقلاباً في واقع المسلمين على الصعيد الاجتماعي والاقتصادى والسياسى وفقاً لمقتضيات العدل الإلهى فأعاد بذلك أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى صفائها واشراقها وعدلها الشامل..

فحسبك أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يرتدى القميص المرفوع (١) ويبلغ فى رقع مدرعته كلما تمزق جانب منها حتى يبلغ الأمر بالإمام (عليه السلام) أن يستحى من راقعها (٢).

وكان يخرج إلى السوق لبيع سيفه كى يشتري بثمنه إزاراً (٣) وهو هو فى علو شأنه وعظمه مركزه الذى يحتل فى دنيا المسلمين حيث تجبى إليه الأموال من أقاليم الدوله الإسلاميه جميعها، وثروات الدوله تحت تصرفه..

وكان يأكل خبز الشعير بنخالته وكان غالب أدامه اللبن أو الملح

والماء..

ولم يكن للإمام (عليه السلام) غير قميص واحد لا يجد غيره عند غسله (٤).

ومع شدة زهد الإمام (عليه السلام) فى الدنيا، فقد كان حريصاً على توفير

ص: ١٧٥

١- تذكرة الخواص: ص ١٢٥.

٢- تذكرة الخواص: ص ١٢٥.

٣- شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠.

٤- المناقب للمازندراني: ج ٢ ص ٩٧، عن احياء العلوم للغزالي.

الرفاه الاقتصادى للأمة التى اضطلع بقيادتها، فكان يقسم الذهب والفضهين الناس، ويطعمهم اللحم والخبز(١) ويعمل كل ما فى وسعه

الرفع غائله الفقر عنهم..

- وكان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام (عليه السلام) إلى توزيعها على الناس، لاعطاء كل ذى حق حقه.
- وكان منهاجه فى توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة..

فها هو يخاطب الزبير وطلحه حينما كبر عليها منهاج المساواه فى العطاء «..فوالله ما أنا وأجيرى هذا إلا بمنزله واحد» (٢).

وها هو سهل بن حنيف يخاطبه: يا أمير المؤمنين قد أعتقتُ هذا

الغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف (٣).

ويأتيه عاصم بن ميثم - وكان الإمام (عليه السلام) يقسم أموالاً - فقال:

- يا امير المؤمنين انى شيخ مثقل.

فقال الإمام (عليه السلام):

والله ما هى بكّد يدي ولا بترائي عن والدي، ولكنها أمانه

أوعيتها(٤).

وجاءه عبدالله بن زمعه - وهو من شيعته - يطلب منه مالاً.

فقال له الإمام (عليه السلام) :

ص: ١٧٦

-
- ١- من حديث للإمام الصادق (ع) البحار: ج ٤٠، ص ٣٣٠.
 - ٢- مناقب ابن شهر آشوب: ج ١ ص ٣٧٨.
 - ٣- مناقب ابن شهر آشوب: ج ١ ص ٣٧٨.
 - ٤- نفس المصدر: ص ٣٧٧.

- ان هذا المال ليس لى ولا لك، وانما هو فىء للمسلمين وجلب آسيافهم، فإن شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجنه أيديهم لا تكون لغير أفواههم(١).

ويدخل عليه عمرو بن العاص ليله وهو فى بيت المال يتولى بعض شئون المسلمين، فأطفأ الإمام (عليه السلام) السراج وجلس فى ضوء القمر(٢) فالسراج ملك الأمه، فلا يصح أن يستضىء به ابن العاص، وهو فى زياره خاصه للإمام (عليه السلام)!

حرصٌ فريداً على أموال الأمه، وسهر دائم على مصلحتها وعمل

دائب من أجل اسعادها وهدايتها واصلاح شأنها.

على أن تعاهد أمر الأمه من لدن على (عليه السلام) ليس محصوراً فى اطار المال وتوزيعه وانما يمتد لى يشعر الإنسان بكرامته ويعيد وعيه بحقه فى الحياه الحره الكريمه، ويعلمه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الاراده:

- «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»

- «أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامه المسلمين البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيظلمهم بجهله ولا الجافى فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشى فى الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع،

ص: ١٧٧

١- البحار: ج ٤١، ص ١١٥، ونهج البلاغه رقم النص ٢٣٢.

٢- المناقب، ص ٣٧٧.

ولا المعطل للسنه فيهلك الأمه»(١).

- «فلا- تكلموني بما تكلم به الجبابره، ولا- تتحفظوا مني بما يُتَحَفَظُ به عند أهل البادره، ولا تخالطوني بالمصانعه، ولا تظنوا بي استتقلاً في حق قيل لي، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بها أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقاله بحق أو مشوره بعدل»(٢).

وتمتد ظلال العداله في عهد أمير المؤمنين (عليه السّلام) فيرعى أسواقهم من ناحيه المكايل والمعروض من السلع وطبيعه المعاملات فيها، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال، ويهدى المقصر إلى طريق الحق، ويأمر بكل معروف، وينهى عن المنكر(٣).

ولشده حرص الإمام (عليه السّلام) على تطبيق العداله الإسلاميه بأروع صورها في دنيا الناس، وعلى شتى الأصعدة أنه وجد درعه عند رجل نصراني، فوقف معه أمام القاضي ليقاضيه في الأمر.

فقال الإمام(عليه السّلام): انها درعي، ولم أبغ، ولم أهدت، فسأل القاضي الرجل النصراني: ما تقول فيها يقول أمير المؤمنين؟

قال الرجل: ما الدرع إلا- درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت القاضي للإمام (عليه السّلام) طالباً بينه تشهد أن له الدرع.

فضحك الإمام (عليه السّلام) معلناً أنه لا يملك بينه من ذلك النوع. ففضى القاضي بأن الدرع للنصراني، فأخذها ومضى، والإمام ينظر إليه.

ص: ١٧٨

١- نهج البلاغه، رقم النص: ١٣١.

٢- نهج البلاغه، رقم النص: ٢١٦.

٣- راجع البحار: ج ٤١، ص ٤، للاطلاع على منهجه في مراقبه حاله السوق.

إلا أن الرجل عاد وهو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء،

أمير المؤمنين يدينى إلى قاض يقضى عليه..

- الدرع - والله - درعك يا أمير المؤمنين، وقد كنت كاذباً فيما

ادعيت (١).

وحصيله الأمر أن يعلن الرجل اسلامه ويخلص فى الوقوف تحت

رايه الإمام (عليه السلام) مؤمناً مجاهداً ذائداً عن رساله الهدى..

وبقدر ما كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على تجسيد روح العدالة التى صدع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاجراج الإنسان من ظلام الظلم والقهر والكبت، كان حريصاً كذلك على الزام ولائه وقضاته وقاده جيوشه، وجباه الأموال بالتزام العدل فى معاملته الناس، وتحرى الحق فى الحكم والقضاء واعطاء الحقوق، وفى جمع المال وحتى فى حالات الحرب وسواها..

وصاياہ للولاه:

وهذه بعض وصاياہ فى هذا المضممار:

«سع الناس بوجهك ومجلسك و حكمك، وإياك والغضب فانه طيره منالشیطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار» (٢).

«أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصه أهلك، ومن لك

ص: ١٧٩

١- على وحقوق الإنسان، جورج جرداق: ط بيروت ١٩٧٠ ص ٧٨.

٢- وصيته لعبدالله بن عباس حين ولاه البصره: رقم النص ٧٦. نهج البلاغه.

فيه هوى من رعيتك، فانك الآ تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»(١).

ومن توجيهاته (عليه السلام) لجباه الأموال:

«.. انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فاذا قدمت على الحى، فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمض - السكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدع بالتحية لهم.

ثم تقول:

عباد الله، أرسلنى إليكم ولى الله، وخليفته لآخذ منكم حق الله فى أموالكم، فهل الله فى أموالكم من حق، فتؤدوه إلى ولىه»(٢).

«إياك أن تضرب مسلميه أو يهودياً أو نصرانياً فى درهم خراج، أو تبيع دابه عمل فى درهم، فانما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»(٣).

ومن تعليماته لجيوشه:

ولقد كان (عليه السلام) يوصى جنوده فى حالات الحرب بألا يبدأوا بقتال

ص: ١٨٠

١- نفس المصدر، عهد الإمام (ع) لمالك الأشر حين ولاد مصر. طيره: خفه وطيش.

٢- نهج البلاغه، رقم النص: ٢٥. لا تخدع بالتحية: لا تبخل بها عليهم.

٣- من وصيته لصاحب الخراج على القادسيه وسواد الكوفه، انظر بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٢٨، نقلاً عن الكافى. العفو: الفاضل عن النفقه.

العدو، حتى يبدأهم بالحرب، ولا يقتلوا من ولى دبره عن قتالهم، ولا يقتلوا الجريح ومن عجز عن حمايه نفسه اثناء الحرب، ولا يؤذوا النساء بشيء حتى وان بدأن بسب أو شتم(١).

ونحو ذلك من وصاياہ(عليه السلام) .

أرأيت عدہ رفیعاً كهذا العدل؟

بل هل حدثك التاريخ الإنساني عن رجل يحب الخير حتى

لخصومه الذين ناصبوه العداة؟

انه على (عليه السلام) صاحب القلب الكبير، الذى شمل الناس بحب غامر، فبسط لهم العدل فى حياتهم، وأشعرهم بحقيقته الكرامه الإنسانيه ووفر لهم غطاء من الأمن والاستقرار فى جو الشعور بالمساواه والحياه الحره الكريمه.

ثانياً – تواضع الإمام:

خلق التواضع فى معامله الناس، يقدر ما يكون عبادہ إسلاميه يندب الشرع الإلهى إليها، كذلك يعبر عن احدى صيغ التعامل الفاضل بين أبناء الأمه، فهو من وسائل توحيد الكلمه وجمع الشمل، واشاعه الموده والغاء التفاوت الطبقي.

ولقد كان الإمام على (عليه السلام) مثلاً أعلى فى تواضعه كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل.

ص: ١٨١

١- راجع نهج البلاغه: رقم النص ١٤ وغيره.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «كان أمير المؤمنين يحطب ويستسق ويكنس، وكانت فاطمه تطحن وتعجن وتخبز»^(١).

وكان الإمام (عليه السلام) يشتري حاجته وحاجه أسرته الكريمة من السوق بنفسه، ويحملها بيده، وهو أمير المؤمنين، وزعيم المسلمين ويحظى باحتلال أرفع مركز في حياه المسلمين، ولقد كان الناس يسرعون إليه لحمل أشياءه حين يرون ذلك منه، ولكنه يأبى عليهم ويقول: رب العيال أحق بحمله^(٢).

وكان (عليه السلام) يسير فى الاسواق وحده، لا يصحبه حشم ولا خدم، ولا جند، فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبقالين والتجار ويأمرهم بالتواضع وحسن المعامله ويتلو عليهم قوله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^(٣).

ومن عظيم تواضعه (عليه السلام) أنه خرج يوماً على أصحابه وهو راكب فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال:

- ألكم حاجه؟ قالوا: -

لا يا أمير المؤمنين، ولكننا نحب أن نمشى معك.

ص: ١٨٢

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٧٢.

٢- نفس المصدر نقلاً عن فضائل ابن حنبل.

٣- المناقب، ص ٣٧٢، وبحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٤.

فقال لهم:

- «انصرفوا فان مشىَ الماشى مع الراكب مفسده للراكب ومذله للاشى»(١).

وقد استقبله زعماء الأنبار وترجلوا وأسندوا بين يديه فقال(عليه السلام) : - ما هذا الذى صنعتموه؟ قالوا:

- خلق منا نعظم به امراءنا.

فقال(عليه السلام) :

- «والله ما ينتفع بهذا امراؤكم، وانكم لتشقون به على أنفسكم، وتشقونَ به فى آخرتكم، وما أخسر المشقه وراءها العقاب، وما أريح الراحه معها الأمان من النار»(٢).

ومن تواضعه الجم أكله خبز الشعير واللبن، ولبسه أبسط أنواع اللباس، وترقيعه لثوبه البالين وبساطته فى مسكنه (٣) ووقوفه بين يدى القاضى مع رجل من عامه الشعب الذى يضطلع الإمام (عليه السلام) بقيادته (٤).

ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء (٥) من قومه، ومشيه مع المرأه القضاء شأن من شؤونها حتى وان جلب له الأمر مشقه، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

ص: ١٨٣

١- البحار: ج ٤١، ص ٥٥، عن المحاسن والكافى عن الصادق (ع) .

٢- المناقب، ص ٣٧٢ والبحار: ج ٤١ ص ٥٥.

٣- للتفاصيل راجع الفصل الثانى من هذه الدرسة وبعضاً من صفحات هذا الفصل: كزهد الإمام (ع) وقرار العدل.

٤- بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٦، وعلى وحقوق الإنسان، جرداق: ص ٨٧.

٥- الكافى: ج ٥ باب التسليم على النساء حديث رقم ٣.

«رجع الإمام (عليه السلام) إلى داره في وقت القيظ، فاذا امرأه قائمه تقول:

- ان زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدى عليّ..

فقال الإمام (عليه السلام):

- يا أمه الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك ان شاء الله،

فقالت:

- يشتد غضبه عليّ.

فطأ الإمام (عليه السلام) رأسه ثم رفعه وهو يقول:

- لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع! أين منزلك؟

ووقف الإمام (عليه السلام) على باب المنزل فقال:

- السلام عليكم، فخرج شاب.

فقال له الإمام (عليه السلام):

- يا عبدالله اتق الله، فانك قد أخفتها وأخرجتها!

فقال الفتى:

-وما أنت وذاك؟ فقال أمير المؤمنين:

- آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر

المعروف؟

فأقبل الناس يلقون التحية على الإمام (عليه السلام):

- سلام عليكم يا أمير المؤمنين.

فأسف الشاب على ما كان منه وهو يقول:

- يا أمير المؤمنين أقلني عشرتي، فوالله لأكون لها أرضاً تطؤوني.

فالتفت الإمام إلى المرأه قائلاً

- يا أمه الله ادخلى منزلك ولا تلجئى زوجك إلى مثل هذا

وشبهه»(١).

وكان الإمام (عليه السّلام) قريباً سهلاً هيناً يلقى أبعد الناس وأقربهم بلا تصنع ولا تكلف، ولم يحط نفسه بالألقاب ولا زخرفه الملك، بل كان يتعامل مع الأمه كفرد منها، يعيش مشاكل الضعفاء، ويحب المساكين، ويتودد للفقراء، ويعظم أهل التقوى من الناس.

ولقد كان من شواهد رفقته بالأمه وتواضعه فى المعامله وسهولته، ومرونته: مقابلته لمن يلقاه بالبشر وطلاقه المحيا والابتسامه الحلوه وبشر الوجه، الغاءً منه للحواجز والرسميات بين القيادة والأمه، وانهاء الدور الزخرفه والألقاب التى يحيط بها الأمراء والقاده أنفسهم عبر تعاملهم مع الناس.

ولاشتهاره بتلك الروح الاجتماعيه السّمحه مع عامه الناس حاول أعداؤه أن يشوهوا تلك الصوره المشرقه للإمام (عليه السّلام) ويحولوها إلى عيب يبرزونه فيه امعاناً منهم فى تشويه واقع سياسته وجميل صفاته الشخصيه والاجتماعيه.

فعمرو بن العاص يحدث أهل الشام عن على (عليه السّلام) فيقول: أنه ذو دعابه شديده(٢) محاولاً الانتقاص من شأن الإمام (عليه السّلام) والامعان فى تغطيه فضائله، والعمل على كل ما من شأنه تضليل الناس هناك لكى

ص: ١٨٥

١- مناقب آل أبى طالب: ج ١ ص ٣٧٤.

٢- شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد: ج ١ ص ٢٥.

يحال بينهم وبين التطلع لواقع الإمام (عليه السلام) وحقيقته.

حتى أن الإمام (عليه السلام) حين بلغه افتراء ابن العاص قال: «عجباً لابن النابغه يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابه واني امرؤ تلعبه»^(١).

ولقد كان معاوية بن أبي سفيان يثبغ ما يشيعه ابن العاص كذلك في مناسبه وأخرى.

وما يضير أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا عابه معاوية وابن العاص، فلقد كان (عليه السلام) يقتفى أثر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ساحه أخلاقه وطلاقه محياه سواء.

وكان (عليه السلام) يعمل على الالتصاق بالناس للتعرف على ما يعانون حتى انه كان يمشى في الأسواق ويتابع الحركة التجاريه من ناحيه الوزن والأسعار ونوعيه المعروض من السلع - كما المحنا إليه قبل قليل -

وكان الإمام (عليه السلام) حريصاً على متابعه تصرفات الولاه في البلدان، والقاده وجباه الأموال، ويأمرهم بالرفق والتواضع في معامله الناس.

وما أروع روح التواضع عند على (عليه السلام) كما يصفها ضرار ابن ضميره في حديثه لمعاوية الذي افتتحنا به هذا الفصل - «يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب... كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وبيتدثنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا.. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين»^(٢).

ص: ١٨٦

١- شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد، ج ١ ص ٢٥. تلعبه: كثير المرح واللعب.

٢- المناقب: ج ١ ص ٣٨١.

إشارة

ولقد كان الإمام (عليه السلام) قمة في حلمه وعفوه عمن يسيء الأدب معه، فهو لا يعرف الغضب إلا حين تنتهك للحق حرمة أو تتعدى حدود الله تعالى، أو يُعتدى على حقوق الأمة أو تضر مصلحتها.

وخلق الإمام (عليه السلام) في الحلم والصفح عن المسيء ظل هو هو لم يتغير، فعلى (عليه السلام) في صفحه وحلمه قبل خلافته، كعلى في صفحه وعفوه أيام قيادته المباشرة للأمة، على أن عظمه الإمام (عليه السلام) تزداد قوه وجلاء حين يظل يصفح ويمعن في عفوه حتى عن أشد خصومه في وقت يمتلك القدره على العقاب والقصاص والقتل.

فهو في أيام خلافته في مركز يؤهله أن يقتصر من خصومه، فهو رئيس الدولة، والمطاع الأول بين أتباعه غير أنه مع هذا وذاك ظل يحمل نفس الروح من العفو والتجاوز كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء بسواء

وهذه نماذج من عفوه (عليه السلام) :

- أسر مالك الأشتر (رض) مروان بن الحكم يوم الجمل فلما مثل مروان بين يدي الإمام (عليه السلام) لم يستقبله بسوء قط، وإنما عاتبه على موقفه الخياني اللئيم فحسب (1) ثم أطلق سراحه.

ومروان هو، هو في حقه على الإسلام والإمام (عليه السلام)، وهو هو في دسائسه ومكره، ودوره الخبيث في تأجيج الفتن في وجه الإمام (عليه السلام)

ص: ١٨٧

أشهر من أن نذكره، فهو الذى عارض البيعه للإمام (عليه السّلام) وهرب من المدينه المنوره بعد البيعه مباشره، وهو الذى ساهم فى فتنه البصره، والهب حماسه الناكثين وأغراهم بالتعجيل بها.. إلى غير ذلك من مواقفه الخسيسه.

- ولقد عفا الإمام (عليه السّلام) كذلك عن عبدالله بن الزبير(1) بعد اسره يوم الجمل، وعبدالله بن الزبير هو الذى كان يقود الفتنه فى حرب الجمل.

- وجىء بموسى بن طلحه بن عبيد الله، وكان طرفاً فى فتنه الجمل فلما وقف بين يدي الإمام (عليه السّلام) خلى سبيله، ولم يعنفه عن دوره فى الفتنه، وانما طلب منه أن يستغفر الله ويتوب إليه ثم قال:

« اذهب حيث شئت، وما وجدت لك فى عسكرنا من سلاح أو

كراع فخذة، واتق الله فيها تستقبله من أمرك وأجلس

فى بيتك»(2).

ومن عظيم عفوه ما رواه الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: «كان على (عليه السّلام) إذا أخذ أسيراً فى حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه»(3) ثم يشمله بعفوه!

أرأيت موقفاً انسانياً كهذا الموقوف؟

لقد كان الإمام (عليه السّلام) مدركاً أن الذين يقاتلونه من أهل الشام انما يقاتلونه وهم عن حقيقته غافلون، فقد أغراهم معاويه بالمال، وسدّ

ص: ١٨٨

١- شرح نهج البلاغه: ج ١ ص ٢٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٠، نقلاً عن مصادره. الكراع: جمع الخيل.

٣- المناقب، ج ١ ص ٣٨١، عن ابن بطه والسجستاني.

عليهم منافذ التفكير والوعى على الحقائق بما استخدمه من وعاظ سوء وواضعى حديث ممن باعوا ضمائرهم للانحراف صوب الجاهليه.

وبناءً على هذا الوعى العلوى الحقيقه مقاتليه من أغراهم معاويه وغرر بهم، فقد سبق حلم الإمام (عليه السلام) عدله فى معاملتهم فلم يعاقب من أخذ منهم أسيراً، وانما يجرده من أداه الشر، ويضعه أمام الله والضمير كى لا يعود لقتال معسكر الحق الذى يقوده الإمام (عليه السلام).

ويذكرنا هذا الموقف الكريم بموقف معاويه وعمرو بن العاص اللذين كانا يصران على قتل الأشراف من جيش الإمام (عليه السلام)، بيد أنهما خشيا الفضيحه إذا أقدموا على ذلك بعد أن خلى الإمام (عليه السلام) عن أسراهم ابتداء فعدل معاويه وصاحبه عن موقفها لا لطيب خلق منها، وانما خشيه نقمه الرأى العام الإسلامى (1) عليهم.

ولم نذهب بعيداً وتلك معركة صفين تحمل أحداثها الكثير الكثير من مواقف الصفح العلوى... فحين سبق جيش معاويه إلى ماء الفرات أصر على منع الماء عن جيش على (عليه السلام) .. فأوفد الإمام (عليه السلام) لمعاويه وفداً كى يغير موقفه. ولكنه مضى فى اصراره وموقفه اللاأخلاقى...

فاضطر الإمام (عليه السلام) لتحريك قوه من جيشه لفك الحصار. وكانت النتيجة أن سيطر جيش الإمام (عليه السلام) على الماء.. ولكن علماً حمله حمله الرفيع وكرم نفسه على بذل الماء لخصمه قائلاً لجنوده:

«خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم. وخلوا عنهم

ص: ١٨٩

١- الإمام على بن أبى طالب - محمد رضا: ص ٢٢٣.

فان الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم»(١).

ولقد كان مقدر للإمام (عليه السّلام) أن يذيقهم الهزيمة الشاملة لو أنه منعهم الماء، وحال بينهم وبينه، ولكنها الأخلاق الإلهية التي يتمسك بها ويجسدها حيه في دنيا الناس تأبى عليه ذلك اللون من المواقف.. حتى يقع التمييز الحاسم بين منهج الهدى والصرط المستقيم في الفكر والعمل الذي يمثله على (عليه السّلام) وبين سبيل الانحراف والالتواء واللاأخلاق التي يجسدها معاويه بن أبى سفيان... .

ولنا أن نعرض شواهد من حلم الإمام (عليه السّلام) وعظيم صفحه في حياته الخاصة كذلك:

- «دعا الإمام (عليه السّلام) غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال: كسلتُ عن اجابتك، وأمنتُ عقوبتك. فقال (عليه السّلام): الحمد لله الذي جعلنى ممن يأمن خلقه، امضِ فأنت حر لوجه الله»(٢).

- وقد خاطبه رجل من الخوارج بقوله: «قاتله الله كافراً ما

أفقهه!».

فوثب أصحاب الإمام (عليه السّلام) ليقتلوه.. فقال الإمام (عليه السّلام): رويداً إنما هو سبٌ بسبٍ أو عفوٌ عن ذنب(٣).

وهكذا شمل الرجل بعفوه، وحال بين القوم وبين معاقبته.

هذا وفي سيره الإمام (عليه السّلام) الكثير من مثل هذه المواقف التي تعبر

ص: ١٩٠

١- نفس المصدر: ص ١٧٣.

٢- المناقب، ج ١ ص ٣٧٩.

٣- نفس المصدر: ص ٢٨٠، وبحار الأنوار: ج ٤١، ص ٤٩.

عن خلق إلهي كريم أطرت به شخصيه علي (عليه السلام).

علي أننا لو أغضضنا الطرف عن كاهه مواقف الحلم التي اصطبغت بها حياه علي (عليه السلام) بالنسبه إلى المسيئين له أو أعدائه لكان في موقف الإمام (عليه السلام) من قاتله ابن ملجم المرادي أعظم شاهد علي تمتع الإمام (عليه السلام) بنمط من الأخلاق الساميه لم يتمتع بها سوى الأنبياء والمقربين من البشر، فهل أبنائك التاريخ عن إنسان عامل عدوه بنفس الروح التي عامل بها علي (عليه السلام) قاتله، لقد شدد الإمام (عليه السلام) علي أهل بيته أن يطعموا قاتله ويسقوه ويحسنوا إليه فعن الإمام الباقر (عليه السلام) وهو بصدد ذكر احدي وصايا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في آخر حياته يقول:

إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .. قال للحسن والحسين (عليهما السلام): «احبسوا هذا الأسير - يعني ابن ملجم المرادي - وأطعموه واسقوه، وأحسنوا أساره فان عشتُ فأنا أولى بما صنعَ فيّ، ان شئت استقدتُ وإن شئت صالحتُ، وان متُّ فذلك إليكم، فإن بدا لكم ان تقتلوه فلا تمثلوا به»^(١).

رابعاً - التورع عن البغي:

والتورع عن البغي أصل من أصول نفسه الإمام (عليه السلام) وخلق من أخلاقه الكريمه، وهو مظهر من مظاهر التقوى التي يمتاز بها، فهو يتحاشى البغي حتى على اشد الناس خصومه له وللحق الذي هو عليه، وحتى إذا بغى عليه يبق مصرّاً على التزام خطه في النأي عما له صله بأى لون من ألوان البغي..

ص: ١٩١

١- بحار الأنوار: ج ١، ص ٢٠٦ باب ١٢٧.

ومن أجل ذلك كان الإمام (عليه السّلام) داعيه السلم الأكبر، رغم كثره الشغب والفتن التي أثارها بعض الناس في طريق مسيرته الاصلاحية:

- بذل كل ما في وسعه أن يجنب الأمة المسلمه سفك الدماء وتمزق الصف، حين ألح على الزبير وطلحه أن يعدلوا عن موقفهما، سواء من خلال المراسله، أو الوفود أو اللقاءات الشخصيه المباشره مع الزبير وطلحه(1).

- ولقد بلغ الأمر بالإمام (عليه السّلام) حين التقى الجيشان في البصره أن يدعو الزبير فيخرج الإمام (عليه السّلام) بلا سلاح، ويعانقه طويلاً؟! وربما بكى على (عليه السّلام) في ذلك الموقف، ثم عاتب الزبير على خروجه لقتاله، وذكره بعلائق الموده القديمه بينهما كما ذكره بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها: «أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا زبير أتحب عليه، فقلت وما يمنعني من حبه، وهو ابن خالي؟»..

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أما أنك ستخرج عليه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك(2).

وحين أفلت الزمام واصير الناكثون على اشعال نار الحرب بقى الإمام (عليه السلام) عند موقفه الراض للبعي والعدوان فلنصغ إليه وهو يخاطب جنوده: «أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً(3).

ص: ١٩٢

١- تذكره الخواص: ص ٧٦.

٢- الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي: ص ٦١، وفي تذكره الخواص روايه مشابهه وفي شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٧٦ مثلها.

٣- الفصول المهمه: ص ٦٢، و تذكره الخواص أيضاً.

وحتى بعد انتهاء المعركة بقى الإمام (عليه السّلام) عند موقفه النائي عن العدوان فأعلن العفو العام عن جميع المشتركين فى حربته: القيادات والقواعد على حد سواء(١).

- وذاك الحلق العلوى المتميز تجلى فى حوادث صفين من بدايتها إلى نهايتها: يقطع البغاه عنه طريق الوصول إلى الماء وهو فى حيويته الجيش مقاتل كبير فلا- يبادر لاستعمال العنف، بل يرسل الوفود، ويبذل المحاولات لتغيير الموقف بالتي هى أحسن.. لكى لا تراق للمسلمين دماء.. ولكن البغى الأموى الحاقد الذى يجسده قولهم «ولا قطره حتى تموت ظمأ» (٢) حمله على اصدار أوامره لقواته بالتحرك لكسر الحصار، وهكذا كان.. وحين امتلك الماء أباحه الجيش عدوه منذ الساعه الأولى من سيطره قواته عليه.

- ومع أصحاب النهروان بذل الإمام (عليه السّلام) كل مسعى لأجل ابعاد الناس عن القتال، ولكن اصرار البغاه على قتال الإمام (عليه السّلام) حال دون بلوغهم الصراط المستقيم فعاثوا فى الأرض فساداً وقتلوا نفوساً بريئه، واثاروا البلبله فى البلاد مما اضطر علياً (عليه السّلام) إلى قتالهم، ولكن بعد محاولات عديده أيضاً لجمع الصف، ودعوات مستمره لاقرار السلم والقاء السيف (٣).

وفى وصايا الإمام (عليه السّلام) لجيوشه وجباه المال والولاه مؤشرات

ص: ١٩٣

١- راجع القسم الثانى من هذه الدراسه.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٤٥، وشرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١ ص ٢٣.

٣- راجع القسم الثانى من هذا الكتاب.

أخرى على التزام أمير المؤمنين (عليه السّلام) لمنهاج اللابغى واللاعدوان على أحد كائناً من كان ما ذكرنا منه طرفاً في الصفحات الماضيه من هذا البحث.

- وما أعظم عليا أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو ينص في عهده المالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس، وعدم التعامل بأى لون من ألوان البغى والتعالى على الناس، وغمط حقوقهم المفروضه فى شرع الله العظيم « .. وأشعر قلبك الرحمة للرعيه، واللطف بهم، ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فانهم صنفان: أما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق.. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه و صفحه.

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصه أهلك، ومن لك هوىً فيه من رعيتك، فانك أن لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده، ومن خصمه الله دحض حجته، وكان الله حرباً حتى ينزع، ويتوب»(١).

ولم يكن منهاج على (عليه السّلام) هذا خاصاً بأهل مصر، وانما هو منهاجه الشامل لكل البلاد التى ررفت رايه دولته الكريمة عليها.

- ولقد كان الإمام (عليه السّلام) يعهد إلى ولاته فى الأمصار مثل الذى عهده إلى مالك (رض) فى وجوب اشاعه العدل، والرفق بالناس، وعدم البغى عليهم بحال من الأحوال أو معاملتهم بأى لون من ألوان الظلم..

ولقد رأينا بعضاً من وصاياه للولاه فيما مضى من حديث.

ص: ١٩٤

١- عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر - نهج البلاغه، رقم النص ٥٣ ص ٤٢٦.

وقوه الإرادة والروح العاليه فى مواجهه مصاعب الحياه ركن أساس فى شخصيه على (عليه السّلام) وقد لا نغالى إذا اعتبرناها قاعده للكثير من مواقف الإمام (عليه السّلام) فى حياته العمليه، مما ذكرناه أو مما لم نذكره، فشدته تعلقه بالله وكثره عبادته، وتورعه عن البغى وزهده فى الحياه الدنيا، وصفحه عمن يسىء إليه وغيرها مؤشرات ضخمة على تسليح الإمام (عليه السّلام) بصبر لا يعرف الهزبه ولا النكوص عن القصد بشكل جعل الإمام (عليه السّلام) وكأنه الصبر صار إنساناً.

ومع أن تلك المواقف والممارسات تمنح الدليل تلو الدليل على حجم الصبر الذى يتمتع به الإمام (عليه السّلام) فإنه من المناسب أن نذكر إلى جانب ذلك مواقف وأحداثاً جرت فى حياه على (عليه السّلام) وقد أثر الصبر، ورباطه الجأش التى امتاز الإمام (عليه السّلام) فى تجسيدها فى دنيا الواقع...

- فحين اجتمعت قريش فى دار الندوه على قتل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال عمليه جماعيه يتولاها من كل قبيله شاب قوى ليذهب دم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هدرأ بزعمهم دون أن تستطيع بنو هاشم - عشيره النبى - أن تطالب بدمه... .

حين أجمع رؤوس الشرك على تدبير ذلك الجرم، أنبأ الله تعالى

رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمرهم:

«وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ». (الأنفال: ٣٠)

وأمره تعالى بوجوب الهجره إلى دار الإسلام «يثرب» فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم)

مهاجراً بعد أن ترك علياً (عليه السّلام) في فراشه ملتحفاً ببردته ففضى الإمام (عليه السّلام) ليلته في فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) دون أن يكثرث بما حوله من مكر مبيت. فلقد كان محتملاً أن ينقض أولئك الأوغاد على الإمام (عليه السّلام) بسيوفهم دون رحمته، مدفوعين بالحقد الجاهلي الأسود البليد، دونما أقل اكتراث، ظناً منهم أنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)، والإمام (عليه السّلام) كان يتوقع ذلك منهم، ولكن اراده على (عليه السّلام) ورباطه جأشه المعروفه المستمده من الثقه المطلقه بالله والايمن الكامل بقدره وقضائه تعالى وقوه صبر الإمام (عليه السّلام) على مواجهه المصاعب والأحداث قد حملته على أن يسخر ما يبيتون، حتى إذا طلع الفجر هجم القوم على حجره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعلى (عليه السّلام) فيها وهم يظنون أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم).. فواجههم الإمام (عليه السّلام) بصلابه ارادته المعهوده:

ما شأنكم؟ قالوا: أين محمد؟ قال: أ جعلتموني عليه رقيباً؟ أ لستم قلتم نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم!!

هكذا يخاطب الإمام (عليه السّلام) المتآمرين بمنتهى الصبر والاباء والصرامه ساخراً بأولئك الأوباش.

انه موقف شجاع تتصاغر أمامه اراده الأبطال من الرجال!

وبتلك الاراده بقى الإمام (عليه السّلام) فى مكه بعد هجره رسول الله يه يواجه مسؤولياته فى تنفيذ وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) واداء كافة المهمات المناطه به.

- وفى يوم هجرته خرج الإمام (عليه السّلام) جهاراً يقود قافله المهاجرات من أهل البيت: فاطمه الزهراء، وفاطمه بنت أسد وسواهما، فجرت محاوله من المشركين للحيلولة دون هجرته، ولكن اراده على (عليه السّلام) وقوه

تحمله للعقبات أفشلت المحاولة، فلم يعبأ بالفرسان الثمانية الذين أرسلوا الاعتراض سبيله، فواجههم بسيفه، وأهوى به على قائدهم بضربه قاضيه، تحول الرجل بعدها إلى جثه هامده يخور بدمه في تلك الفلاة من الأرض، ففر الباقون مخلفين قائدهم في الميدان(١)..

-وفي دار الهجرة واجه الإمام (عليه السلام) مسؤولياته العظيمة كجندى للرسالة في الرعيل الأول، فأبدى (عليه السلام) من قوه الإرادة ومضاء العزيمة والقدره على مواجهه المصاعب ما يعد مفخره يعتز بها إنسان الإسلام بامتداد وجوده التاريخي، فالإمام (عليه السلام) عبر المعارك الهجوميه والدفاعيه -التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل نشر رساله الإلهيه أو حمايه وجودها العملى فى حياه الناس - كان قطب رحاها الخائض المقدم الغمراتها الذى لا تأخذه فى الله لومه لائم من أجل اخماد طغيان الشرك والمشركين وكافه أعداء رساله المتربصين، فما من حرب تسعّر، وما من معركة تدور رحاها إلا دعى على (عليه السلام) لآخماد فتنتها وتنكيس رايات الجاهليه فيها: فى بدر، وأحد، والأحزاب، وحنين، وخيبر...و...

وفى كثير من المواقف يسود الهلع فى معسكر المسلمين، ويستبد الوهن والنكوص عن مواجهه العدو، فيعيد سيف على (عليه السلام) الثقة للنفوس ويجدد فى معسكر الإيمان روح القدره على المواجهه وصد العدوان..

الأمر الذى يكشف عما يتمتع به الإمام (عليه السلام) من نفس

كبيره تعلقو

ص: ١٩٧

١- الإمام على رجل الإسلام المخلد - عبدالمجيد لطفى: ص ٥٣، وأعيان الشيعة: ج ٣ ق ١ ص ١٥٦ - ١٥٧.

على كل وهن، وتسخر بكل ضعف، وترتفع فوق كل ذله وهوان.. انها قوه الاراده... ومضاء العزيمه وشده الصبر على المكاره مقرونه باليقين العميق بالله تعالى، والاستمداد منه والتوكل عليه دون سواه.

وقد تولى الأمام (عليه السّلام) الخلافه فى ظروف صعبه دقيقه على مضض، وبعد محاولات عديده من الرفض لها من قبله(١)، وما أن عقدت له البيعه حتى نكث قوم وقسط آخرون، ومرق غيرهم، كل ذلك من أجل أن يحال بين الإمام (عليه السّلام) وبين استئناف المسيره الإسلاميه التى بدأها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولقد تحمل أمير المؤمنين (عليه السّلام) ما تحمل من الآلام والمشقات فى سبيل اخماد الفتن السوداء التى أثارها أصحاب المنافع الشخصيه وأصحاب المصلحه الذاتيه المستفيدين من سياسه الانحراف، وما وضعوه من عقبات فى طريق مسيرته الاصلاحيه، فقابل كل ذلك بالصبر الجميل، وبالتسليم

لقضاء الله تعالى، حتى رحل إلى ربه الأعلى شهيداً مثقلاً بالمتاعب والآلام.

- وإذا تركنا تلك الأمور جانباً والقينا نظره على جوانب أخرى من حياها لإمام (عليه السّلام) لنحدد مواقع الصبر والاراده الصلبيه لما صح أن تفوتنا مواقف الصبر التى وقفها أمير المؤمنين (عليه السّلام) حين يفارق أحبته ورفاق الدرب، وأولهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى فاضت نفسه الشريفه فى حجر الإمام (عليه السّلام) (٢) وواراه الثرى بنفسه، وعاش مأساه فراقه بكل أبعادها،

ص: ١٩٨

١- يراجع الفصل الثانى من هذا الكتاب.

٢- مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٣٠٠، و مناقب الخوارزمى عن عائشه.

وها هو يخاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يلى غسله وتجهيزه بكلمات حزينه تدمى القلب وتزرع الأسى: «بأبى أنت وأمى يا رسول الله! لقد انقطع موتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوه والأنباء وأخبار السماء. خصصت حتى صرت مسلماً عن سواك؟ وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولو لا- أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماتاً، والكبد محالفاً، وقلاً لك، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطيع دفعه! بأبى أنت وأمى أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك»(١).

وإذا أعدنا إلى الأذهان ما يحظى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حب وتعظيم فى نفس اميرالمؤمنين (عليه السلام) لأدر كنا حجم الاسى الذى صبّ على الإمام (عليه السلام) بفقده (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعلى (عليه السلام) قد حظى بتربيته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورعايته واعداده و مصاحبته منذ الصبا حتى فارق رسول الله الدنيا.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخوة بينهما مليئة بضروب الود والحنان والوفاء والاخلاص مما ليس له نظير(٢).

على أن الإمام (عليه السلام) التزم جانب الصبر راضياً بقضاء الله المحتوم فى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

- وفى خضم الأحداث المريره التى عاشها أميرالمؤمنين (عليه السلام) فى هذه

ص: ١٩٩

١- نهج البلاغه: من كلام له (ع) رقم ٢٣٥. أنفدنا: أفنينا. ماء الشؤون: منابع الدمع. الداء مماتلاً: مماتلاً بالشفاء. الكبد محالفاً: الحزن ملازماً. قلاً لك: محالفة الحزن ومماطله الشفاء قليلاً لك.

٢- راجع القسم الأول من هذا الكتاب.

الفترة، أَلَمَت بِالزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ الْعَالَمِينَ الْعَلَّةِ الَّتِي تُوْفِيَتْ عَلَى أَثْرِهَا فَلَحِقَتْ بِالرَّاحِلِ الْعَظِيمِ أَبِيهَا حَيْثُ كَانَ الْإِمَامَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) طَوَالَ فِتْرَةِ الْمَرَضِ الَّذِي عَانَتْ مِنْهُ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) يَعْيشُ مَا تَعَانَى بِمَلَأِ كَيَانِهِ، فَهِيَ وَدِيْعُهُ رَسُوْلُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَمُدْرَسَةُ الْإِمَامَةِ الَّتِي خَرَّجَتْ قَادَةَ الْأُمَمِ الْهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهِيَ الصَّابِرَةُ الْمُحْتَسِبَةُ، الَّتِي صَبَّ عَلَيْهَا ظَلَمُ الْأَعْدَاءِ بِشَكْلِ لَا نَظِيرَ فِي تَارِيخِ النُّبُوَاتِ (١)، وَهِيَ بَعْدَ ذَلِكَ زَوْجَةُ الْوَفِيَّةِ الَّتِي عَاشَتْ مَعَهُ آمَالَهُ وَآلَامَهُ طَوَالَ حَيَاتِهَا مَعَهُ.

لَقَدْ رَأَى الْإِمَامَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) زَهْرَاءَ الْإِسْلَامِ، بَعْدَ رَسُوْلِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): وَهِيَ تَعْيشُ مَرَارَهُ الْأَسَى، ثُمَّ وَهِيَ تَسْتَسَلِمُ الْفِرَاشَ الْمَرَضَ فَيُشْحَبُ لَوْنُهَا، وَتَتَرَدَّى أَوْضَاعُهَا الصَّحِيحَةَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، ثُمَّ يَرَاهَا وَهِيَ تَفَارِقُ الدُّنْيَا، فَيَبَاشِرُ تَغْسِيلَهَا وَتَجْهِيْزَهَا وَدَفْنَهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، ثُمَّ يَقِفُ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهَا مُودِعًا بِعِبَارَاتٍ تَذِيبُ الْقُلُوبَ الْحَدِيدِيَّةَ: -

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ عَنِي، وَعَنْ ابْنَتِكَ النَّازِلَةَ فِي جَوَارِكِ، وَالسَّرِيْعَةَ اللَّحَاقَ بِكَ! قَلَّ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ عَنِ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنِّي تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنْ فِي التَّأْسَى لِي بِعَظِيمِ فَرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مَصِيْبَتِكَ، مَوْضِعٍ تَعَزُّ، فَلَقَدْ وَشَدَّتْكَ فِي مَلْحُوْدِهِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدْ اسْتَرْجَعْتَ الْوَدِيْعَةَ، وَأَخَذْتَ الرَّهِيْنَ! أَمَا حَزَنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَا لَيْلِي فَسَهْدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وَسَتَنْبِيْكَ ابْنَتِكَ بِتَظَاْفِرِ أَمْتِكَ عَلَى هَظْمِهَا فَأَحْفَهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرَهَا

ص: ٢٠٠

١- اقرأ محنه الصديقه الزهراء (ع) وحجم الظلم الذي صبَّ عليها بعد رسول الله (ص)، وأسباب وفاتها، في كتاب: الصديقه الزهراء بين المحنه والمقاومه: للمؤلف.

الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودع، لا قال، ولا سئم، فان انصرف، فلا عن ملاله، وان أقم فلا عن سوء ظنٍ بما وعد الله الصابرين»(١).

فرغم حجم المأساه فإنَّ الإمام (عليه السَّلام) استسلم لقضاء الله تعالى واستعان على الأسي بجميل الصبر.

وكا صبر الإمام (عليه السَّلام) لفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصديقه الزهراء (عليها السَّلام)، تجمل بالصبر كذلك لفقد اخوه له في الله، انقطعوا إليه في الوفاء وبذلوا أرواحهم وكل ما يملكون في سبيل رساله الله تعالى، وقد تصدوا لهدم الباطل، وواجهوا الانحراف، فاستشهدوا في ساحات الجهاد كعمار بن ياسر ومالك بن النيهان، وذى الشهادتين خزيمة بن ثابت الأنصارى ومالك الأشر، ومحمد بن أبى بكر وسواهم.

وها هو الإمام (عليه السَّلام) يذكرهم قبل نيله الشهاده بأيام في خطبه له جاء فيها:

ص: ٢٠١

١- نهج البلاغه رقم النص ٢٠١. التأسى: الاعتبار. الفادح المثقل.. التعزى: التصبر. ملحوده القبر: الجبهه المشقوقه من القبر. مسهد: اشتد به الأرق. هضم: ظلم. احفاء السؤال: الاستقصاء فيه. القالى: المبعض. السئم: الضجر.

«..أين اخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار، وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنيه، وأبرد برؤوسهم إلى الفجره.

ثم أطال البكاء وقال:

أوه على اخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنه، وأماتوا البدعه، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه..»(١)

ومن شواهد صبر الإمام (عليه السّلام) كذلك رفضه للدنيا ولذاتها وتحمله لأذى الجوع، والتكشف وزهده بالمال حتى يبلغ به الحال أحياناً أن يشد حجر المجاعه (٢)، على بطنه، ولقد رأيت فى حديثنا عن زهده وعدالته (٣) ما يغنيك عن تعداد شواهد أخرى من قوه تحمله وارادته فى مواجهه المشقات وعقبات الحياه.

وهكذا عاش الإمام (عليه السّلام) حياه مليئه بالكسح والآلام، زاخره بالرزايا، حافله بالمحن، غير أنه واجهها جميعاً بقوه صبره، وعظيم ارادته التى لا تقهر.

ص: ٢٠٢

١- نهج البلاغه أواخر خطبه رقم: ١٨٢. أبرد برؤوسهم بالبريد إلى الطغاه للتشفى منهم. أوه: كلمه توجع.

٢- شرح النهج: ج ١ ص ٢٢.

٣- فى الفصل الثانى والثالث من هذا الكتاب.

في ميدان المعرفة

* صور من علم الإمام

* مصنفات الإمام

* طرف من مواعظ الإمام

* قيس من حكم الإمام

ص: ٢٠٣

آن محاولة للحديث عن دنيا المعرفة عند أمير المؤمنين (عليه السّلام) مهما أعطيت من التوفيق يستحيل عليها أن تحدد الفكر العلوى العظيم، وتحيط بأبعاد المعرفة التي طرحها الإمام (عليه السّلام) في ساحة الفكر الإنساني، وحسبك أن كل مدرسه فكريه ظهرت في دنيا المسلمين، كل منها تدعى انتماءها فكرياً للإمام (عليه السّلام) حتى وان كانت مخالفه للواقع والحق،

كأن ادعاءها الاستعداد من على (عليه السّلام) يعطيها صفة الشرعيه وحق الحياه، فالأشاعره نسبوا أنفسهم له، والمعتزله ادعوا الانتهاء إليه، وزعمت مدرسه الرأى فى الفقه انتماءها إليه، وذهب المتصوفه إلى أن إمامهم أمير المؤمنين فيها ذهبوا، وسوى هؤلاء كثير(١).

هذا فضلاً عن حملة مبادئه من الذين التزموا مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) : الثقل الثانى بعد القرآن الكريم الذى ألزمت الشريعه بالتمسك بها وسلوكك دربهما على لسان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «انى مخلف فيكم

ص: ٢٠٥

١- شرح نهج البلاغه: ج ١ ص ١٧، وما بعدها، ط ١، ١٩٥٩ ط دار احياء الكتب العربيه.

الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض»(١).

فادعاء جميع المدارس الفكرية والفقيهيه انتهاءها للإمام (عليه السّلام) وانتهالها من بحر علمه مؤشر كبير على عظمه الإمام (عليه السلام) وعلو شأنه فى دنيا الفكر الإسلامى .

الأمر الذى لم يكن لأحد من المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طوال التاريخ الإسلامى أبداً.

فعلى (عليه السّلام) قد تنازعت كل الحركات الفكرية والفقيهيه التى ولدت فى تاريخ المسلمين، بل قال بالانتساب إليه أصحاب النشاطات الفكرية والثقافية والعلمية من نحويين وأهل القراءات وعلماء التفسير وأهل الحديث والفقهاء وسواهم، على أن الانتساب لعلى (عليه السّلام) فى الحقل المعرفى أو ادعاء الانتساب إليه لم يأت عفواً أبداً، وإنما هو شاهد قوى على أن علياً (عليه السّلام) لم يترك حقلاً من حقول المعرفة الصحيحة إلا ووضع أسسه وحدد معالمه وترك الباب مفتوحاً لرواد المعرفة أن ينتهلوا منه.

ولم يكن العطاء الفكرى العظيم الذى أسداه الإمام (عليه السّلام) للإنسان إلا حصيلة طبيعیه للاعداد الخاص الذى توفر للإمام (عليه السّلام) من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ طفوله الإمام (عليه السّلام) حتى آخر ساعه من حياه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اضافه إلى انفتاح روحه وقلبه على الملأ الأعلى تسديداً من

ص: ٢٠٦

١- روى هذا الحديث باختلاف يسير فى اللفظ: مسلم فى الصحيح، والحاكم فى مستدرک الصحيحين وأحمد بن حنبل فى المسند، والمتقى الهندى فى كنز العمال، وغيرهم وقد أحصى مصادره السيد حامد حسين فى عقبات الأنوار: المجلد الأول، والمجلد الثانى.

الله تعالى، له، والهاماً (١)..

الأمر الذى تسالم المؤرخون على حقيقته وقوعه.

ولقد أشار الإمام (عليه السّلام) ذاته إلى ذلك الاعداد الذى وفره له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكشف عن أهميته وابعاده فى حياه الإمام (عليه السّلام) بقوله:

«..وقد علمتم موضعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابه القريبه، والمنزله الخصيصه، وضعنى فى حجره، وأنا ولد، يضمنى إلى صدره، ويكنفنى فى فراشه: ويمسنى جسده، ويشمنى عَرفه، وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه، وما وجد لى كذبه فى قول، ولا خطله فى فعل.. ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرنى بالافتداء به، ولقد كان يجاور فى كل سنه بحراء، فأراه، ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجه، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرساله، واشم ريح النبوه» (٢).

ولاستمراريه ذلك الاعداد الخاص لعلى (عليه السّلام) يشير الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى (رض) بقوله: «كانت لعلى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دخله لم تكن لأحد من الناس» (٣).

ص: ٢٠٧

١- راجع اصول الكافى ١: كتاب الحججه ص ١٦٨ - ص ٢٧٧، وعلم اليقين: الفيض الكاشانى ١: ص ٣٦٦ - ٣٧٥، وغيرها من المصادر.. راجع وثيقه رقم (٨) فى الملحق، وسترى فى الوثيقه المذكوره أن الأئمه من أهل البيت (ع) علاوه على وراثتهم العلم من رسول الله (ص)، فأنهم محدّثون، مسددون من الله عزّ وجلّ، ولا نبى بعد محمّد بن عبد الله (ص)، وهذا النمط من الثقافه والفهم يوجد مثله عند اخواننا من أهل السنه حيث أوردوا روايات تفترض أن بعض الخلفاء محدّثون / راجع معالم المدرستين ٢: ٣٢٨ مثلاً.

٢- نهج البلاغه الخطبه القاصعه. رقم ١٩٢.

٣- انساب الأشراف: ج ٢ ص ٩٨ - البلاذرى.

وعن ابن عباس (رض) عن علي (عليه السّلام) قال: «كان لي من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مدخلان: مدخل بالليل ومدخل بالنهار»^(١).

ولقد كان ذلك الاعداد الرسولى منصباً على جميع جوانب شخصيه الإمام (عليه السّلام) من أجل تأهيله فكرياً ونفسياً لاحتلال موقع المرجعيه الفكرية والسياسيه للأمة الإسلاميه بعد غياب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مسرح الحياه..

وحيث أن حديثنا هذا يهدف إلى دراسه العطاء الفكرى الثرى الذى طرحه الإمام (عليه السّلام) فى الساحة الإنسانيه فلا بدّ من أن نشير إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أكمل بناء الجانِب الفكرى من شخصيه الإمام (عليه السّلام) وأهله لخلافته فى هذا المضمار، أخذ (صلى الله عليه وآله وسلم) يبلغ الأمة بحقيقه ما وصل إليه الإمام (عليه السّلام) من مستوى متميز عظيم فى ميدان المعرفه:

قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

– «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتِه من باب»^(٢). «على باب علمى ومبين لأمتى ما أرسلت به»^(٣).

وعن ابن مسعود قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسئل عن علم

ص: ٢٠٨

١- خصائص الإمام علي بن أبى طالب - للنسائى ص ٤٩.

٢- أخرجه الترمذى فى صحيحه وأحمد بن حنبل والحاكم فى المستدرک والحافظ أبو محمد السمرقندى فى بحر الاسانيد وابن جرير فى تهذيب الآثار والاربلى فى كشف الغمه وللتفاصيل يراجع: فتح الملك العلى بصحه حديث باب مدينة العلم على للحافظ أحمد بن محمد الصديق الغمارى ط ٢، ١٩٦٦

٣- أبو نعيم فى حليه الأولياء والديلمى فى فردوس الأخبار وغيرهما نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ط الأعلمى: ص ٧.

علي (عليه السلام)؟

فقال:

- «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطى على تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي» (١).

وهناك أحاديث شريفه بهذا الشأن لا تكاد تحصى كثره، وهي تهدف جميعاً إلى بيان المكانة التي يحتلها الإمام (عليه السلام) في الجانب المعرفي، وتدعو الأئمة صراحه إلى وجوب أخذ معارف التشريع الإلهي عن طريقه (٢)، فمنه تستمد الهدى، وهو الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولقد أدرك الكثير من معاصري الإمام (عليه السلام) ما يحظى به الإمام (عليه السلام) من علو شأقه في مجالات المعرفة بشتى حقولها وجوانبها، وما يتبوؤه من مقام رفيع في ركب الإسلام الخالد:

فها هو ابن عباس (رض) يقول:

- أعطى على بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمهم

بالعشر الباقي (٣).

وعطاء بن أبي رباح يقول: حين سئل هل تعلم أحداً بعد

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلم من علي؟!!

ص: ٢٠٩

١- أخرجه الخوارزمي، وابن المغازلي، الشافعي في المناقب، ج ٢ ص ٣٠.

٢- راجع مناقب آل أبي طالب: ج ١ فصل في المسابقة بالعلم، والبحار: ج ١، باب ٩٣، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها.

٣- بحار الأنوار: ج ٤٠، باب ٩٣ عن النقاش في تفسيره، ومناقب آل أبي طالب: ج ١ فصل المسابقة في العلم.

- لا والله ما أعلمه.

وعمر بن الخطاب يقول:

- العلم ستة أسداس، لعلی من ذلك خمسة أسداس وللناس

سدس، ولقد شاركنا في السدس حتى هو أعلم به منّا (١).

ولكم كان الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً يرجعون إليه في مسائل القضاء والحكم والاداره، حتى أن عمر ابن الخطاب كان يردد «لا أبقاني الله لمعضله ليس لها أبو الحسن» أو يقول: «أعوذ بالله من معضله لا على لها» (٢).

وعائشه تقول:

- على أعلم الناس بالسنة (٣).

وغير هؤلاء كثير..

على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أفصح مراراً وفي مناسبات شتى عما يحمل من علم شامل غزير.

فتراه يخاطب أصحابه بأن صدره يحمل علماً عظيماً تلقاه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو وجد له حمله أمناء يتصدون لحمله وتبليغه لأودع بعض علمه لديهم:

- «ان في صدرى هذا علماً جماً، علمنيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولو أجد له حفظه يرعونه حق رعايته ويروونه عنى كما يسمعون منى، اذاً»

ص: ٢١٠

١- راجع فصل في عهد الخلفاء في الفصل الأول من دراستنا عن أمير المؤمنين (ع).

٢- نفس المصدر السابق.

٣- البحار: ج ٤٠ باب ٩٣، عن كشف الغمه.

لأودعتهم بعضه..»(١).

ثم يكشف في مناسبة أخرى عن حجم ذلك العلم الذى يحمل ويبين أبعاده و مساحته:

فعن ابن نباته قال:

لما بويح أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافه خرج إلى المسجد معتمماً بعمامة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لابساً بردته فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وأنذر، ثم جلس متمكناً، وشبك بين أصابعه، ووضعها أسفل سرته ثم قال:

- يا معشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى فأن عندى علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثبت لى الوساده الحكمت بين أهل التوراه بتواترتهم، وبين أهل الانجيل بأنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب ان علياً قضى بقضائك، والله إنى لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه.

ثم قال:

سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبه وبرأ النسمه لو سألتمونى عن آيه آيه لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدتيها، والله ما من فئه تضل أو تهدى إلّا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها(٢).

ص: ٢١١

١- المرجع السابق: باب ٩٣، نقلاً عن الخصال.

٢- البحار: ج ٤٠ باب ٩٣، ويشبهه فى الارشاد للشيخ المفيد: ص ١٩١.

«سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم، وسلونى عن كتاب الله، فوالله ما من آيه إلا وأنا أعلم أبليلى نزلت أم بنهار أم فى سهيل أم فى جبل» (١).

ولو قدر أن علياً (عليه السّلام) لم يتسنّ له أن يساهم بما ساهم به من علم جم الأمر -الذى ستناول خطوطه العريضه فى هذا الفصل - فى المجالات الفكرية فأن نداءاته الملحه فى مناسبه وأخرى: سلونى قبل أن تفقدونى: آيه جليه على قدراته الفائقه المتميزه فى حقول المعرفه بشتى ضروبها وامتدادتها.

ولو قدر كذلك أن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يكشف عما لعلى (عليه السّلام) من سابقه فى العلم وعلو شاهق فى المعرفه، لكان اصرار على (عليه السّلام) على دعوه الناس بتلقى العلم منه شاهداً قوياً لا يرد على ما له (عليه السّلام) من علم غزير، فأن ثقته العاليه بنفسه فى مضممار العلم هى التى تدفعه لتكرار ذلك النداء الفريد، الذى ما حدثنا التاريخ أن رجلاً قدم عليه قبل على (عليه السّلام) خوف الفضيحه والنكوص عن الاجابه!

ولقد تنبه الكثير من أصحاب العقول إلى ما ينطوى عليه ذلك النداء العلوى: «سلونى»، من أهميه بالغه، فقد قال سعيد ابن المسيب:

ما كان أحد من الناس يقول سلونى غير على بن أبى طالب» (٢).

ص: ٢١٢

١- أعيان الشيعة: ج ٣ ق ١ ص ٦٣، عن الاستيعاب ومثلها فى الأصابه والاتقان وحليه الأولياء وفى صحيح مسلم: ج ٦.

٢- نفس المصادر عن غرر الحكم للآمدى.

وعن ابن شبرمه يقول: «ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلونى إلّا على بن أبى طالب» (١).

فالنداء المذكور بكثرة الحاحه وحرارته يحمل بين ثناياه ما حواه الإمام (عليه السّلام) من علم شمولى يمد الإنسان بالغنى والخير والهدى والسداد.

ص: ٢١٣

١- نفس المصدر عن نهج البلاغه.

بمقدورنا بعد ايراد تلك التوطئه المتعلقه بالحقل المعرفى عند أمير المؤمنين أن نقول إنَّ تصور قد تكامل لدينا حول عمق المعرفة وشمولها عند الإمام (عليه السَّلام) فهو وريث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والمبين للأُمه ما بعث به، ومرجعها فى كل تساؤلاتها الفكرية الملحه كل ذلك حصيله لاعداد مسبق من لدن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أشرنا لبعض مصاديقه فيما مضى من حديث، وتسديد إلهى خاص.

بقى أن نشير فى هذا الفصل إلى ابعاد المعرفة التى أسداها الإمام (عليه السَّلام) للإنسان المسلم منه وغير المسلم.

ففكر على (عليه السَّلام) وان كان رسالياً هادفاً إلى خدمه الرساله الالهيه وحملتها وعاملاً على دفع عجله مسيره الإسلامه التاريخيه إلى الأمام، فانه يبقى منهالاً عذباً لتصيب منه الإنسانيه بشتى نحلها واتجاهاتها الفكرية، وهو كفيل بهدايتها إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

وقبل أن نعرض الخطوط العامه للجانب المعرفى عند الإمام (عليه السَّلام) جدير بنا أن نشير إلى أنه (عليه السَّلام) بالرغم مما طرحه فى دنيا الفكر الإنسانى

من أبواب المعرفة المتعدده فاننا نظل عند قناعتنا من أن الإمام (عليه السّلام) لم تسعفه الظروف الاجتماعيه والسياسيه على حد سواء أن ييوح للإنسان بكل ما عنده من معارف، وعلوم!!

فاذا أهملنا أثر الظروف السياسيّه - التي أَلمت بالإمام (عليه السّلام) ومنعته من اداء مهماته على الشكل المرجو من أجل مصلحه الرساله والإنسان، - فان الظروف الاجتماعيه لاتقل خطراً عن تلك الظروف، فالمجتمع الذي عايشه الإمام (عليه السّلام) لم يكن في مستواه من ناحيه الوعي قادراً على ادراك الإمام وأهميته ودوره الرسالي الخطير في حياه الناس، ولعل أبلغ شاهد على ذلك ما كان يواجهه الإمام (عليه السّلام) من تساؤلات فجه واعتراضات تافهه حين يدعو قومه للأفاده مما يحمل من علم جم تلقاه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، عن الله عز وجل.

ونذكر بهذا الصدد بعض تلك المواقف التي تقطر سخفاً وبلاده: - فقد خاطب الناس مره بقوله: سلونى قبل أن تفقدونى فوالله لا تسألونى عن فئه تضل مائه أو تهدى مائه إلّا نبأتكم بناعقهاء وسائقها، ولو شئت لأخبرت كلواحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه:

فقام اليه سنان بن أنس النخعي قائلاً:

أخبرنى بما فى رأسى ولحيتى من طاقه شعر(1)!!

- وبينما كان الإمام (عليه السّلام) يوماً يحدث قومه عن بعض حوادث

ص: ٢١٥

١- شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٦ - ونفس الروايه فى البحار ج ٤٠ باب ٩٣ ص ١٩٢ ولكنه يروى أن الرجل كان تميم بن أسامه التميمى.

المستقبل كبير على أعشى باهله - عامر بن الحارث - ما تحدث به الإمام (عليه السلام) فقال له:

يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافه(١).

هذه بعض تلك المواقف التي اتخذها البعض من الناس الذين عاصروا الإمام (عليه السلام) فأضاعوا أثمن فرصه مرت بالأمه بعد رسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبالرغم من ذلك كله فاننا ينبغي ألا نغفل ما كان ينطوي المجتمع عليه من طلاب المعرفة من اجل الوصول إلى الهدى والخير.

وكانت تلك الفئه واعيه لحقيقه الإمام (عليه السلام) مؤمنه بقدرته الفائقه على طرح شتى أنواع الفكر الإسلامى فى العقائد والتشريع وفى مختلف أبواب المعرفة الضروريه لمسيره الإنسانيه.

وقد قابل أمير المؤمنين (عليه السلام) أولى الأبواب بنفس الثقة التي أولوها له، فخصهم بالكثير من ألوان الاعداد والتوجيه والتثقيف ليواصل المسيره التي بدأها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي يقودها خط الامامه عبر التاريخ الإسلامى ابتداء بعلی (عليه السلام) وانتهاء بأبى القاسم الإمام المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد بلغ بالإمام (عليه السلام) ان يكشف الكثير من أسرار المعرفة وحقائقها لأولئك المتقين الأفذاذ من الرجال، وقد تعاهد أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر اعداد الحمله الحقيقين للرساله الالهيه من بدأ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عمليه

ص: ٢١٦

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج ٢ ص ٢٨٩.

اعدادهم أو غيرهم (١) من التابعين..

على أن الذى توفر للإمام (عليه السّلام) طرحه من آراء ومبادئ وحكم ومفاهيم فى ساحة الفكر الإنسانى كفىل بعضه دون جميعه لأبراز عظمه الإمام (عليه السّلام) وقدراته العلميه الفائقه المتميزه .

وها نحن أولاء، نقدم صوراً من المعرفه عند الإمام (عليه السّلام).

ص: ٢١٧

١- للتعرف على التفاصيل راجع شرح نهج البلاغه: لابن أبى الحديد ٢: ٢٨٦ وما بعدها.

للإمام (عليه السّلام) باع طويل فى طرح الصيغ المحدده للعقائد الإسلاميه من خلال ما طرحه من خطب، ورسائل، ومواعظ، ومناقشات، والباحث فى خلفه الأمام (عليه السّلام) من ثروه فكريه عظيمه يتجلى له بعمق أن أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد اعطى للعقيده الإسلاميه، وركائزها الأساسيه على وجه الخصوص الكثير من الاهتمام والعنايه، واغلق الباب بوجه اى شذوذ وانحراف وعدول عن مضامينها الحقيقيه بأسلوب واضح وجلى لا يمكن صرفه أو تأويله لأى معنى آخر غير ما أراداه الإمام (عليه السّلام).

فالله تعالى وأسماءه الحسنى وصفات ذاته وصفات أفعاله،

والرساله والنبوه والوحى، والملائكه والإمامه والقضاء والقدر، والبعث والنشور وفلسفه الدنيا والجنه والحساب وسواها من أسس العقيده الإسلاميه قد بلورها الإمام (عليه السّلام) فى صيغ محدده نابضه بقوه الحججه والبرهان والوضوح.

ولو قدر للأممه المسلمه بجميع فرقها أن تنهل من المنهل العذب الرقراق الذى فجره على (عليه السّلام) فى دنيا الفكر الإسلامى،
لاجتمعت

ص: ٢١٨

الكلمه وتوحد الصف والهدف، وما شهدت دنيا المسلمين أى لون من ألوان الشطحات والانحرافات المضله التي جناح اليها الكثير من اتباع المدارس الفكرية عند المسلمين.

وبقدر ما تسمح به محاولتنا لدراسة الخطوط العامه لما خلفه لنا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من ثروه فكرية سنعرض نماذج من الفكر العقائدى الذى زين الإمام (عليه السلام) بها صفحات الفكر الإنسانى بشكل عام.

ص: ٢١٩

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور مِيدان أرضه(١).

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه، لشهاده كل صفة أنها غير الموصوف، وشهاده كل موصوف أنه غير الصفه: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه، فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار اليه، ومن أشار اليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام» فقد أخلى منه.

ص: ٢٢٠

١- فطر الخلائق: ابتدعها على غير مثال سابق، وتد: ثبت، المِيدَان التحرك بالتمايل.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

مع كل شيء لا بمقارنه، وغير كل شيء لا بمزايله، فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق انشاء، وابتدأه ابتداءً، بلا رويه أجالها، ولا تجربه استفادها، ولا حركه أحدثها، ولا- همامه نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزهاى وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها واحنائها...»(١).

«الأول لا شيء قبله، والآخر لا غايه له، ولا تقع الأوهام له على صفه، ولا تقعد القلوب منه على كيفيه، ولا تناله التجزئه والتبعيض، ولا تحيط به الأبصار والقلوب..»(٢).

«لم يولد سبحانه فيكون فى العز مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا- زمان، ولم يتعاوره زياده ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم»(٣).

«الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسى أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس، لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل، ولا ينقصه

ص: ٢٢١

١- نهج البلاغه رقم الخطبه ١. لا-عن حدث: لا-عن ايجاد موجد، المزايله: المفارقه والاختلاف، الرويه: التفكير، أجال: ردد أو أدار، همامه: اهتمام بالأمر وانشغال بال، لأم: قرن، غرز الغرائز: أودع فيها الطباع، قرائن: جمع قرونه وهى النفس، الأحناء: الجوانب، لا تعقد القلوب منه على كيفيه: أى ليست له كيفيه فتحكم بها.

٢- نفس المصادر رقم ٥٨.

٣- نهج البلاغه رقم ١٨٢. يتعاوره: تطراً عليه الزيادة والنقصان.

نائل، ولا ينظر بعين، ولا يُجَدُّ بأين، ولا يوصف بالأزواج ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس»(١).

هكذا حدد أمير المؤمنين (عليه السلام) مفهوم وحدانيه الله سبحانه وتعالى، وهكذا عرف على (عليه السلام) الله رب العالمين، ووصفه كما أراد الله سبحانه أن يوصف به، فقد نزهه عن التشبيه والتجسيم، والمكان والتجزئه والتبعيض وكل نقص، وأخرجه بوصفه عن كل صفة من صفات مخلوقاته، كما شاء الله سبحانه وتعالى أن يوصف، وكما علم أوليائه أن ينعتوه.

ص: ٢٢٢

١- نفس المصدر والخطبه. وهم: تفكير وتوهم، النائل: العطاء، أين: اشاره للمكان.

وكما حدد الإمام أبعاد التوحيد وحقيقته، أعطى (عليه السلام) التحديد الموضوعى الشامل للنبوه والرساله مبيناً فلسفتها وأهدافها، وموضحاً أن اللطف الإلهى بالعباد اقتضى ارسال الأنبياء (عليه السلام) إلى الناس ليأخذوا بأيديهم إلى حيث الهدى والرشاد وسبيل الحق، بعد أن تنكروا لعهد الله اليهم، وخرجوا عن مقتضى الفطره التى فطرهم الله عليها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«واصطفى سبحانه من ولده - من ولد آدم - أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرساله أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله اليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر اليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا له دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدره: من سقف فوقهم مرفوع، ومهادٍ تحتهم موضوع، ومعایش تحييمهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخلِ الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجه لازمه (1) أو محجه قائمه. رسل لا تقصر بهم قله عددهم، ولا

ص: ٢٢٣

١- الميثاق: العهد، الأنداد: الامثال وهم المعبودون من دون الله، اجتالتهم: ابعدهم عن هدفهم، واتر: جعل بين كل نبي وآخر فتره، ليستأدوهم: ليطلبوا الأداء منهم، وصب: تعب.

كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء وخلفت الأبناء.

إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لإنجاز عهده، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين، ميثاقه، مشهوره سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبه الله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وانقذهم بمكانه من الجهالة..(١).

«بعث الله رسوله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الأعدار اليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق..(٢).

«بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، وبقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه، وليقروا به بعد از جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلث، واحتصد من احتصد بالنقمة..(٣).

ص: ٢٢٤

١- نهج البلاغه رقم النص ١ «باب الخطب». نسلت القرون: تتابعت... المحججه: الطريق الواضحه المستقيمه، انجاز عهده: وعده الله تعالى بارسال محمد (ص)، السمات: العلامات التي بشر بها النبيون السابقون لرسول الله محمد (ص).

٢- نفس المصدر رقم ١٤٤.

٣- نفس المصدر رقم ١٤٧، تجلى: ظهر بآيات لابرؤيته المباشرة، المثلثات: العقوبات.

ويجلى الإمام (عليه السلام) حقيقه خط الإمامه وضرورته فى دنيا المسلمين ويحدد مرامى الأمه (عليهم السلام) ويرشد الأمه المسلمه اليهم باعتبارهم الامتداد الحقيق للرساله، والحمله الحقيقين لدين الله تعالى وهديه للعالمين بعد رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بهم يقام الحق وتحمى الشريعه ويصان الدين، وتحفظ كلمه الله تعالى.. وتبلغ الأمه الهدى والخير، وبسواهم يكون الضلال والانحراف والضياغ، يقول (عليه السلام) :

- «..لا يقاس بال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه الأمه أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً: هم أساس الدين، وعاد اليقين، اليهم يفىء الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولايه، وفيهم الوصيه والوراثه الآن اذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله»^(١).

«ان الأئمه من قریش غرسوا فى هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاه فى غيرهم»^(٢).

وبعد هذا التحديد الدقيق للأمامه وللأئمه، يحذّر (عليه السلام) من مغبه

ص: ٢٢٥

١- خطبه رقم ٢ من نهج البلاغه. الغالى: المغالى الذى يتجاوز الحد فى الافراط.

٢- نفس المصدر رقم ١٤٤.

نكران الأئمة والتنكر لهم .. وانما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه..»(١).

ويحذر من مغبه نكرانهم في مسيره الحياه الإسلاميه حيث يوضح بكل جلاء أن الحق لا يُنال بسواهم وأن الهدى لا وجود له الا بمتابعتهم «فأين تذهبون، وأتى توفكون، والأعلام قائمه، والآيات واضحه، والمنار منصوبه، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عتره نبيكم، وهم أزمه الحق، وأعلام الدين، وألسنه الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش..»(٢).

ثمّ يشير الإمام (عليه السلام) إلى أن خط الإمامه مصاحب لمسيره الأمه، مواكب لأجيالها، وأرض الله تعالى، لا تخلو من حجه من آل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، يحمل الهدى للناس، ويدلهم عليه:

«ألا أن مثل آل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كممثل نجوم السماء: إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون»(٣).

ونكتفى بهذه النماذج من الفكر العقائدى القويم الذى به الإمام (عليه السلام) فى ساحه الفكر الإسلامى، ومن شاء الاستزاده فدونه نهج البلاغه فانه ينبوع لا ينضب محمد المتتبع بشتى ضروب المعرفه فى مضمار العقيده وسواها.

ص: ٢٢٦

١- نفس المصدر رقم ١٥٢.

٢- نهج البلاغه رقم النص ٨٧. توفكون: تصرفون عن الحق، الاعلام: الدلائل على الحق، المنار: جمع مناره، يتاه بكم: الحيره والضلال، تعمهون: تتحرون، العتره: النسل. ردوهم ورود الهيم العطاش: هلموا إلى بحار علومهم مسرعين كاسراع الأبل العطشى إلى الماء.

٣- نفس المصدر رقم ١٠٠. خوى نجم: غاب.

بالرغم من قصر المده التي قضاها أمير المؤمنين (عليه السّلام) في قياده الأممه اجتماعيه وسياسيه فان الفكر السياسي الذي عرضه الإمام (عليه السّلام) كفيل بتغطيه حاجات الإنسان عبر امتداده التاريخي على هذه الأرض، فقد جاءت خطب الإمام (عليه السّلام) ورسائله وأوامره وارشاداته زاخره بهذا اللون من الفكر، مجسداً أروع أطروحه وأنضجها لاداره شؤون الحياه الإنسانيه.

ففي الحقل الاقتصادي طرح الإمام (عليه السّلام) نظاماً متكامللاً لعلاج المشكله الاقتصاديه، وظاهره الانحراف عن خط العداله الإسلاميه في التوزيع، وحدد برامج واضحه لتجاوز الأخطاء المتراكمه في مسأله توزيع المال بين الناس من خلال منهج التسويه في العطاء.

ولم يلتمس الإمام (عليه السّلام) المواقف الوعظيه في علاج المشكله الاقتصاديه، وإقرار العداله في المجتمع فحسب وانما سلك إلى جانب مخاطبه الضمائر والاستفاده من رصيد الايمان بالله فيها، سلك سبيل استخدام الضوابط القانونيه في تحقيق التوازن والعيش الرغيد، وانهاء

ومن أجل ذلك استرد الأموال التى تدفقت على جيوب فئه من الناس من غير حق، وسلك سبيل مراقبه طرق جبايه الأموال، وكيفيه توزيعها على قطاعات الأممه، كما شدد على مراقبه ولائه فى الأمصار، واستحدث نظامالمراقبه والتفتيش ليحيط علماً بتصرفاتهم وممارساتهم ومن هنا تجد الكثير من النصوص التى يوجه فيها الإمام (عليه السلام) والياً أو جابياً للمال باتجاه الطريقه المثلى فى عمله المناط به، كما نجد نصوصاً يوبخ فيها الإمام (عليه السلام) ذلك الوالى أو يستدعيه للحساب أو يعزله عن منصبه لخيانته الأمانه التى أنيطت به (١).

وكما وضع الإمام (عليه السلام) مناهجه القويه المجسده لشرع الله تعالى فى المال، والاقتصاد كذلك فعل فى المجتمع، فبالرغم من كثره النصوص التى حفظها لنا نهج البلاغه وكتب السيره الأخرى التى يحدد (عليه السلام) فيها مسؤوليه الولاه والعمال على البلدان، وما ينبغى أن يلتزموا به فى حياتهم العمليه، يطرح الإمام (عليه السلام) المواصفات الواجب توفرها فى شخصيه الحاكم المسلم سواء أكان حاكماً عاماً للأممه أو حاكماً محلياً، ونكتفى هنا بذكر بعض من هديه بهذا الصدد:

«..وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم، والأحكام، وامامه المسلمين: البخيل فتكون فى أموالهم نهمة، ولا الجاهل فيظلمهم بجهله، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون

المقاطع، ولا المعطل للسنه فيهلك الأمه»(١).

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم»(٢).

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع

المطامع»..

وإذا شئنا الرجوع إلى أوسع نص لتحديد مواصفات الحاكم المسلم، ففي عهد الإمام (عليه السلام) وتوصياته إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر غنى عن طرح أى دليل آخر، حيث اشتمل العهد المذكور على كل مستلزمات القيادة الصالحه، وما ينبغى أن تنهض به من مسؤوليات فى حياه الأمه على الصعيد الاجتماعى، والسياسى والاقتصادى، وسوى ذلك من شؤون.

كما حدد العهد بعمق واع كل ما يتطلبه المجتمع وما ينبغى للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القياديه كى يستجيب لطموحات الأمه التى يدير دفعه حياتها(٣).

ص: ٢٢٩

١- نهج البلاغه رقم ١٢٩. النهمة: المبالغه فى الحرص وشده الشهوه. الحائف: الظالم. المقاطع: حدود الله. الدول المال. والمراد بالحائف بالدول: الظالم فى توزيع المال حيث يفضل قوما على قوم فى العطاء.

٢- نفس المصدر: رقم ٧٢، فى باب المختار من كلامه (ع).

٣- يراجع عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر واليه على مصر فى نهج البلاغه: رقم ٠٣ فى باب الكتب.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن عهد الإمام (عليه السّلام) إلى الأشر قد انطوى على أفكار اجتماعيه غايه في الأهميه، فقد تناول الإمام (عليه السّلام) تركيبه المجتمع، والقوى المؤثره، والقطاعات الضروريه فيه تناول خبير ملم بها، فقد درس الإمام (عليه السّلام) أهميه القطاع الزراعي وأثر التجار والقضاه والولاه والجنود في مسيره المجتمع وبناء الحضاره، وحدد كيفيه التعامل مع تلك القوى الهامه في المجتمع، وحدد مسؤوليات السلطه العليا تجاه كل واحده من تلك القوى الفاعله في الحياه العامه، كما ذكر القطاعات الضعيفه من أهل اليتيم والشيخوخه وسواهم مايعتبر وجودهم طبيعياً في المجتمعات، فدرس حالهم وحدد العلاج لما يعانون (١).

هذا وقد سبق الإمام (عليه السّلام) علم الاجتماع في دراسته للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمن طويل، مما يستحق أن يحمله بجداره لقب مؤسس علم الاجتماع والواضع للبناته الأولى، مع اختلاف في الرؤيه والمنهج - طبعاً - هو الكتب.

ص: ٢٣٠

١- يراجع عهد الإمام (ع) إلى مالک الأشر واليه على مصر في نهج البلاغه رقم ٥٣ في باب الكتب، وثيقه رقم (٧) في الملحق.

وأشير المؤمنين (عليه السلام) أول من صنف في دنيا المسلمين، حيث يحصى المؤرخون سيره الإمام (عليه السلام) عدداً من مؤلفات الإمام وأعماله العلمية، وتأتى في طليعتها:

١- جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول

ويبين في ذات الوقت عامه، ومطلقه، ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وعزائه ورخصه، سننه، وآدابه (١) كما أشار الإمام (عليه السلام) إلى أسباب النزول لآيات الكتاب العزيز، حتى لقد قال ابن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم (٢).

وكان جمع الإمام (عليه السلام) للقرآن الكريم على النمط المذكور انما هو للتفسير أقرب منه للجمع الخالص، فقد أودع في عمله ذلك علماً كثيراً، الأمه بامتدادها التاريخي في ميسس الحاجه إلى مثله، وهذا العمل المبارك الذى باشره الأمام على (عليه السلام)، كان إكمالاً لمهمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

ص: ٢٣١

١- المراجعات السيد عبد الحسين شرف الدين مراجعه (١١٠) ص ٣٢٤.

٢- نفس المصدر السابق.

حيث كان يتلقى القرآن الكريم من عند الله تعالى، ثم يتلوه على أصحابه، ويبين مداليه، ثم يأمر بتدوينه مشروحاً، وهكذا كان مصحف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذى أمر بتدوينه، مفسراً من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاته، كذلك كانت مصاحف بعض الصحابه الذين اهتموا بتدوين القرآن الكريم فى عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كابن عباس، وابن مسعود، وأبى بن كعب، وغيرهم، وهكذا كان المصحف الذى حظى باهتمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وجمعه، يحمل وحيًا بلفظه ومعناه وهو النص القرآنى، ووحياً بمعناه، وهو شرح القرآن الكريم ومعانيه (١).

على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد تفرغ لهذا العمل الرسالى الكبير، بعد حادثه السقيفه وما تمخض عنها من استخلاف أبى بكر، فعكف (عليه السلام) على انجاز هذه المهمه التاريخيه فى تدوين القرآن فى مصحف واحد، ولقد روى عنه بهذا الصدد قوله:

- «لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقسمت أن لا أضع ردائى على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائى حتى جمعت القرآن» (٢).

وبمقدور المرء أن يقدر قيمه ذلك العمل إذا وضع نصب عينيه ما يحظى به القرآن الكريم من قيمه عظيمه فى دنيا المسلمين من الوجهه الفكرية والتشريعيه والحضاريه.

هذا ومن الجدير بالذكر أن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قد عرض هذا المصحف على حكومه الخلفه بعد عمليه جمعه، وفق منهج رسول

ص: ٢٣٢

١- القرآن فى روايات المدرستين، العلامة السيد مرتضى العسكري، المجلد الثالث.

٢- مناقب آل أبى طالب: ج ١ «فى المسابقه بالعلم: ج ٢ ص ٤١».

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوجيهاته، إلا أن الخلافه لم تتبنَّ المصحف المذكور، ووفرت للمسلمين مصحفاً مجرداً عن شرح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتفسيره، وقد اتمت هذه المهمه فى عهد الخليفه عثمان بن عفان، الذى تبنى - رسمياً - عمليه احراق سائر المصاحف التى كانت لدى الصحابه، وهى تحمل تفسيراً سمعوه، ووعوه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهكذا جُمع المسلمون على مصحف رسمى واحد، وزع على الأمصار، وهو الذى يقرأه المسلمون اليوم (١).

٢- الصحيفه:

وهى كتاب فى الديات «وهى الأموال المفروضه فى الجنايه على النفس أو الطرف أو الجرح أو نحو ذلك وتثبت الديه فى موارد الخطأ المحض أو التشبيه بالعمد أو فيما لا يكون القصاص فيه أو لا يمكن» (٢).

٣- الجامعه:

وهى كتاب فى صحائف من الجلود، أملاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد تضمن كل ما يحتاج إليه الناس من حلال وحرام، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء فى كتاب الله من أحكام وأوامر ونواه.

وقد ورث الأئمه من أهل البيت (عليه السلام) هذا الكتاب كابراً عن كابر، وكانوا يطلقون عليه تاره اسم الجامعه، وتاره الصحيفه، وأخرى كتاب على، ورابعه الصحيفه العتيقه.

ص: ٢٣٣

١- راجع هذه المسأله بوضوح فى كتاب القرآن فى روايات المدرستين. للعلامه السيد مرتضى العسكرى.

٢- مبانى تكمله المنهاج: ج ٢، كتاب الديات، السيد أبو القاسم الخوئى (رض).

ووردت عن الصادقين (عليهم السّلام) عدّه روايات تؤكد أهميه كتاب الجامعه، وكونه أحد مراجعهم في أخذ التشريع الإلهي، وأنهم لا- يحتاجون إلى الناس لوجود ذلك الكتاب، فعن أبي عبدالله الصادق (عليه السّلام) قال: «ان عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وان الناس ليحتاجون إلينا، وأن عندنا كتاباً أملاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخطه علي (عليه السّلام) الصحيفة فيها كل حلال وحرام»^(١).

ويقول الإمام الصادق (عليه السّلام) أيضاً يصف فيه الجامعه «تلك صحيفه طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالح، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضيه إلا وهى فيها حتى أرش الخدش»^(٢).

٤- صحيفه الفرائض:

ويبدو أن هذه الصحيفة قد دون فيها الإمام (عليه السّلام) قضاءه في المواريث أو غيرها من أبواب القضاء، ومن المرجح أن تكون هذه الصحيفة بعضاً من الجامعه^(٣).

٥- كتاب الجفر:

«وهو لغه جلد الماعز أو البعير أو الثور»:

وقد أطلق اسم الجفر على أحد أبواب العلم الذى دونه الإمام

ص: ٢٣٤

١- أصول الكافي: ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعه ومصحف فاطمه (عليها السلام).

٢- الأديم: الجلد. الفالج: الجمل العظيم ذو السنامين. والارش: ديه الجراحات.

٣- عقيدته الشيعة فى الإمام الصادق: السيد حسن يوسف مكى العاملى: ص ٦٥.

أمير المؤمنين (عليه السّلام) من املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على جلد، ويبدو أن كتاب الجفر غير الجامعه من ناحيه الفكر الذي يتضمنه، فالجفر كما تفيد روايات الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) ينطوي على حوادث المستقبل، وصحف الأنبياء السابقين والكتب المنزله قبل القرآن الكريم (١).

٦- مصحف فاطمه:

يقول السيد شرف الدين (رض) في المراجعات مايلي: « بعد فراغ أمير المؤمنين (عليه السّلام) من جمع القرآن الكريم، ألف لسيده نساء العالمين كتاباً كان يعرف عند أبنائها الطاهرين، بمصحف فاطمه، يتضمن أمثالاً وحكمماً، ومواعظ وعبراً، وأخباراً، ونوادير، توجب لها العزاء عن سيد الأنبياء أبيها صلى الله عليه وآله وسلم » (٢).

وتشير الروايات الواردة عن أهل البيت (عليه السّلام) بشأن مصحف الصديقه الزهراء (عليها السّلام) المذكور إلى حقيقه ذلك الكتاب بما يلي (٣): عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) يقول: تظهر الزنادقه في سنه ثمان وعشرين، ومائه، وذلك أنى نظرت في مصحف فاطمه (عليها السّلام)، قال: قلت: وما مصحف فاطمه؟ قال: إنّ الله تعالى لما قبض نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، دخل على فاطمه (عليها السّلام)، من وفاته من الحزن، ما لا يعلمه إلّا الله عز وجل، فأرسل الله اليها ملكاً يسلي غمها، ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير

ص: ٢٣٥

١- يراجع اصول الكافي: ج ١ باب ذكر الصحيفه والجفر والجامعه ومصحف فاطمه (عليها السلام) و عقيدته الشيعه في الإمام الصادق: ص ٦٦.

٢- المراجعات: المراجع رقم ١١٠ ص ٤١١، ط بيروت ١٩٨٢م.

٣- أصول الكافي: ١: ٢٤٠ ج ٢.

المؤمنين (عليه السّلام)، فقال: «إذا أحسست بذلك، وسمعت الصوت قولى لى فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين (عليه السّلام) يكتب، كل ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما إنّه ليس فيه شىء من الحلال، والحرام، ولكن فيه علم ما يكون.»

هذا وتفيد روايات أخر عن أهل البيت (عليهم السّلام): أن مصحف فاطمه (عليها السّلام) كان يشتمل على الأحداث التى تمر بها الأمة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وما تراه الأجيال من منعطفات فى مسيرتها عبر التاريخ، كما أفاده مطلع هذا الحديث الذى تلوناه، وهو يذكر الزنادقة وخروجهم اعتماداً على ما رأى فى مصحف فاطمه (عليها السّلام)، وأكثر الروايات التى تتعرض لذكر هذه الصحيفة تشير لهذا المضمون..

وهكذا فإن مصحف فاطمه (عليها السّلام)، ليس فيه من آيات القرآن شيئاً، وانما هو صحائف حملت جانباً من علوم أهل البيت (عليهم السّلام) وأسرارهم، وتوارثه أبناؤها الصادقون بعد أبيهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام)...

على أن تاريخ الرسالات السماويه قد شهد هذا النمط من الأحداث، فالملائكة كانت تحدث مريم بنت عمران (عليه السّلام)، كما يشهد القرآن الكريم بذلك: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».

(آل عمران ٢/)

وللإمام على (عليه السّلام) تصانيف أخرى ذكرها المؤرخون ككتاب زكاه النعم، وكتاب فى أبواب الفقه، وكتاب فى علوم القرآن وغيرها(١).

ص: ٢٣٦

١- أعيان الشيعة: ج ٣ ق ٢ باب: « مؤلفات أمير المؤمنين (ع)».

المصنفات في تراث الإمام (عليه السلام) الفكرى:

وبالرغم من أن الإمام (عليه السلام) قد دون عدداً من المؤلفات العظيمة فإنه يبدو أن مؤلفاته قد انصبت على ما قضت به الضرورة من حفظ الرسالة الإلهية وتوضيح معالمها للأجيال من خلال شرح القرآن الكريم، وتبيان مقاصده، أو تحديد بعض أبواب الفقه الإسلامى، أما آرائه وأفكاره الأخرى التى تحتل مركز الريادة فى الفكر الإسلامى، والتى جاءت انعكاساً لرسالة الله على صفحه ذهنه وعقله، فكانت خطباً ومناقشات وحكماً ومواعظ وتوجيهات ونحوها من أدوات التعبير عن ماهية الرسالة، واهدافها، وخطتها، فان الإمام (عليه السلام) لم يتصدّ لجمعها فى تصانيف محدده، ومن المؤكد أن يكون جزءاً كبيراً منها قد اندرس بيد أن بعضاً من تراثه العظيم قد حظى بالتدوين بعد زمن طويل من وفاه الإمام (عليه السلام) ومن المرجح أن يمثل ذلك البعض نسبة جد قليلة من عطائه الفكرى العظيم عبر عمره الشريف.

فقد جمع العلماء بعض ما خلفه الإمام (عليه السلام) من مبادئ ومفاهيم ومعارف فى مؤلفات عديده نذكر منها:

ص: ٢٣٧

١- نهج البلاغه، جمعه الشريف أبو الحسن الرضى ابن الحسين الموسوى، المتوفى سنة ٤٠٤هـ ويشتمل الكتاب على ما اختاره الشريف من خطب الإمام (عليه السّلام) وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه، وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين ورجال الأدب قراءه واستيعاباً وشرحاً، حتى بلغت شروحه خمسين شرحاً أو يزيد ومن أشهر الشراح للنهج: أبو الحسن البيهقى، والإمام فخر الدين الرازى، والقطب الراوندى، ومحمد ميثم البحرانى، وعزالدين بن أبى الحديد المدائنى، وغيرهم.

ولقد انطوى (نهج البلاغه) على روائع فى الفكر بشتى شعبه ومناحيه:

فى العقائد والأخلاق ونظام الحكم وطبيعته المجتمع وعلاقة الإنسان بالله تعالى ونحو ذلك من أبواب.

وهو إلى جانب ذلك جاء آيه فى الأدب الإنسانى الرفيع الذى عز

نظيره فى أدب اللغة العربيه دقه وعمقاً و تصويراً، وجزاله، وبلاغه. ٢- مسنده الذى جمعه ابو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣هـ وأسماه (مسند على)، وقد ضمنه بعض ما أثر عن الإمام (عليه السّلام) من أحاديث و روايات عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ..

٣- غرر الحكم و درر الكلم، جمعه عبدالواحد بن محمد الآمدى،

وهو يشتمل على طائفه من حكم الإمام (عليه السّلام) القصيره ويقارب فى حجمه نهج البلاغه.

٤ - مطلوب كل طالب من كلام على بن أبى طالب: جمعه ابو

اسحاق الوطواط الأنصاري ويحتوى على طائفه من حكم الإمام (عليه السلام).

٥ - مائه كلمه جمعها الجاحظ

٦- نثر اللآلئ جمع أبي على الفضل بن الحسن الطبرسى صاحب مجمع البيان فى تفسير القرآن.

٧- ما اشتمل عليه كتاب صفين لنصر بن مزاحم من خطب

الإمام (عليه السلام) وكتبه، وتوجيهاته.

٨- جنه الأسماء: شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

٩- ما أثر عنه من الأدعيه والمناجاه قد طبع بعضه باسم الصحف العلويه. جمعها الشيخ عبدالله بن صالح السماهيجى (رض).

١٠ - قلائد الحكم وفرائد الكلم جمع القاضى أبى يوسف

الاسفرائينى، وغير ذلك من التصانيف(١).

ص: ٢٣٩

١- راجع أعيان الشيعة: ق ٢ ج ٢ ص ٢٧٤ ط ٢- بيروت، للسيد محسن الأمين.

والمقصود بها هنا ما تحدث به الإمام (عليه السّلام) عن أمور مستقبلية وشيكة الوقوع بعد عصره، منها ما يختص بأفراد معينين، ومنها ما يتعلق بمسيره الأمة المسلمة كمجموع.

وبطبيعته الحال ان ما طرحه الإمام (عليه السّلام) من هذا القبيل كان قد تلقاه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، أو وعاه بنفسه بما منحه الله تعالى من خصائص روحية هائلة تمنحه القدرة على استقراء المستقبل والاستشراف على حوادثه وقواه المؤثرة، والجوانب الايجابية فيه والسلبية، كاحدى أدوات من يتبوأ منصب وصى الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعيين من الله عز وجل.

ولقد رأينا فى بدايه هذا الفصل كيف أن الإمام (عليه السّلام) يعلن على المنبر مراراً عن قدرته على كشف الكثير من أحداث المستقبل: «..لا تسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئه تهدى مائه وتضل مائه إلا نبأتكم بناعقها وقائدها، وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل

من أهلها قتلاً ويموت موتاً..»(١).

وإذا تتبعنا الفكر المستقبلي الذي حفظته لنا سيره أمير المؤمنين (عليه السلام) وجدناه - بالرغم من قلته بالقياس إلى غيره من أبواب فكر الإمام (عليه السلام) وعطائه الثقافي المرتبط بالله تعالى - آية على عظمة الإمام (عليه السلام) وسمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفه الكثير من أسرار المستقبل بما فيها من متغيرات في دنيا الأفراد والجماعات.

وهذه جملة مما حفظ لنا المؤرخون في هذا المضمرة:

١- عن سويد بن غفلة أن علياً (عليه السلام) خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال:

- يا أمير المؤمنين، انى مررت بوادى القرى، فوجدت خالد بن

عرفطه قد مات، فاستغفر الله له، فقال (عليه السلام):

- والله ما مات، ولا يموت حتى يقود جيش ضلاله صاحب لوائه

حبيب بن حمار.

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

- يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار وأنى لك شيعة ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم فقال له ثانيه: والله انك

لحبيب بن حمار؟

فقال: أى والله!

فقال (عليه السلام): أما والله انك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب، «واشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة»، قال

ثابت الشمالى الذى

ص: ٢٤١

١- شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٨٦، والبحار: ج ٤ ص ١٣٠ عن النهج.

روى الحديث عن سويد بن غفله.

- فوالله ما متُّ حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى (حرب) الحسين بن علي (عليه السّلام) وجعل خالد بن عرفطه على مقدمته، وحبیب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل(١).

٢- عن اسماعيل بن رجاء قال:

قام أعشى باهله وهو غلام يومئذ حدث - إلى علي (عليه السّلام) وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال:

يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافه!

فقال علي (عليه السّلام): أن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال، فقالوا:

- ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال:

- غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمه إلا انتهكها، يضرب

عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا:

- كم يلك يا أمير المؤمنين؟ قال:

- عشرين أن بلغها، قالوا:

- فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال:

- بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثره ما يخرج من جوفه.

قال اسماعيل بن رجاء - راوى الحديث - فوالله لقد رأيت بعينى

ص: ٢٤٢

١- شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغه: ج ٢ ص ٢٨٧.

أعشى باهله، أحضر فى جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بين ىدى الحجاج (بن يوسف الثقفى) فقرعه، ووبخه واستنشه شعره الذى يحرض فىه عبدالرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه فى ذلك المجلس (١).

٣- عن شمير بن سدير الأزدى قال:

قال على (عليه السلام) لعمر بن الحمرق الخزاعى.

«يا عمرو انك لمقتول بعدى وأن رأسك لمنقول وهو أول رأس

ينقل فى الإسلام، والويل لقاتلك!

أما انك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك.

قال الأزدى -راوى الحديث - فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمرق الخزاعى فى خلافه معاويه فى بعض أحياء العرب خائفه مذعوراً، حتى نزل فى قومه من بنى خزاعه، فأسلموه، فقتل، وحمل رأسه من العراق إلى معاويه بالشام، وهو أول رأس حمل فى الإسلام من بلد إلى بلد (٢).

٤ - اخبار الإمام (عليه السلام) عن الضربه التى يضرب فى رأسه فتخضبمنها لحيته بسيف ابن ملجم المرادى.

٥ - اخباره بامتلاك معاويه لأمر المسلمين بعده.

٦- اخباره عن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فى كربلاء.

ص: ٢٤٣

١- نفس المصدر: ص ٢٨٩. أعشى باهله: عامر بن الحارث.

٢- نفس المصدر: ص ٢٩٠.

٧- اخباره عن الحجاج بن يوسف الثقفى وما يكون من فعله.

٨- اخباره عن حركه عبدالله بن الزبير وفشله وقتله.

٩- وعن هلاك البصره بالغرق مره وبسيطره الزنج عليها أخرى. ١٠- واخباره عن مقتل محمد بن عبدالله بن الحسن صاحب النفس الزكيه وأخيه ابراهيم بعد ثورتهم على العباسيين فى عهد أبى جعفر المنصور.

١١- وعن قيام الدوله العلويه فى المغرب، ودوله بنى بويه فى

العراق.

١٢- اخباره عبدالله بن العباس عن انتقال الحكم إلى أولاده وقيام

الحكم العباسى.

١٣- وعن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه وقيام دوله

الإسلام العالميه المباركه(١).

ومن نافله القول أن نشير إلى أن نهج البلاغه ينطوى على الكثير من النصوص التى تناول الإمام (عليه السّلام) فيها الحديث عن أمور مستقبلية، وقعت بعد عصره، وأخرى نعيش طرفاً منها(٢).

هذا ومن الجدير ذكره أن التراث الإسلامى، والمكتبه الإسلاميه،

ص: ٢٤٤

١- دراسات فى نهج البلاغه - محمد مهدي شمس الدين: ط ٢ ١٩٧٢ ص ١٨٦، وما بعدها، وللاستزاده يراجع فصل المغيبات من نفس الكتاب، وج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ط ١٩٥٩١. والارشاد للشيخ المفيد.

٢- مثل خطب الملاحم رقم ١٠١، ١٢٨، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٨٧، والخطب التى تتحدث عن آخر الزمان مثل ١٠٨، ١٠٣، ١٦٦. الملاحم: الوقائع العظيمه.

تضم أسفاره هامه تحمل اخباراً و روايات، تتحدث عن المغيبات، وأنباء المستقبل، أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الهداه (عليهم السلام) الخواص من أصحابهم عن وقوعها، من أمثال كتاب: اثبات الهداه بالنصوص والمعجزات للعالم المحدث الحر العاملى ت ١١٠٤ هـ وتندرج تلك المعلومات الهامه تحت عناوين الكرامات، والمعجزات، ويتحدث الحر العاملى (رض) عن قيمتها العلميه، ودرجه وثاقتها، فيؤكد ان روايات الكرامات المذكوره، وأحاديثها تتمتع بنفس درجه الوثاقه التى تتمتع بها روايات الفرائض والأحكام، وبعضها أكثر منها وثاقه من ناحيه السند وسلسله الرواه(١).

ص: ٢٤٥

١- اثبات الهداه بالنصوص، والمعجزات: الحر العاملى.. مقدمه الكتاب للمؤلف.

وللإمام باع طويل في عرض المواعظ البليغة التي تحمل الحجج

البالغة، فتهز السامع والقارئ، وتترك أثراً عظيماً في النفس.

والموعظه عند علي (عليه السلام) تحمل مفاهيم وعطاء ثراً، تحدد للمسلم طريقه إلى الله وأساليب تفاعله مع رساله الله تعالى ومع الناس من حوله.

وفضلاً عما حملة نهج البلاغه من مواعظ لأمر المؤمنين (عليه السلام) فإن كتب الوعظ والارشاد والتوجيه الإسلامي لا يكاد يخلو منها كتاب من ذكر بعض من مواعظ الإمام (عليه السلام).

ونذكر هنا طرفاً من مواعظه التي ضمنها نهج البلاغه:

«أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقله أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائده شبعها قصير، وجوعها طويل.

أيها الناس: انما يجمع الناس الرضى والسخط، وانما عقر ناقه ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: «فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ»، فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفه خوار السكه

ايها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع فى التيه»(١).

- «أيها الناس، انما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم، واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها ابدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتم. ان المرء إذا هلك قال الناس: ماترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؛ لله آباؤكم: فقدموا بعضاً يكن لكم قرضاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون فرضاً عليكم»(٢).

- «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، التى هى الزاد وبها المعاد: زاد مبلغ، ومعاد منجح، دعا اليها اسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

عباد الله أن تقوى الله حمت اولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته، حتى اسهرت ليايلهم، وأظلمات هو اجرهم فأخذوا الراحة بالنصب، والرى بالظماً، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل، فلاحظوا الاجل..»(٣).

ص: ٢٤٧

١- رقم النص ٢٠١ (باب الخطب). السخط: الغضب، ثمود: قوم نبي الله صالح (ع)، خارت: من الخوار صوت الثور، أى حين خسف الله ارضهم كان لها صوت كصوت الثور، السكه المحماه: حديده المحراث، الارض الخواره: اللينه الهشه.

٢- نفس المصدر رقم ٢٠٣، مجاز: ممر إلى الآخرة.

٣- نفس المصدر ص ١١٤، وعاهها: فهمها وحفظها، حيت: منعت يعنى التقوى منعت الأولياء من ارتكاب الجرائم، الهواجر: الايام الشديده الحرو مع شده حرارتها فقد أظماً المتقون انفسهم فيها صوماً، النصب: التعب.

ونختم هذا الفصل بإيراد اضمامه من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) اتماماً للفائدة:

١- اذا اقبلت الدنيا على أحد اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عنه

سلبته محاسن نفسه.

٢- اعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، واعجز منه من

ضيع من ظفر به منهم.

٣- من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٤- ما أضمر أحد شيئاً إلّا وظهر في فلتات لسانه وصفحات

وجهه.

٥- فوت الحاجه أهون من طلبها إلى غير أهلها.

٦- قيمه كل امرىء ما يحسنه.

ص: ٢٤٨

٧- قال (عليه السلام) يصف الغوغاء: «هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يُعرفوا».

٨- عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافه الاذى كيف لا يحتمون

الذنوب مخافه النار؟

٩- اربع لو ضربتم فيهن اكباد الإبل، لكان ذلك يسيراً: لا يرجون أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي ان يقول لا أعلم اذا هو لم يعلم، ولا يستكبر أن يتعلم اذا لم يعلم.

١٠ - اتقوا معاصي الله فى الخلوات، فان الشاهد هو الحاكم.

١١ - الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق(١) والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد.

١٢ - عند تناهى الشده تكون الفرجه، وعند تضايق حلق البلاء

يكون الرخاء.

١٣ - من اصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته اصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

١٤ - الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمه الله ولم يؤيسهم من روح الله (٢) ولم يؤمنهم من مكر الله.

١٥ - ربّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه.

١٦ - عِظْمُ الخالق عندك يصغّر المخلوق فى عينيك.

ص: ٢٤٩

١- ملق: التملق، العى: العجز.

٢- روح الله: لطفه ورأفته، مكر الله: اخذه للعبد بالعقاب دون شعوره.

١٧ - لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: نكته، وغيبته، ووفاته.

١٨ - الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاه وهمج رعاع اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

١٩ - الناس أعداء ما جهلوا.

٢٠ - من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في

عقولها(١).

وهكذا نصل إلى نهايه المطاف في حديثنا عن المقومات العامه الشخصيه أمير المؤمنين وصنو النبي وأخيه ووصيه علي بن أبي

طالب(عليه السلام).

وفقنا الله تعالى للاخذ بنهجه في الفكر والعمل انه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

والصلاه والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ص: ٢٥٠

١- للمزيد راجع باب المختار من حكم الإمام (ع) في نهج البلاغه، و تحف العقول لابن شعبه الحراني وج ١٩ وج ٢٠ من شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد وغيرها.

الملاحق

اشاره

ص: ٢٥١

«فصل فيا روى من سب معاويه وحزبه لعلّى» (١)

المسأله الثانيه: فى قوله (عليه السّلام): «يأمركم بسبى والبراءه منى»، فنقول: إن معاويه أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبّ على (عليه السّلام) والبراءه منه.

وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنه فى أيام بنى أميه إلى أن قام عمر ابن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه فأزاله. وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاويه كان يقول فى آخر خطبه الجمعه: اللهم إن ابا تراب أُلحد فى دينك، وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشاربها على المنابر، إلى خلافه عمر بن عبدالعزيز.

وذكر أبو عثمان أيضاً أن هشام بن عبدالملك لما حجّ خطب

ص: ٢٥٣

١- ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرح نهج البلاغه: ج ٤ ص ٥٦ - ٥٧، ط ٢ دار الكتب العربيه ١٩٦٥م.

بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب، فقال: أكفف، فما لهذا جئنا.

وذكر المبرّد في «الكامل» أن خالد بن عبدالله القسرى لما كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن علياً (عليه السلام) على المنبر، فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، صهر رسول الله على ابنته، وأبا الحسن والحسين! ثم يقبل على الناس، فيقول هل كُنَيْتُ!

وروى أبو عثمان أيضاً أن قوماً من بنى أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً!

ص: ٢٥٤

روی أبو الحسن علی بن محمد بن أبی سیف المدائنی فی کتاب «الأحداث» قال: کتب معاویه نسخه واحده إلى عماله بعد عام الجماعة (١): «ان برئت الذمه من روی شیئاً من فضل أبی تراب وأهل بیته»، فقامت الخطباء فی کل کوره، وعلی کل منبر، یلعنون علیاً ویبرؤون منه ویقعون فیہ وفی أهل بیته، وكان أشد الناس بلاء حیثئذ أهل الکوفه، لکثره من بها من شیعه علی (علیه السلام)، فاستعمل علیهم زیاد بن سمیه، وضم إليه البصره، فكان یتبع الشیعه وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علی (علیه السلام)، فقتلهم تحت کل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأیدی والأرجل. وسمل العیون، وصلبهم علی جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم یبق بها معروف منهم، وکتب معاویه إلى عماله فی جمیع الآفاق: «ألاً یجیزوا لأحد من شیعه علی وأهل بیته

ص: ٢٥٥

١- عام الجماعة هو عام ٤١هـ. الذی تسلّم معاویه فیہ السلطنه بعد صلحه مع الحسن السبط (ع) و سقوط دوله الخلفه الإسلامیه فی الکوفه.

وكتب إليهم: «ان أنظروا من قبلكم من شيعه عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا لى بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته» . .

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا فى فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاويه من الصلوات والكساء والحباء والقطنع، ويفيضة فى العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك فى كل مصر، وتنافسوا فى المنازل والدنيا، فليس يجىء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاويه، فيروى فى عثمان أو منقبه إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله أن الحديث فى عثمان قد كثر وفشا فى كل مصر وفى كل وجه وناحيه: «فإذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الروايه فى فضائل الصحابه الخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلا وتأتونى بمناقض له فى الصحابه، فإنّ هذا أحبُّ إلى وأدحض لحجه أبى تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله» . .

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيره فى مناقب الصحابه مفتعله لاحقيقه لها، وجدّ الناس فى روايه ما يجرى هذا المجرى حتى اشدوا بذكر ذلك على المنابر، والى معلمى الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلموا القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم،

فلبثوا بذلك ما شا الله.

ثم كتب إلى عماله نسخه واحده إلى جميع البلدان: «انظروا من قامت عليه البيئه أنه يجب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخه أخرى: من اتهمتموه بموالاه هؤلاء القوم، فنكلوا به. واهدوا داره»..

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفه، حتى أن الرجل من شيعة علي (عليه السلام) ليأتيه من يتق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الليطه، ليتمكن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليه القراء المرءون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطله لما رووها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي (عليه السلام)، وولى عبدالملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي، فتقرب إليه أهل النسك. والصلاح والدين يبغض على وموالاه أعدائه، وموالاه من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الروايه في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغض من

ص: ٢٥٧

على (عليه السلام) وعييه، والطعن فيه، والشنآن له، حتى أن إنساناً وقف للحجاج -يقال انه جد الأصمعي عبد الملك بن قريش - فصاح به: أيها الأمير ان أهلى عقونى فسمونى علياً، وانى فقير بائس، وأنا إلى صله الأمير محتاج، فتضحك له الحجاج، وقال: للطف ما توصلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - وهو من أكابر المحدثين

وأعلامهم - فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر.

وقال: أن أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصحابه افتعلت فى أيام بنى أميه تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم). (١).

ص: ٢٥٨

١- شرح نهج البلاغه: لابن أبى الحديد، ج ١١ ص ٤٤ - ٤٦.

من مناقب ابن المغازلي، عن محمد بن علي بن محمد بن التبيح، عن أحمد بن محمد بن سلام، عن عمر بن أحمد بن روح الساجي، عن يحيى بن الحسن العلوي، عن محمد بن سعيد المكي الدارمي، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: كنت جالساً مع أبي ونحن نزور قبر جدنا (عليه السلام) وهناك نسوان كثيره، إذ أقبلت امرأه منهن فقلت لها: من أنت رحمك الله؟ قلت: أنا زیده بنت العجلان من بني ساعده، فقلت لها: فهل عندك شيء تحدّثنا به؟ قالت: أي والله حدثتني أمي أم عماره بنت عباد بن فضل بن مالك بن العجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت: ما شأنك يا أبا طالب؟ فقال: إن فاطمه بنت أسد في شده المخاض، ثم وضع يده على وجهه فبينما هو كذلك إذ أقبل محمد فقال: ما شأنك يا عم؟ فقال: إن فاطمه بنت اسد تشتكي المخاض فأخذ بيده وجاء، وقمن معه، فجاء بها إلى الكعبه فأجلسها في الكعبه، ثم قال:

اجلسى على اسم الله، قالت: فطلقت طلقه فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً، لم أر كحسن وجهه، فسماه أبو طالب علياً، وحمله النبي حتى أداه إلى منزلها.

قال علي بن الحسين (عليهما السلام): فوالله ما سمعت بشيء قط إلا وهذا أحسن منه (١).

ص: ٢٦٠

١- بحار الأنوار: الشيخ المجلسى: ٣٥: ٣. والحافظ بن المغازلى الشافعى فى مناقب على بن أبى طالب: ص ٥، وابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمه.

الدقاق عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن محمد بن سنان، عن المفصل، عن ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير (١) قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطلب وفريق من عبدالعزى بازاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمه بنت أسد أم أميرالمؤمنين (عليه السلام) وكانت حامله به لتسعه أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدقه بكلام جدى إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذى بنى هذا البيت وبحق المولود الذى فى بطنى لما يسّرت على ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمه فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم

ص: ٢٤١

١- بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي ١٣٥ / ٨-٩، نقلاً عن العلل: للشيخ الصدوق والمعاني: للصدوق وغييه النعماني ورواه أبو الفتح الأربلي فى كشف الغمه: ج ١ ص ٦٠، ط دار الكتاب - بيروت.

ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل، ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسياه بنت مزاحم عبت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخله اليابسه بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنه وأوراقها، فلما اردت أن أخرج هتف بي هاتف، يا فاطمه سَمِيه علياً فهو عليّ، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه.

ص: ٢٦٢

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه(١): حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال حدثنا سعيد بن حُثيم عن أسد بن عبده البجلي عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال جئت فى الجاهليه إلى مكه فنزلت على العباس بن عبدالمطلب قال فلما طلعت الشمس وحلقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبه أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبه فقام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه قال فلم يلبث حتى جاءت امرأه فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأه ففرغ الغلام والمرأه فخر الشاب ساجداً فسجداً معه فقلت يا عباس أمر عظيم فقال أمر عظيم أتدرى من هذا فقلت لا- قال هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن أخى أتدرى من هذا معه قلت لا قال هذا على بن أبى طالب بن عبدالمطلب ابن أخى أتدرى من هذه المرأه التى

ص: ٢٦٣

١- تاريخ الطبرى: ٢: ٥٦ - ٥٧ ط مؤسسه الأعلمی / بيروت.

خلفها قلت لا قال هذه خديجه بنت خويلد زوجه ابن أخى وهذا حدثنى إن ربه رب السماء أمرهم بهذا الذى تراهم عليه وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن اسحاق قال حدثنى يحيى بن أبى الأشعث الكندى من أهل الكوفه قال حدثنى اسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جده قال كنت امرأةً تاجراً فقدمت أيام الحج فأتيت العباس فبينما نحن عنده إذ خرج رجل يصلى فقام تُجاه الكعبه ثم خرجت امرأه فقامت معه تصلى وخرج غلام فقام يصلى معه فقلت يا عباس ما هذا الدين إن هذا الدين ما أدرى ما هو قال هذا محمد بن عبدالله يزعم أن الله أرسله به وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجه بنت خويلد آمنت به وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به قال عفيف فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثالثاً.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمه بن الفضل وعلى بن مجاهد قال سلمه حدثنى محمد بن اسحاق عن يحيى ابن أبى الأشعث قال أبو جعفر وهو فى موضع آخر من كتابى عن يحيى بن الأشعث عن اسماعيل بن أياس بن عفيف الكندى وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندى لأمه وكان ابن عمه عن أبيه عن جده عفيف قال كان العباس بن المطلب لى صديقاً وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا عند العباس بن عبدالمطلب بمنى فأتاه رجل مجتمع فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قام يصلى فخرجت امرأه فتوضأت وقامت

تصلى ثم خرج غلام قد راهق فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلى فقلت ويحك يا عباس ما هذا قال هذا ابن أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله بعثه رسولاً وهذا ابن أخى علي بن أبى طالب قد تابعه على دينه وهذه امرأته خديجه ابنة خويلد قد تابعته على دينه قال عفيف بعدما أسلم ورسخ الإسلام فى قلبه يا ليتنى كنت رابعاً.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا عيسى بن سواده ابن الجعد قال حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبى عبد الرحمن وابو حازم المدنى والكلبى قالوا على أول من أسلم قال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمه عن ابن اسحاق قال كان أول كرسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدقته بما جاءه من عند الله على بن أبى طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين وكان مما أنعم الله به على بن أبى طالب (عليه السلام) أنه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام.

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر على أن يحميهم وينعمهم مما هم فيه، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشه فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشه مخافه الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجره في الإسلام. وكان في مقدمه المهاجرين: عثمان بن عفان وزوجته، رقيه بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وابو حذيفه وزوجته، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير وعبدالرحمن بن عوف... حتى اجتمع في أرض الحبشه من أصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم) بضعه وثمانون رجلاً(١).

فلما رأت قريش ذلك، ارسلت إلى النجاشي عبدالله بن أبي ربيعه وعمرو بن العاص بهدايا مختلفه كثيره، إليه وإلى حاشيته وبطارفته، رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم مره أخرى

ص: ٢٦٦

١- هذا هو الصحيح كما ذكره ابن هشام في سيرته: ج ١ ص ٣٣، وانظر فتح الباري: ج ٧ ص ١٣.

إلى أعدائهم.

فلا كلا النجاشى فى ذلك -وكانا قد كلما من قبله بطارقه وقدا إليهم ما جاء به من الهدايا - رفض النجاشى أن يسلم أحداً من المسلمين إليها حتى يكلمهم فى شأن دينهم الجديد هذا. فجبىء بهم عليه، ورسولا قريش عنده، فقال لهم: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الملل؟

فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب، فقال: أيتها الملك: كنا قوماً أهل جاهليه، نعبد الأصنام، ونأكل الميته، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجاره والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانه وصله الرحم ونهاننا عن الفواحش.. فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عباده الأوثان.. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك وأخترناك عى من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك.

فسأله النجاشى أن يتلو عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله.

فقرأ عليه جعفر صدرأ من سوره مريم. فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته، ثم قال لهم: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاه واحده. ثم التفت إلى رسولى قريش قائلاً: انطلقا، فلا والله لا

ص: ٢٦٧

أسلمهم اليكما، ولا يُكادون.

ثم انهما عادا فقالا للنجاشي: أيها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون. فأرسل إليهم، في ذلك، فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يقول: هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً. ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود.

ثم رد إليها هداياهما، وزاد استمساكه بالمسلمين الذين استجاروا به، وعاد الرسل إلى قريش خائبين.

وبعد فتره من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة، فرجعوا لما بلغهم ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار، أو مستخفياً وكان جميعهم ثلاثة وثلاثين رجلاً. وكان من بين من دخل بجوار عثمان بن مظعون، دخل بجوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة دخل بجوار أبي طالب (١).

ص: ٢٤٨

١- فقه السيرة: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ص ١٢ - ١٢٢، ط ٤ ١٩٧٢م، دار الفكر نقلاً عن سيره ابن هشام وفتح الباري: ج ٧ ص ١٣، ومثله في الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ج ١ ص ١٩٦.

من كتاب للإمام على (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْطَرِّ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وُلِّاهُ مِصْرَ: جَبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيشَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْبَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

ص: ٢٦٩

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا (١) عِنْدَ الْجَمَحَاتِ (٢)، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالشُّوْءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَمَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، إِنَّمَا يُسَدِّدُ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاْمَلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ (٣) بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ [الأنفس] الْأَنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ.

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا [ضارياً] تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لِمَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ (٤) مِنْهُمْ الزَّلْلُ (٥)، وَتَعْرِضُ لَهُمْ الْعِلْلُ، يُوتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ (٦).

ص: ٢٧٠

١- يزعها: يكفها.

٢- الجمحات: منازعات النفس إلى شهواتها ومآربها.

٣- شح بنفسك: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب، بل من الحرص أن تحمل على ما تكره.

٤- يفرط: يسبق.

٥- الزلل: الخطأ.

٦- استكفاك: طلب منك كفايه أمرك والقيام بتدبير مصالحهم.

وَابْتَلَاكَ بِهِمْ. وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ (١)، فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ (٢)، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَتَّكِبْ عَلَى عَفْوِ، وَلَا تَبْجَحَنَّ (٣) بِعُقُوبِهِ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى يَادِرِهِ (٤) وَحَدَّتْ مِنْهَا مَنُذُوحَهُ (٥)، وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ (٦) أَمْرٌ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ (٧) فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ (٨) لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ (٩). وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً (١٠) أَوْ مَخِيلَةً (١١)، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ (١٢) إِلَيْكَ

ص: ٢٧١

- ١- أراد «بحرب الله» مخالفه شريعته بالظلم والجور.
- ٢- لا يد لك بنقمته : أى ليس لك يد أن تدفع نقمته، أى لا طاقه لك بها.
- ٣- بجح به : كفرح لفظاً و معنى.
- ٤- البادره : ما بيد من الحده عند الغضب فى قول أو فعل.
- ٥- المندوحه: المتسع، أى المخلص .
- ٦- مؤمر - كمعظم - أى : مسلط.
- ٧- الإدغال : إدخال الفساد.
- ٨- منهكه: مضعفه، وتقول «نهكه» أى أضعفه.. وتقول: نهكه السلطان من باب فهم أى : بالغ فى عقوبته.
- ٩- الغَيْر - بكسر ففتح -: حادثات الدهر بتبدل الدول.
- ١٠- الأبهه - بضم الهمزه وتشديد الباء مفتوحه -: العظمه والكبرياء
- ١١- المَخِيله - بفتح فكسر -: الخيلاء والعجب.
- ١٢- يُطَامِن الشئء: يخفض منه.

مِنْ طِمَاحِكَ (١)، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ (٢)، يَفِيءُ (٣) إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ (٤) عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!

إِيَّاكَ وَمُسَامَاهَ (٥) اللَّهُ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدَلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى (٦) مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ!، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصِيْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصِمَهُ اللَّهُ أَذْحَضَ (٧) حُجَّتَهُ، وَكَانَ اللَّهُ حَرْبًا (٨) حَتَّى يَنْزِعَ (٩) وَيَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ (الْمُظْلُومِينَ)، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَمُهَا فِي الْعَيْدِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سَيِّئَ الْغَايَةِ يُجْحِفُ (١٠) بَرِيضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ

ص: ٢٧٢

١- الطِّمَاحُ - ككتاب .: النشور والجماح.

٢- الغَرَبُ - بفتح فسكون -: الحده .

٣- يَفِيءُ -: يرجع .

٤- عَزَبَ -: غاب .

٥- المَسَامَاهُ -: المباراه فى السمو، أى العلو .

٦- من لك فيه هوى أى : لك إليه ميل خاص .

٧- أذْحَضَ -: أبطل .

٨- كان حرباً أى : محارباً .

٩- ينزع - كيضرب . أى : يقلع عن ظلمه .

١٠- يجحف برضى الخاصة : يذهب برضاهم .

سُخِطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَوْوَنَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَ مَعُونَهُ لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصِافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ (١)، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْأَعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عِزْدْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ (٢) الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْإِعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ (٣) لَهُمْ، وَمِثْلِكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ (٤) عِنْدَكَ، أَطْلُبُهُمْ (٥) لِمَعْرَابِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، الْوَالِيُّ أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ (٦) عَنِ النَّاسِ عُقْمَهُ كُلَّ حِقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ (٧)، وَتَغَابَ (٨) عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ (٩) لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصَدِيقِ

ص: ٢٧٣

- ١- الإلحاف : الالاح والشده فى السؤال.
- ٢- جِماع الشيء - بالكسر -: جمعه ، أى جماعه الاسلام.
- ٣- الصِغو - بالكسر والفتح -: الميل.
- ٤- أشنؤهم: أبغضهم.
- ٥- الأطلب للمعائب : الأشد طلباً لها.
- ٦- أطلق عقده كل حقد : احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيره معهم.
- ٧- الوتر - بالكسر -: العداوه.
- ٨- تَغَابَ : تغافل.
- ٩- يَضِح: يظهر، والماضى وَضَحَ.

سَاع، فَإِنَّ السَّاعِيَ (١) غَاشٌ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ (٢)، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ (٣)، وَلَا جَبَانًا يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ (٤) بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى (٥) يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْإِسْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْأَثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً (٦)، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثْمَةِ (٧)، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ (٨)، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ (٩) وَأَوْزَارِهِمْ (١٠) وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ، أَوْلَيْكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَوْوَنَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ

ص: ٢٧٤

١- الساعى : هو النمام بمعائب الناس.

٢- الفضل - هنا - : الإحسان بالبدل.

٣- يعِدُّكَ الْفَقْرَ: يخوفك منه لو بدلت .

٤- الشَّرَّه - بالتحريك : أشد الحرص.

٥- غَرَائِزُ : طبائع متفرقة.

٦- بَطَانَهُ الرَّجُل - بالكسر : خاصته، وهو من بَطَانَهُ الثوب خلاف ظهارته.

٧- الْأَثْمَةُ: جمع آثم وهو فاعل الاثم أى الذنب.

٨- الظُّلْمَةُ: جمع ظالم.

٩- الْآصَارُ: جمع إصر بالكسر ، وهو الذنب والإثم.

١٠- الْأَوْزَارُ : جمع وِزْر وهو الذنب والإثم أيضاً.

مَعُونَهُ، وَأَحْنَىٰ عَلَيْهِكَ عَطْفًا، وَأَقَلَّ لِغَيْرِكَ إِفْلًا (١)، فَاتَّخِذْ أَوْلِيَّكَ خَاصَّةً لِخُلُوعَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَقَاعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالصِّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدْقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ (٢) عَلَى الْآلِ- يُطْرُوكَ وَلَا- يُبْجِحُوكَ (٣) بِنَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَطْرَاءِ تُخْرِدُ الرِّهْوَ (٤)، وَتُدْنِي (٥) مِنَ الْعِزَّةِ [الْعِزَّةِ].

وَلَا يَكُونَنَّ الْ-مُحْسِنُ وَالْمُسْتَيْءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، تَدْرِييًّا لِأَهْلِ الْأَسَاءِ عَلَى الْأَسَاءِ، وَالزِّمُّ كَلًّا- مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالِ بَرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَزَكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ (٦)، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا (٧) طَوِيلًا، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ

ص: ٢٧٥

١- الإلف - بالكسر : الألفة والمحبة .

٢- رُضُّهُمْ أَى: عَوَّدَهُمْ عَلَى الْآلِ يَطْرُوكَ أَى يَزِيدُوا فِي مَدْحِكَ.

٣- لَا يُبْجِحُوكَ أَى : يَفْرَحُوكَ بِنَسْبِهِ عَمَلٍ عَظِيمٍ إِلَيْكَ وَلَمْ تَكُنْ فَعَلْتَهُ .

٤- الرِّهْوَ - بِالْفَتْحِ -: الْعُجْبُ.

٥- تَدْنِي أَى: تَقْرُبُ. وَالْعِزَّةُ - هُنَا -: الْكِبَرُ .

٦- قَبْلَهُمْ - بِكَسْرِ فَتْحِ - أَى : عِنْدَهُمْ.

٧- النَّصَبُ - بِالتَّحْرِيكِ : التَّعَبُ.

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صِدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، لَا تُخِيدَنَّ سُنَّةَ تَضَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَتَةِ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامِهِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصِلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غَنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعِدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الْأَنْصِافِ وَالرَّفِيقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ وَمُسْلِمِي النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ سَهْمَهُ (٢)، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا).

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَرِزْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسَبِيلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ. ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقُودُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصَلِّحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وِرَاءِ حَاجَتِهِمْ (٣).

ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنِيفَيْنِ إِلَّا

ص: ٢٧٦

١- ساء بلاؤك عنده: البلاء - هنا - الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً.

٢- سهمه: نصيبه من الحق.

٣- يكون من وراء حاجاتهم أى: يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها.

بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَابِ، لِمَا يُحْكَمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ (١)، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلَا قَوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوَى الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ (٢)، وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ (٣) بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِقْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ (٤) وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ نُقِلَ.

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصِيحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مَمْلُوكِكَ، وَأَنْقِصَهُمْ جَبِيًّا (٥)، وَأَفْضَلَهُمْ حَلْمًا (٦) مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرْبِحُ إِلَى الْعُدْرِ، وَيَزَافُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ (٧)، وَمِمَّنْ لَا يُبَيِّرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الصَّقُّ بِذَوَى الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الثَّبُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ، فَأَنْهَهُمْ

ص: ٢٧٧

١- المعاهد: العقود في البيع والشراء وما شابههما مما هو شأن القضاء .

٢- المرافق أى: المنافع التى يجتمعون لأجلها.

٣- الترفق أى: التكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات .

٤- رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

٥- جيب القميص : طوقه ؛ ويقال «نقى الجيب» أى: طاهر الصدر والقلب.

٦- الحلم - هنا -: العقل.

٧- ينبو عليه: يتجافى عنهم ويبعد.

جَمَاعٌ (١) مِنَ الْكِرْمِ، وَشُعَبٌ (٢) مِنَ الْعُرْفِ (٣).

ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ (٤) فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا (٥) تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.

وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَىٰ جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ (٦) رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مِنْ وَاسَاهُمْ (٧) فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلُ (٨) عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ (٩) بِمَا يَسْعُهُمْ يَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفٍ (١٠).

ص: ٢٧٨

- ١- جماع من الكرم: مجموع منه.
- ٢- شُعَبٌ - بضم ففتح -: جمع شعبة.
- ٣- العُرف : المعروف.
- ٤- تفاقم الأمر: عظم، أى لا تعد شيئاً قويتهم به غايه فى العظم زائداً عما يستحقون، فكل شىء قويتهم به واجب عليك اتيانه، وهم مستحقون لنيله.
- ٥- لا تحقِرَنَّ لطفاً أى: لا تعد شيئاً من تطفك معهم حقيراً فتركه لحقارته، بل كل تطف - وان قل - فله موقع من قلوبهم.
- ٦- آثر أى: أفضل وأعلى منزله.
- ٧- وَاسَاهُمْ: ساعدهم بمعونته لهم .
- ٨- أفضل عليهم أى: أفاض..
- ٩- الجِدَّة - بكسر ففتح -: الغنى.
- ١٠- خلوف أهليهم : جمع خلف - بفتح وسكون - وهو من يبقى فى الحى من النساء والعجزة بعد سفر الرجال.

أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعِدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ. وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ
اسْتِقَامَةُ الْعَيْدِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ (١)
عَلَى وُلاةِ أُمُورِهِمْ، وَقَلْبِهِ اسْتِثْقَالَ دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِثْبَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ
مَا أَبْلَى ذُؤُوبَ الْبَلَاءِ (٢) مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهْرُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاَكِلَ (٣)، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضُمَّنَّ بِلَاءَ (٤) امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تَقْصُرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ، وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ
امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَشْتَصْغِرَ مِنْ يَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.

وَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِلُّعُوكَ (٥) مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهْ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

ص: ٢٧٩

١- حَيْطُهُ - بكسر الحاء -: من مصادر « حاطه » بمعنى حفظه وصانته .

٢- ذُؤُوبُ الْبَلَاءِ : أهل الأعمال العظيمة .

٣- يحرض الناكل : يحث المتأخر القاعد .

٤- بلاء امرئ : صنيعه الذي أبلاه .

٥- ما يُضِلُّعُوكَ من الخطوب: ما يؤودك ويثقلك ويكاد يميلك من الأمور الجسام .

شَيْءٍ فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، فَالرَّدُ إِلَى اللَّهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ (١)، وَالرَّدُ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرُوا لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تَمُحِّكُهُ (٢) الْخُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى (٣) فِي الزَّلَّةِ (٤)، وَلَا يَحْصُرُ (٥) مِنَ الْفِيءِ (٦) إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ (٧) نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ (٨)، أَوْ قَفَّهِمْ فِي الشُّبُهَاتِ (٩)، وَآخِذْهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبْرُمًا (١٠) بِمَرَاجِعِهِ الْخُصْمِ، وَأَصْبِرْهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرِمْهُمْ (١١) عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ

ص: ٢٨٠

- ١- مُحْكَمُ الْكِتَابِ : نَصَهُ الصَّرِيحُ.
- ٢- تَمَحَّكُهُ الْخُصُومُ: تَجْعَلُهُ مَاحِقًا لَجُوجًا. يُقَالُ: مَحَّكَ الرَّجُلُ - كَمَنَعَ - إِذَا لَجَّ فِي الْخُصُومَةِ ، وَأَصْرَّ عَلَى رَأْيِهِ.
- ٣- يَتِمَادَى : يَسْتَمِرُّ وَيَسْتَرْسِلُ.
- ٤- الزَّلَّةُ - بِالْفَتْحِ -: السَّقْطَةُ فِي الْخَطَا.
- ٥- لَا يَحْصُرُ: لَا يَعْيَا فِي الْمُنْطَقِ.
- ٦- الْفِيءُ: الرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ.
- ٧- لَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ: لَا تَطْلُعُ. وَالْإِشْرَافُ عَلَى الشَّيْءِ: الْإِطْلَاعُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ.
- ٨- أَدْنَى فَهْمٍ وَأَقْصَاهُ: أَقْرَبُهُ وَأَبْعَدُهُ .
- ٩- الشُّبُهَاتُ : مَا لَا يَتَضَحُّ الْحُكْمُ فِيهِ بِالنَّصِّ؛ وَفِيهَا يَنْبَغِي الْوُقُوفُ عَلَى الْقَضَاءِ حَتَّى يَرُدَّ الْحَادِثُ إِلَى أَصْلِ صَحِيحِهِ.
- ١٠- التَّبْرِمُ : الْمَلَلُ وَالضَّجْرُ.
- ١١- أَصْرِمَهُمْ: أَقْطَعَهُمْ لِلْخُصُومَةِ وَأَمْضَاهُمْ.

إِطْرَاءً (١)، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، أَوْلَيْكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ (تَعَهَّدَ) (٢) قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبِذْلِ (٣) مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقَلَّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلِ لِمَدِينِكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَابَ [اغْتِيَابَ] الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا (٤) وَلَا تُولِّهِمْ مُحَابَاةً (٥) وَأَثَرَةً (٦)، فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعْبِ (٧) الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ. وَتَوَخَّ (٨) مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ [النَّصِيحَةِ] وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ (٩) فِي الْأَسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحَحُ أَعْرَاضًا [أَعْرَاضًا]، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا [إِسْرَافًا]، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ

ص: ٢٨١

- ١- لا يزدنيه إطراء : لا يستخفه زياده الثناء عليه.
- ٢- تعاهده: تتبعه بالاستكشاف والتعرف.
- ٣- افسح له في البذل أى : أوسع له في العطاء بما يكفيه.
- ٤- استعملهم اختباراً : ولهم الأعمال بالامتحان.
- ٥- محاباه أى : اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم.
- ٦- أثره - بالتحريك - أى: استبداداً بلا مشوره
- ٧- فإنهما جماع من شُعب الجور والخيانة أى : يجمعان فروع الجور والخيانة .
- ٨- توخَّ أى : اطلب وتحزَّ أهل التجربه ...
- ٩- القَدَم - بالتحريك : واحده الأقدام، أى الخطوه السابقه. وأهلها هم الأولون.

نَظْرًا. ثُمَّ أَسْبَغَ (١) عَلَيْهِمُ الْأَزْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَّمُوا أَمَانَتَكَ (٢). ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثَ الْعُيُونَ (٣) مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ لَهُمْ (٤) عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحْفَظُ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانِهِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكَتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطَتْ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ [يديه]، وَأَخَذَتْهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَّمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ.

وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُضِلُّحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صِيَالًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صِيَالًا لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلَيْكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا. فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً (٥)، أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ (٦) أَوْ

ص: ٢٨٢

١- أسبغ عليه أمانتك : أكمله وأوسع له فيه.

٢- تلموا أمانتك : نقصوا في أدائها أو خانوا.

٣- العيون : الرقباء.

٤- حدوده أي : سوق لهم وحث.

٥- إذا شكوا ثقلًا أو علة: بريد المضروب من مال الخراج أو نزول عله سماويه بزرعهم أضرت بشمراته.

٦- انقطاع شرب - بالكسر - أي : ماء تسقى في بلاد تسقى بالأنهار .

بَالَهُ (١)، أَوْ إِحْيَاةَ أَرْضِ (٢) اغْتَمَرَهَا (٣) غَرَقَ، أَوْ أَجْحَفَ (٤) بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصِلَ بِهَ أَمْرُهُمْ، وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهَ الْمُؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذَخِرٌ يَعُودُونَ بِهَ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسَيْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبْجِيحِكَ (٥) بِاسْتِفَاضَةِ (٦) الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ (٧)، بِمَا ذَخَرْتَ (٨) عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ (٩) لَهُمْ، وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّذْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رَفِيقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَهُ أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِغْوَاذِ (١٠) أَهْلِهَا، إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لِأَشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ (١١)،

ص: ٢٨٣

- ١- انقطاع باله أى : ما يبيل الأرض من ندى ومطر فيما تسقى بالمطر.
- ٢- إحياله أرض - بكسر همزة إحياله - أى: تحويلها البذور إلى فساد بالتعفن.
- ٣- اغتمرها أى: عمها من الغرق فغلبت عليها الرطوبة حتى صار البذر فيها غمقاً - ككتف - أى له رائحة خمه وفساد.
- ٤- أجحف العطش أى: أطفأها وذهب بماده الغذاء من الأرض فلم يثبت.
- ٥- التبجح: السرور بما يرى من حسن عمله فى العدل.
- ٦- استفاضه العدل : انتشاره
- ٧- معتمداً فضل قوتهم أى : متحداً زياده قوتهم عماداً لك تستند اليه عند الحاجة.
- ٨- ذخرت: وفرت.
- ٩- الإجمام: الترفيه والاراحة.
- ١٠- الإغواز : الفقر والحاجة.
- ١١- إشراف أنفسهم على الجمع: لتطلع أنفسهم إلى جمع المال ، ادخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا.

وَسُوءَ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقَلَّ انْتِفَاعُهُمْ بِالْعَبْرِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَأَخْضِضْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسِيرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُودِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ (١) الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَا (٢)، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِ الْغَفْلَةَ (٣) عَنْ إِبْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عُمَالِكَ عَلَيْكَ، وَإِضْ دَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطَى مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ (٤)، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ (٥)، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلًا.

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ (٦) وَاسْتِنَامَتِكَ (٧) وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ (٨) الْوُلَاهِ

ص: ٢٨٤

- ١- لَا تُبْطِرْهُ أَي: لَا تَطْغِيهِ.
- ٢- جَمَاعَهُ مِنَ النَّاسِ تَمَلُّأَ الْبَصْرِ.
- ٣- لَا تُقَصِّرْ بِهِ الْغَفْلَةَ أَي: لَا تَكُونَ غَفْلَتَهُ مَوْجِبَةً لِقَصْرِهِ فِي إِطْلَاعِكَ عَلَى مَا يَرِدُ مِنْ أَعْمَالِكَ، وَلَا فِي إِصْدَارِ الْأَجُوبَةِ عَنْهُ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ.
- ٤- عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ أَي: مَعَامَلَهُ عَقْدًا لِمَصْلَحَتِكَ.
- ٥- لَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ: إِذَا وَقَعْتَ مَعَ أَحَدٍ فِي عَقْدٍ كَانَ ضَرَرُهُ عَلَيْكَ لَا يَعْجِزُ عَنْ حَلِّ ذَلِكَ الْعَقْدِ.
- ٦- الْفِرَاسَةُ - بِالْكَسْرِ -: قُوَّةُ الظَّنِّ وَحُسْنُ النِّظَرِ فِي الْأُمُورِ.
- ٧- الْاسْتِنَامَةُ: السُّكُونُ وَالثِّقَةُ.
- ٨- يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاهِ أَي: يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهَا لِتَعَرُّفِهِمْ.

بِتَصْنِعِهِمْ (١) وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ اخْتَبَرَهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِاحْسَنِ نِيَّتِهِمْ كَمَا كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجَهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِقَوْلِهِ وَوَلِيَّتْ أَمْرُهُ. وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كِبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتْ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَايَبَتْ (٢) عَنْهُ أَلْزِمْتَهُ.

تَعَمَّ اسْتِئْوَصَ بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصَ بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ (٣)، وَالْمُتَرَفِّقِ (٤) بِيَدَيْهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ (٥)، وَجَلَابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ (٦)، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَيِّهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَنِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا (٧)، وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ (٨) لَا تُخَافُ بِأَثْقَتِهِ (٩)، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتَهُ، وَتَفَقَّدُ أُمُورَهُمْ

ص: ٢٨٥

- ١- بتصنعهم : بتكلفتهم إجاده الصنعه.
- ٢- تغايبت : أى تغافت.
- ٣- المضطرب بماله: المتردد به بين البلدان .
- ٤- المترفق : المكتسب.
- ٥- المرافق : ما ينتفع به من الأدوات والآنيه.
- ٦- المطارح : الأماكن البعيده.
- ٧- لا يلتئم الناس لمواضعها أى: لا يمكن التثام الناس واجتماعهم فى مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنه.
- ٨- أنهم سلم أى : أن التجار والصناع مسالمون.
- ٩- البائقه : الداهيه.

بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ. وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا (١) فَاحِشًا، وَشُحًا (٢) قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا (٣) لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَعَاتِ، وَذَلِكَ بَابٌ مَضْرُوبٌ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاهِ، فَامْتَنِعْ مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَنَعَ مِنْهُ.

وَلَيْكُنَ الْبَيْعُ بَيْعًا سَدِّ مَحَا: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْبَعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ (٤)، فَمَنْ قَارَفَ (٥) حُكْرَهُ (٦) بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّفَ بِهِ (٧)، وَعَاقِبَهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ (٨).

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى (٩) وَالزَّمْنَى (١٠)، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا (١١)

ص: ٢٨٦

١- الضيق : عسر المعامله.

٢- الشح: البخل.

٣- الاحتكار: حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشه.

٤- المبتاع - هنا - : المشتري.

٥- قارف أى : خالط.

٦- الحكره - بالضم -: الاحتكار.

٧- فَتَكَلَّفَ بِهِ أى : أوقع به النكال والعذاب ، عقوبه له .

٨- فى غير إسراف أى : من غير أن تجاوز حد العدل.

٩- البؤسى - بضم أوله -: شدة الفقر.

١٠- الزمنى -: جمع زمين وهو المصاب بالزمانه - بفتح الزاى بفتح أوله - - أى العاهات، يريد أرباب العامه المانعه لهم عن الاكتساب.

١١- القانع: السائل.

وَمُعْتَرًا (١)، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ (٢) مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّتِ (٣) صَوَافِي (٤) الْأَسْيَافِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلُّ قَدٍ اسْتَرْعَيْتَ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ، [نظر] (٥) فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِ النَّافَةِ (٦) لِأَحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ. فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ (٧) عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ (٨)، وَتَفْقِدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ (٩)، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ (١٠) مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضِعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ (١١) يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْأَنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاغْزِرٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

ص: ٢٨٧

- ١- الْمُعْتَرِّ - بتشديد الراء : المتعرض للعتاء بلا سؤال.
- ٢- اسْتَحْفَظَكَ : طلب منك حفظه.
- ٣- غَلَّتْ : ثمرات.
- ٤- صَوَانِي الْإِسْلَام : جمع صافيه، وهي أرض الغنيمه.
- ٥- بَطْرٌ : طغيان بالنعمة.
- ٦- النَّافَةُ : الحقيق.
- ٧- لَا تُشْخِصْ هَمَّكَ أَى: لا تصرف اهتمامك عن ملاحظه شؤونهم.
- ٨- صَعَّرَ خَدَّهُ : أماله إعجاباً وكبراً.
- ٩- تَقْتَحِمُهُ الْعَيْنُ : تكره أن تنظر اليه احتقاراً، وازدراءً.
- ١٠- فَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ أَى: اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم.
- ١١- بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ أَى: بما يقدم لك عذراً عنده .

وَتَعَهَّدَ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ (١) مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاهِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِدَوَى الْحَاجَاتِ (٢) مِنْكَ قَسِيماً تَفَرَّغَ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجَلَّسَ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقَعَّدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ (٣) مِنْ أَحْرَاسِكَ (٤) وَشُرَطِكَ (٥)، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ (٦)، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ (٧): "لَنْ تُقَدَّسَ (٨) أُمَّةٌ لَا يُؤَخِّدُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ". ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ (٩) مِنْهُمْ وَالْعِيَّ (١٠)،

ص: ٢٨٨

- ١- ذوو الرقة في السن: المتقدمون فيه.
- ٢- لدوى الحاجات أى: المتظلمين تنفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.
- ٣- تُقَعَّدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ: تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك.
- ٤- الأحراس: جمع حرس - بالتحريك . وهو من يحرس الحاكم من وصول المكروه.
- ٥- الشُّرَطُ - بضم ففتح -: طائفه من أعوان الحاكم، وهم المعروفون بالضابطه ، واحده شرطه - بضم فسكون .
- ٦- التعتعه في الكلام: التردد فيه من عجز وعى ، والمراد غير خائف تعبيراً باللازم.
- ٧- فى غير موطن أى : فى مواطن كثيره.
- ٨- التقديس : التطهير ، أى لا يطهر الله أمة ...الخ.
- ٩- الخُرق - بالضم -: العنف ضد الرفق.
- ١٠- العي - بالكسر : العجز عن النطق .

وَنَحَّ (١) عَنْكَ الضُّيْقَ (٢) وَالْأَنْفَ (٣)، يَبْسِطُ اللَّهُ عَلَيْكَ يَدَيْكَ أُنْفَافَ رَحْمَتِهِ (٤)، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطَى مَا أُعْطِيَ هَنِيئاً (٥)، وَأَمْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ (٦)!

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا- بِيَدِكَ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِحْبَابُهُ عَمَّا لَكَ بِمَا يَعْنَى (٧) عَنْهُ كِتَابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَخْرُجُ (٨) بِهِ صُدُورٌ أَعْوَانِكَ.

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَعْجِزْ (٩) تِلْكَ الْأَقْسَامَ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيُّهُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصِّهِ مَا تُخْلِصُ اللَّهُ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ

ص: ٢٨٩

- ١- نَحَّ: فعل أمر من نَحَى يَنْحَى، أى ابعد عنهم.
- ٢- الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق.
- ٣- الأنف: محركة -: الاستنكاف والاستكبار.
- ٤- أُنْفَافَ الرحمة: أطرافها.
- ٥- هنيئاً: سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به.
- ٦- امنع فى إجمال وإعذار: وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.
- ٧- يعنى: يعجز.
- ٨- حَرَجٌ يَخْرُجُ. من باب تَعَب -: ضاق، والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات، ويحبون المماطلة فى قضائها استجلاباً للمنفعة، أو إظهاراً للجبروت.
- ٩- أجزها: أعظمها.

خَاصَّةً، فَأَعْطَى اللَّهُ مِنْ يَدَيْكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفَّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ (١) وَلَا مَنْقُوصٍ، بِالْغَا مِنْ
بَدَنِكَ مَا بَلَغَ. وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مَنفَرًا وَلَا مُضَيِّعًا (٢)، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ
رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أَصِلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صِلْ بِهِمْ كَصِيْلَاهِ أَضْعَافِهِمْ، وَكُنْ بِإِلْمُومِيْنَ
رَحِيْمًا».

وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا، فَلَا تُطَوَّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَالِيَةِ عَنِ الرَّعِيَةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيْقِ، وَقَلَّةُ عِلْمِ بِالْأُمُورِ، وَالْاِحْتِجَابُ
مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَضِيْعُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيْرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيْرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيْحُ، وَيَشَابُ الْحَقُّ
بِالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْوَالِيُّ بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ (٣) تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصَّدَقِ مِنَ
الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ (٤) فِي الْحَقِّ، فَيَمِمْ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ، أَوْ فَعَلَ كَرِيْمٌ
تَشِيْدِيَهُ، أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا (٥) مِنْ يَدَيْكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا
مَوْوَنَةَ فِيهِ

ص: ٢٩٠

١- غير مثلوم أى : غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء.

٢- لا تكون منفرًا ولا مضيعًا أى: لا تطل الصلاة فتكره بها الناس ولا تضيع منها شيئًا بالنقص فى الأركان بل التوسط خير.

٣- سمات : جمع سمه . بكسر ففتح - وهى العلامه .

٤- البذل : العطاء.

٥- أيسوا: قنطوا وييسوا.

عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةٍ (١) مَظْلَمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبَطَانَةً، فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقَلَّةٌ إِنصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسَبْ (٢) مِيَادَهُ [مُؤُونَهُ] أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ، وَلَا تُقْطِعَنَّ (٣) لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ (٤) قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ (٥) عُقْمَدِهِ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شَرْبِ (٦) أَوْ عَمَلِ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مُؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ مَهْنًا (٧) ذَلِكَ لَهُمْ دُونِكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَأِقْعَا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ خَاصَّتِكَ [خَوَاصِّكَ] حَيْثُ وَقَعَ، وَابْنِعْ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَعْبَهُ (٨) ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ.

ص: ٢٩١

- ١- شكاه - بالفتح : شكايه.
- ٢- فاحسم أى: اقطع ماده ضرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم، وإنما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف فى شؤون العامه .
- ٣- الاقطاع: المنحه من الأرض. والقطيعه : الممنوح منها.
- ٤- الحامه . كالطامه .: الخاصه والقرابه.
- ٥- الاعتقاد : الامتلاك ، والعقده - بالضم - : الضيعه؛ واعتقاد الضيعه: اقتناؤها، وإذا اقتنوا ضيعه فرما أضروا بمن يليها، أى يقرب منها من الناس .
- ٦- الشرب بالكسر : هو النصيب فى الماء.
- ٧- مهنا ذلك: منفعتة الهنيئه .
- ٨- المَعْبَهُ . كَمَحَبَهُ - : العاقبه.

وَإِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا (١)، فَأَصْحِرْ (٢) لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ [أو اعزل] (٣) عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً (٤) مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا (٥) تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صِيْلِحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عِدُوَّكَ لِيَرْضَى، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً (٦) لِيُجُودَكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ، وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عِدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعِدُوَّ رَبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ (٧)، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهَمِ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِدُوِّكَ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً (٨)، فَحُطِّ (٩) عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ

ص: ٢٩٢

١- حَيْفًا أَى : ظُلْمًا.

٢- أَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ أَى: أَبْرِزْ لَهُمْ، وَبَيِّنْ عُذْرَكَ فِيهِ. وَهُوَ مِنَ الْإِصْدَارِ: الظُّهُورُ، وَأَصْلُهُ الْبُرُوزُ فِي الصَّحْرَاءِ.

٣- عَدَلَ الشَّيْءُ عَنْ نَفْسِهِ: نَحَاهُ عَنْهُ.

٤- رِيَاضَةٌ أَى: تَعْوِيدًا لِنَفْسِكَ عَلَى الْعَدْلِ.

٥- الْإِعْذَارُ: تَقْدِيمُ الْعُذْرِ أَوْ إِبْدَاؤُهُ.

٦- الدَّعَاةُ. مَحْرُوكَةٌ -: الرَّاحَةُ.

٧- قَارَبَ لِتَغَفَّلَ أَى: تَقَرَّبَ مِنْكَ بِالصُّلْحِ لِيَلْقَى عَلَيْكَ عَنْهُ غَفْلَةً فَيُغْدِرُكَ فِيهَا.

٨- أَصْلُ مَعْنَى الذِّمَّةِ وَجِدَانُ مَوْدِعٍ فِي جِبَلِ الْإِنْسَانِ، يَنْبَهُهُ لِرِعَايَةِ حَقِّ ذَوِي الْحَقُوقِ عَلَيْهِ، وَيُدْفَعُهُ لِأَدَاءِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْهَا، ثُمَّ

أَطْلَقَتْ عَلَى مَعْنَى الْعَهْدِ وَجَعَلَ الْعَهْدَ لِبَاسًا لِمَشَابَهَتِهِ لَهُ فِي الرِّقَابَةِ مِنَ الضَّرْرِ.

٩- حُطِّ عَهْدَكَ: أَمْرٌ مِنْ حَاطِهِ يَحُوطُهُ بِمَعْنَى حِفْظِهِ وَصَانِهِ.

جُنَّه (١) دُونَ مَا أُعْطِيَتْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا (٢) مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيْسَنَّ [تَحِيْسَنَّ] بَعْهَدِكَ (٣)، وَلَا تَخْتَلَنَّ (٤) عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِيءُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ (٥) بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً (٦) يَسِيءُ كُنُونٌ إِلَى مَنْعَتِهِ (٧)، يَسِيءُ تَفْيِضُونَ إِلَى جَوَارِهِ (٨)، فَلَا إِذْغَالَ (٩)، وَلَا مُدَالَسَةَ (١٠)، وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعَقُّدًا عَقِماً تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ (١١)، وَلَا تَعْوَلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ (١٢) بَعِيدِ التَّأَكِيدِ وَالتَّوْتُّفَعِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضَيْقُ أَمْرِ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ، إِلَى

ص: ٢٩٣

١- الجُنَّه - بالضم - الوقايه ، أى حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك .

٢- «لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ» أى: وجدوها وبيله، مهلكه.

٣- خاس بعهدك: خانه ونقضه.

٤- الختل: الخداع.

٥- «أفصاه» - هنا - بمعنى أفشاه .

٦- الحريم : ما حرم عليك أن تمسه.

٧- المَنَعَه - بالتحريك : ما تمتنع به من القوه.

٨- يستفيضون أى : يفيضون اليه بسرعه.

٩- الأذغال: الافساد.

١٠- المدالسه: الخيانه.

١١- العلل : جمع عله، وهى فى النقد والكلام، بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد، وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته.

١٢- لحن القول: ما يقبل التوجيه كالتوريه والتعريض.

طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبِعْتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبُهُ (١)، لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالِدَّمَاءَ وَسَيْفُكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمِهِ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعِهِ، وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمِهِ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةِ، مِنْ سَفْكَ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيءُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَيْفِكَ دَمَ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوْهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمَدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ (٢) الْبَدَنِ، وَإِنْ ابْتُلِيَتْ بِخَطَاٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ (٣) سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبِهِ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزِ (٤) فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَهُ، فَلَا تَطْمَحَنَّ (٥) بِكَ نَحْوَهُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَالْأَعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ (٦)، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ

ص: ٢٩٤

- ١- أن تحيط بك من الله فيه طلبه أي: تأخذك بجميع أطرافك مطالبه الله إياك بحقه في الوفاء الذي غدرت به.
- ٢- القود - بالتحريك: القصاص، وإضافته للبدن لأنه يقع عليه.
- ٣- أفرط عليك شوطك: عجل بما لم تكن تريده، أردت تأدياً فأعقب قتلاً.
- ٤- الوكزه - بفتح فسكون -: الضربه بجمع الكف - بضم الجيم - أي قبضته، وهي المعروفة باللكمه.
- ٥- تطمحن بك: ترتفعن بك.
- ٦- الإطراء: المبالغة في الشناء.

وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ يَا حَسَنِيكَ، أَوْ التَّزْيِيدَ (١) فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتَبَّعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْأَحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَّ (٢) عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)

وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبِيلَ أَوَانِهَا، أَوْ التَّسَيُّقَ (٣) [التسناقط - الشبَط] فِيهَا عِنْدَ إِمكَانِهَا، أَوْ اللَّحْجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ (٤)، أَوْ الْوَهْنَ (٥) عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعَّ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقَعَ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِثَارَ (٦) بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَهُ (٧)، وَالتَّغَابِيَ (٨) عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَا أُخِذَ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنَكَّشُفُ عَنْكَ

ص: ٢٩٥

١- التزييد . كالتقيد - إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار.

٢- المقت: البغض والسخط.

٣- التسقط: من قولهم «تسقط في الخبر يتسقط»، إذا أخذه قليلاً، يريد به هنا: التهاون.

٤- اللجاجة: الاصرار على النزاع. وتنكرت: لم يعرف وجه الصواب فيه.

٥- الوهن: الضعف.

٦- الاستثارة: تخصيص النفس بزياده .

٧- الناس فيه أسوه: أى متساوون.

٨- التغابي: التغافل.

أَعْطِيَهُ الْأُمُورَ، وَيُنْتَصِفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ (١)، وَسُورَةَ (٢) حَدِّكَ (٣)، وَسَيْطَوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ (٤) لِسَانِكَ، وَاخْتِرْسَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ (٥)، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسِيكَنَّ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْأَخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومِهِ عَادِلِهِ، أَوْ سُنَّهِ فَاضِلِهِ، أَوْ أَثَرِ عَنِ نَبِيِّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْ فَرِيضِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدَتْ مِمَّا عَمَلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا، وَاسْتِثْنَيْتُ بِهِنَّ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عَلَّةٌ عِنْدَ تَسْرِعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسِعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوقِنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ مِنَ الْأَقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِيَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ، وَتَضَعِيفِ الْكِرَامَةِ (٦)، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلِمَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشُّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] رَاجِعُونَ]، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) - الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَالسَّلَامُ.

ص: ٢٩٦

١- يقال «فلان حمي الأنف»: إذا كان ألباً يأنف الضيم .

٢- السوره - بفتح السين وسكون الواو -: الحده .

٣- الحده - بالفتح -: البأس .

٤- الغرب - بفتح فسكون -: الحد تشبيهاً له بحد السيف ونحوه .

٥- البادره : ما يبدو من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه .

٦- تضعيف الكرامه: زياده الكرامه إضعافاً .

أصول الكافي ج ١ ص ٢٦٣ ح ١:

على بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن عبدالله بن سلمان عن حمران بن اعين عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إن جبرئيل (عليه السلام) أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برمانتين فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إحداهما، وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفاً وأطعم علياً نصفاً ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا أخى هل تدري ما هاتان الرمانتان؟ قال: لا قال: أما الأولى، فالنبوه ليس لك فيها نصيب، وأما الأخرى، فالعلم انت شريكى فيه، فقلت اصلحك الله كيف كان يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلم الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) علماً إلا وأمره أن يعلمه علياً (عليه السلام)».

وروى مثله فى نفس الباب زراره عن الإمام أبى جعفر محمد بن على الباقر (عليه السلام)، ومثله عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً مع اختلاف فى الألفاظ.

أصول الكافي ج ١ ص ٢٦٤ ح ١:

محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن محمّد بن اسماعيل عن عمه حمزه بن بزيع عن علي السائي عن أبي الحسن الأول موسى (عليه السّلام) « قال: قال: مبلغ علمنا على ثلاثه وجوه ماض وغابّرٌ وحادثٌ، فأما الماضي، فيفسر، وأما الغابّر، فمزبور، وأما الحادث، فقدف في القلوب ونقر في الاسماع، وهو افضل علمنا ولا نبى بعد نبينا».

أصول الكافي ج ١ ص ٢٦٤ ح ٢:

محمّد بن يحيى عن أحمد بن أبي زاهر عن علي بن موسى عن صفوان بن يحيى عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: قلت: « اخبرني عن علم عالمكم قال: وراثته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن علي (عليه السّلام) قال قلت: إننا نتحدث إنه يقذف في قلوبكم، وينكت في آذانكم قال أو ذاك » - يعني هو كذاك -

أصول الكافي ج ١ ص ٢٦٤ ح ٣:

علي بن ابراهيم عن أبيه عن حدثه عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي الحسن (عليه السّلام) روينا عن أبي عبدالله (عليه السّلام) انه قال: أن علمنا غابّرٌ و مزبور ونكت في القلوب، ونقر في الاسماع، فقال: اما الغابّر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهامٌ و أما النقر في الاسماع فأمر الملك».

أصول الكافي ج ١ ص ٢٧١ ح ٤:

على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن رجل عن محمد بن مسلم قال: ذكر المحدثُ عند أبي عبدالله (عليه السلام) فقال: «انه يسمع الصوت ولا يرى الشخص فقلت له: جعلتُ فداك كيف يعلمُ أنه كلامُ الملك قال: انه يعطى السكينه والوقار حتى يعلم أنه كلامُ ملكٍ».

أصول الكافي ج ١ ص ٢٧١ ح ٥:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن سعيد عن حماد بن عيسى عن الحسن بن المختار عن الحارث بن المغيرة عن حمران بن اعين قال قال أبو جعفر (عليه السلام) أن علياً (عليه السلام) كان محدثاً، فخرجتُ إلى أصحابي، فقلتُ جئتكم بعجيبه فقالوا وما هي؟ فقلتُ: سمعتُ أبا جعفر (عليه السلام) يقول: كان علي (عليه السلام) محدثاً فقالوا: ما صنعتَ شيئاً إلا سألتُهُ من كان يحدثُهُ فُرجعتُ إليه فقلتُ: إنني حدثتُ أصحابي بما حدثتني، فقالوا: ما صنعتَ شيئاً إلا سألتُهُ من كان يحدثُهُ فقال: لى يحدثُهُ ملكٌ قلتُ تقول: إنه نبيٌّ قال: فحرك يده هكذا أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين أو ما بلغكم انه قال وفيكم مثله».

أصول الكافي ج ١ ص ٢٧٣ ح ١:

عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن أبي الصباح الكناني عن أبي بصير

ص: ٢٩٩

قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله الله تبارك وتعالى «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا- الأيمان»، قال: «خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده». وروى بمضمونه في نفس الباب خمسة أحاديث أخرى بأسانيد أخرى.

ص: ٣٠٠

المقدمه ٧

الفصل الأول

وليد البيت العتيق..... ١١

بزوغ الفجر ١٣

في كفاله رسول الله (ص) ١٥

حصيله الأعداد النبوى..... ١٧

في كنف الوحي..... ١٩

أول المؤمنين ٢١

الوصى الوارث ٢٥

مواجهه الجاهليين ٢٧

ابو طالب يتصدى لأعداء الرساله ٢٨

رسول الله (ص) وأبو طالب فى الحصار ٢٩

إلى دار الإسلام ٣٣

فى فراش رسول الله (ص) ٣٥

الانتظار فى قبا ٣٧

مهمات ما بعد الهجره! ٣٩

على فى منظار الإسلام ٤٧

على فى عهد الخلفاء ٥٦

أ- فى خلافه أبى بكر ٦٠

ب - فى خلافه عمر بن الخطاب ٦٣

ج - فى عهد عثمان ٦٦

الفصل الثانى

دعونى والتمسوا غيرى! ٦٩

تمهيد ٧١

الإمام خليفه ٧٣

١- الميدان السياسى ٧٥

٢ - الميدان الاقتصادى ٧٦

منهاج الاصلاح ٧٨

سياسه رد الفعل ٩٧

موقف معاويه ٩٩

خلفيات المطالبه بدم عثمان ١٠١

موقف الإمام على (ع) أيام الأزمه ١٠٢

حرب البصره ١٠٥

الموقف الإنسانى ١٠٧

فتنه صفيين ١١١

وقعه النهروان ١١٧

فى ذمه الله ١٢١

الفصل الثالث

- «ما وجد لى كذبه فى قول ولا خطله فى فعل» ١٢٧
- توطئه..... ١٢٩
- فضائل على من حديث رسول الله (ص) ١٣٢
- أمر الأمامه فى النصوص: ١٣٥
- شخصيه على (ع) من خلال مقوماتها الواقعيه ١٣٩
- علاقه الإمام على بالله تعالى ١٤٢
- شواهد من عباده أمير المؤمنين (ع) ١٤٤
- المنهج العبادى فى خطوطه الأساسيه ١٥٢
- توكل صادق و يقين راسخ..... ١٥٣
- مصاديق من زهد الإمام (ع) ١٥٤
- صدقه الإمام (ع)..... ١٥٩
- الجهاد فى سبيل الله ١٦٢
- الأخلاق الاجتماعيه ١٦٧
- أولاً - اشاعه العدل الاجتماعى بين الناس..... ١٧٢
- وصاياها للولاه ١٧٩
- ومن توجيهاته (ع) لجباه الأموال ١٨٠
- ومن تعليماته لجيوشه ١٨٠
- ثانياً - تواضع الإمام ١٨١
- ثالثاً - حلم الإمام..... ١٨٧

رابعاً - التورع عن البغى.....١٩١

خامساً - شواهد من صبر الإمام١٩٥

ص: ٣٠٣

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

